الرحمة والغفران في القرآن الكريم

(دراسة لغوية)

رسالة قدّمها الباحث

حيدر عبد الزهرة معيوف

إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل وهي جزء من

متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

(فرع اللغة)

بإشراف

أ. م. د رحيم جبر الحسناوي

ربيع الثاني مايس

١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾

صدق الله العلي العظيم

الكهف : ١٠٩

الإهداء

- إلـــى المبعوث رحمةً للعالمين مـــحـــمـــد

- صلى اللّه عليه وآله وسلم -

- إلى أُمي العزيزة تغمّدها اللّه تعالى برحمته وأسكنها فسيح جناته

حيدر

شُكر وامتنان

الحمد لله على جميع نعمه عدد ما حُمِد وشُكِر من ابتداء الخلق إلى قيام يوم الدين أما بعد :

فإني أجد من الواجب عليّ أنْ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أُستاذي المشرف الدكتور رحيم جبر الحسناوي ، فقد أنار لي طريق العلم والمعرفة وذلل لي الصعوبات ، بما أبداه لي من أراء وملاحظات قيمة قوّمت اعوجاج البحث وصححت زلاته وأزالت شوائبه وهفواته .

كما أتقدم بخالص شكري وامتناني لأساتذتي في قسم اللغة العربية ، جامعة بابل ،فما عندنا هو من ثمار غرسهم ونتاج فكرهم ، ولاسيما الدكتور علي ناصر غالب ، والدكتور صباح عباس السالم ، والدكتور صباح عطيوي والدكتور عامر عمران الخفاجي رئيس قسم اللغة العربية ، والدكتور قيس الخفاجي .

وأشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية ، جامعة المستنصرية لما أسدوه لي من نصائح وتوجيهات ، وما أبدوه من ملاحظات وقدموه من آراء وأفكار علمية جعلت البحث أكثر رصانة وأكثر ارتقاء نحو الكمال ، وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور طارق عبد عون الجنابي ، والأستاذة لطيفة عبد الرسول والدكتور أحمد جواد محيسن والدكتور محمد عامر معين ، والدكتور إبراهيم معلي شكر .

وأتوجه بجزيل الشكر وفائق الاحترام والامتنان إلى أخوتي وزملائي في دورة الماجستير ، فلم يبخلوا عليّ بشيء يخدم البحث وأخص منهم بالذكر الأستاذ حسن عبيد محيسن والأستاذ فريد حمد سلمان ، والأستاذة ذكاء عبد الستار والأستاذ نزار عبد اللطيف صبر ، والأستاذ أحمد كاظم عماش .

وفي الختام أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأخوة العاملين في مكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الإمام الحكيم ومكتبة الإمام الحسن ـ عليه السلام ـ والمكتبة الأدبية المختصة على ما قدموه لي من مساعدة في الحصول على المصادر والمراجع التي احتجتها فجزاهم الله عني وعن العلم خير الجزاء ووفقهم لخدمة العلم وأهله ولخدمة كتاب الله العزيز . والله المُوفّق والمعين

الباحث

النجف الأشرف ٢٠٠٧م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ ـ ت
الباب الأول : المستوى الصوتي والمستوى الصرفي	١ ـ ٧٠
الفصل الأول : المستوى الصوتي	٢ ـ ٢٢
أولاً : دلالة الإيحاء الصوتي	٤ ـ ٩
ثانياً : دلالة الإدغام	١٠ ـ ١٣
ثالثاً : دلالة الوقف والابتداء	١٤ ـ ١٩
رابعاً : الدلالة الصوتية في القراءات القرآنية	٢٠ ـ ٢٢
الفصل الثاني : المستوى الصرفي	٢٣ ـ ٧٠
أولاً : المصادر	٢٥ ـ ٢٦
ثانياً : المشتقات	٢٧ ـ ٥٢
أ ـ الصفة المشبهة	٢٧ ـ ٣٩
ب ـ صيغ المبالغة	٤٠ ـ ٥٢
١ـ فَعَّال	٤٢ ـ ٤٦
٢ ـ فَعُول	٤٦ ـ ٥٠
٣ ـ مِفْعَال	٥٠ ـ ٥٢
ثالثاً : دلالة صيغة الاسم وصيغة الفعل في الجملة	٥٣ ـ ٥٥
رابعاً : دلالة استعمال صيغة فعلية محل صيغة فعلية أخرى	٥٦ ـ ٦٠
خامساً : دلالة الإفراد والجمع	٦١ ـ ٦٧
سادساً : الجموع	٦٨ ـ ٧٠
الباب الثاني : المستوى النحوي والمستوى الدلالي	٧١ ـ ١٨٤
الفصل الأول : المستوى النحوي	٧٢ ـ ١١٦
الموضوع	**الصفحة**
أولاً : الأساليب النحوية	٧٤ ـ ٨٥
أ ـ أسلوب التوكيد	٧٤ ـ ٧٧
ب ـ أسلوب الشرط	٧٨ ـ ٨٠
ت ـ أسلوب الاستثناء	٨١ ـ ٨٥

ثانياً : دلالة التنكير والتعريف	٨٦ ـ ٩٤
ثالثاً : دلالة الحذف والتقدير	٩٥ ـ ٩٨
رابعاً : مسائل نحوية أخرى	٩٩ ـ ٠
أ ـ دلالة المفعول المطلق	٩٩ ـ ١٠٠
ب ـ دلالة المفعول لأجله	١٠٠ ـ١٠٢
ت ـ دلالة النعت والنعت المقطوع عن الإضافة	١٠٣ ـ ١٠٧
ث ـ دلالة ضمير الفصل	١٠٧ ـ ١٠٨
ج ـ دلالة (ما)	١٠٩ ـ ١١١
ح ـ دلالة الفعل المضارع	١١١ ـ ١١٣
خ ـ دلالة حرف الجر (من) على التبعيض	١١٤ ـ ١١٦
الفصل الثاني : المستوى الدلالي	١١٧ ـ ١٨٤
أولاً : الدلالة المعجمية :	١١٨ ـ ١٤٦
أ ـ رَحِم	١١٨ ـ ١٢٦
ب ـ رأف	١٢٧ ـ ١٢٩
ت ـ صفح	١٣٠ ـ ١٣٢
ث ـ عفو	١٣٣ ـ ١٣٧
ج ـ غفر	١٣٨ ـ ١٤٢
ح ـ معنى الاستغفار	١٤٢ ـ ١٤٦
ثانياً : الدلالة السياقية	**١٤٨ ـ ١٨٤**
أ ـ الترابط الدلالي في خواتم الآيات	١٤٨ ـ ١٥٤
١ ـ الاختتام بـ(غفور رحيم)	١٤٨ ـ ١٤٩
الموضوع	**الصفحة**
٢ـ الاختتام بـ(غفور حليم)	١٤٩
٣ ـ الاختتام بـ (حليم غفور)	١٤٩ ـ ١٥٠
٤ ـ الاختتام بـ (العزيز الحكيم)	١٥٠ ـ ١٥٢
٥ ـ الاختتام بـ(العزيز الرحيم)	١٥٢ ـ ١٥٣
٦ ـ الاختتام بـ (عفو غفور)	١٥٣
٧ ـ الاختتام بـ(تواب حكيم)	١٥٣ ـ ١٥٤
٨ ـ الاختتام بـ(غفور شكور)	١٥٤ ـ ١٥٥
ب ـ اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدّث عنه واحد	١٥٦ ـ ١٦٠
ت ـ العدول عن الإضافة	١٦١ ـ ١٦٣
ث ـ دلالة الاستعارة	١٦٤ ـ ١٦٦
ج ـ دلالة التورية	١٦٧
خ ـ دلالة الاحتراس (التكميل)	١٦٨

خ ـ دلالة التقديم والتأخير في السياق	١٦٩ ـ ١٧٨
١ ـ تقديم (الرحمن) على (الرحيم)	١٦٩ ـ ١٧٠
٢ ـ تقديم (الرحمن الرحيم) على (مالك يوم الدين)	١٧٠
٣ ـ تقديم (الرحمة) على (الجنة)	١٧٠
٤ـ تقديم(الرحمة) على (طلب المغفرة)	١٧٠ ـ ١٧١
٥ـ تقديم (المغفرة) على (الرحمة)	١٧١ ـ ١٧٢
٦ـ تقديم (المغفرة) على (الجنة)	١٧٢
٧ـ تقديم (الغفران) على (العقاب)	١٧٣ـ١٧٢١
٨ـ تقديم (المغفرة) على (العذاب) وتأخيرها عنه	١٧٣ ـ ١٧٤
٩ـ تقديم (طلب المغفرة) على (طلب المُلك)	١٧٤
١٠ـ تقديم (الشفاء) على (الرحمة)	١٧٤ ـ ١٧٥
١١ـ تقديم (العذاب) على (الرحمة)	١٧٥
١٢ ـ تقديم (التواب) على ((الرحيم)	١٧٥
١٣ـ تقديم (العزيز) على (الرحيم)	١٧٥ ـ ١٧٦
الموضوع	**الصفحة**
١٤ـ تقديم (عفو) على (غفور)	١٧٦
١٥ـ تقديم (السمع والطاعة) على (الغفران)	١٧٦
١٦ـ تأخير (الرحمن الرحيم) عن (ربّ العالمين)	١٧٦
١٧ـ تأخير (المغفرة) عن (الرحمة)	١٧٧
١٨ـ تأخير لفظ (غفّار) عن (العزيز)	١٧٧ ـ ١٧٨
د ـ الأمر الموجه إلى الرسول الكريم محمد ـ ﷺ ـ بالاستغفار	١٧٩ ـ ١٨٠
ذ ـ النتائج المترتبة على الاستغفار	١٨١ ـ ١٨٤
الخاتمة	١٨٦ ـ ١٨٩
المصادر والمراجع	١٩٠ ـ ٢٢٠
أولاً : الكتب المطبوعة	١٩١ ـ ٢١٨
ثانياً : الكتب المخطوطة	٢١٩
ثالثاً : الرسائل والأطاريح الجامعية	٢١٩
رابعاً : البحوث	٢٢٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله ينبوع الرحمة وميزان الحكمة ، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين صلاة تقترن بالصلاة عليه في كلِّ وقت وحين .

أما بعد :

فقد مرّت على اللغة العربية منذ نزول القرآن إلى عصرنا هذا مراحل مختلفة بين بداوة وحضارة وانقباض واتساع وجمود وحركة ، والقرآن الكريم في كل هذه المراحل واقف في عليائه يطلُّ على الجميع من سمائه ، وهو يشع نوراً وهداية ويفيض عذوبة وجلالة ويسيل رقة وجزالة ويرف جدةً وطلاوةً .

وهو لا يزال ـ كما كان غضاً طرياً ـ يحمل راية الإعجاز ويتحدى الأمم في يقين وثقة قائلاً في صراحة الحق وقوته ، وسلطان الإعجاز وصولته :﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ **(الإسراء : ٨٨)** .

تعدّ الدراسات القرآنية رافداً مهماً لإثراء مكتبة اللغة العربية ؛ إذ اشتملت على جميع مستويات اللغة من صوت وصرف ونحو ودلالة فضلاً عن الدراسات البلاغية المتنوعة ، وكان الهدف الذي يجمع فيما بينها هو إظهار الإعجاز القرآني ، وبيان الدقة المحكمة التي انمازت بها لغة التنزيل .

وكنت أتوق إلى معرفة أسرار كتاب الله عز وجل ، راغباً في دراسة موضوع قرآني ، وبتوفيق من الله ﷻ وقع اختيار أستاذي المشرف على موضوع (الرحمة والغفران في القرآن الكريم ـ دراسة في مستويات اللغة ـ) ؛ ليكون موضوعاً لبحثي في مرحلة الماجستير ، وقد شرعت في جمع المادة العلمية للموضوع فبدا لي أن يكون تقسيم البحث على بابين ، يتضمن كل باب فصلين ، ويختص كل فصل بدراسة أحد مستويات اللغة الأربعة .

درست في الفصل الأول من الباب الأول : المستوى الصوتي ، وقد بحثت فيه دلالة الإيحاء الصوتي في أحد أصوات مادة (رحم) ومادة (غفر) ، ودلالة الإدغام ، ودلالة الوقف والابتداء ، والدلالة الصوتية في القراءات القرآنية .

وكان الفصل الثاني من هذا الباب مخصصاً لدراسة المستوى الصرفي ، إذ تبيّنت فيه دلالة الصيغة الصرفية في سياق الرحمة والغفران في القرآن الكريم ، ومنها المصادر وبعض المشتقات ، وتعقبت دلالة صيغة الاسم وصيغة الفعل في الجملة ودلالة استعمال صيغة فعلية محل صيغة فعلية أخرى، ودلالة الإفراد والجمع وختمت هذا الفصل بدراسة الجموع الواردة في سياق الآيات التي درستها .

أما الفصل الأول من الباب الثاني فدرست فيه المستوى النحوي مبيّناً أثر التراكيب النحوية المختلفة في تعبير القرآن عن الرحمة والغفران فبدأت بدراسة ثلاثة من الأساليب النحوية ، وهي أسلوب التوكيد ، وأسلوب الشرط ، وأسلوب الاستثناء ثم تبيّنت دلالة التنكير والتعريف ، ودلالة التقديم والتأخير ، ودلالة الحذف والتقدير وختمت الفصل بدراسة مسائل نحوية أخرى مختلفة .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد جاء مختصاً بدراسة المستوى الدلالي ، وكان هذا الفصل مقسماً على قسمين ، درست في القسم الأول الدلالة المعجمية لمادة (رحم) ومادة (غفر) ، ولثلاث من المواد الأخرى المرتبطة بهما وهي مادة (رأف) ومادة (صفح) ومادة (عفو) ، وانتهى هذا القسم ببيان معنى الاستغفار .

وكان القسم الثاني لدراسة الدلالة السياقية ، إذ كشفت فيه عن أثر السياق في لغة القرآن الكريم عندما يتحدث عن الرحمة والغفران ،وذلك من خلال دراسة الترابط الدلالي في خواتم الآيات ، واختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدّث عنه واحد ، والعدول عن الإضافة ، ودلالة الاستعارة ، ودلالة التورية ودلالة الاحتراس ، ودلالة التقديم والتأخير في السياق ، والأمر الموجه إلى الرسول الكريم محمد ـ ﷺ ـ بالاستغفار ، وأخيراً : النتائج المترتبة على الاستغفار .

وليس المقصود من عنوان الرسالة ألفاظ الرحمة والغفران فقط ، وإنما المقصود منه ألفاظ الرحمة والغفران والألفاظ المرادفة لهما التي حمل في فحواها معنى الرحمة والغفران منها لفظة (توّاب) ولفظة(أوّاب) ولفظة (رأف) ولفظة (صفح) ولفظة(عفا) وغيرها ، فهذه الألفاظ تدخل ضمن هذه الدراسة ؛ لأنها تدخل ضمناً في الرحمة والغفران ، وإن دراسة هذه الألفاظ مع الرحمة والغفران ضرورية لتكامل الموضوع .

ولا يشترط أن تكون لفظتا (رحم) و(غفر) متجاورتين أو متحدتين في السياق في هذه الدراسة ، إذ قد تكون متفرقة أو متحدة نحو (غفور رحيم) و(مغفرة ورحمة) أو (مغفرة) فقط أو (رحمة) فقط .

ويمكن أن تأتي هذه الألفاظ متجاورة كقوله تعالى : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٦) وقد قدمت الرحمة على الغفران ؛ لأنّ الرحمة أوسع من الغفران ، فالرحمة قد تكون رزق من الأرزاق ، أو قد تكون غفران لذنب من الذنوب ، فمن غفر له فقد رحمه ، وليس كلّ مرحوم مغفوراً له ، في حين أنّ المغفرة لا تكون إلا لذنب من الذنوب ، فضلاً عن ذلك فإنّ الآيات التي وردت في سياق رحمة الله تعالى ي القرآن الكريم أكثر من الآيات التي وردت في سياق الغفران .

ولم يكن موضوع الرسالة آيات الرحمة والغفران في القرآن الكريم ؛ لأنّ علم الآيات علم قائم بذاته ، فإذا أطلقنا على الآية التي ورد فيها لفظة (رحمة) أو (غفران) آيات الرحمة أو آيات الغفران أوهم ذلك أن هذه الآية لم يرد فيها سوى ذكر الرحمة أو ذكر الغفران ، ولم تكن مثلاً آية من آيات الأحكام الشرعية أو من موضوعات القرآن الأخرى كالجهاد والحج .

وتناولت في هذه الدراسة بعضاً من النصوص القرآنية التي تحمل في فحواها معنى الرحمة نحو (الرياح) في دلالة الإفراد والجمع ، فقد وردت (الرياح) في أكثر المواضع في القرآن الكريم جمعاً لتدل على الخير والرحمة ، ونحو (أرسل الرياح) و(يرسل الرياح) في دلالة استعمال صيغة فعلية محل صيغة فعلية أخرى وغير ذلك

وقد كانت مصادر البحث ومراجعه متنوعة وكثيرة ؛ إذ اقتضى منهج الدراسة الرجوع إلى كتب الصوت والصرف والنحو والدلالة فضلاً عن كتب التفسير والقراءات والبلاغة وكتب إعجاز القرآن .

وكان هذا التنوع رافداً كبيراً أمدّ البحث بمادته العلمية .

وقد ختمت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم ما خرج به البحث من نتائج، تليها لائحة بأسماء المصادر والمراجع ، وملخص الرسالة باللغة الإنكليزية .

أما الصعوبات التي مرت عليّ فكثيرة ، وكان أهمها ضيق الوقت مقابل سعة الموضوع ؛ لكونه يبحث في القرآن الكريم من جهة ، ويشتمل على دراسة مستويات اللغة كافة من جهة

أخرى ، ولكن بفضل الله تعالى ، وجهود أستاذي المشرف وصحبة إخواني وزملائي في دورة الماجستير ، استطعت أن أتجاوز هذه الصعوبات وأصل ببحثي هذا إلى ما وصل إليه .

وقبل أن أنهي هذه المقدمة أجد لزاماً علي أنْ أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ؛ لما سيبذلونه من وقتهم في قراءة الرسالة ، وما سيبدونه من آراء وأفكار تقوّم اعوجاجها ، وتصحح هناتها ، فجزاهم الله تعالى عن العلم وطلابه خير ما يجزي العلماء من عباده .

وفي الختام أسأل المولى العليّ القدير أن يمنّ عليّ بقبول هذا العمل القليل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله كفارة لي من كل ذنب ، وذخراً لآخرتي ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾ (الشعراء : ٨٨ ، ٨٩)

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

حيدر عبد الزهرة معيوف

الأربعاء : ٢٠٠٧/٤/٢٥م

الموافق:٧/ربيع الثاني/١٤٢٨هـ

النجف الأشرف

المستوى الصوتي

من خصائص أسلوب القرآن إعجازه في الاستعمال اللغوي ؛ إذ هو إعجاز عجيب يتجلى في نظامه الصوتي الذي يعني اتّساق القرآن وائتلافه اتساقاً عجيباً وائتلافاً بديعاً ، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور[1] .

ومن هنا يتجلى جمال لغة القرآن بما تتسم به من تناسق في أصواته فهذا ينقر وذاك يصفر ، وهذا يخفى وذاك يظهر ، وصوت يهمس وآخر يجهر فيخرج إلى الناس في هذه

(١) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني : ٣٣١/٢ .

المجموعة المختلفة والمؤتلفة الجامعة بين الشدة والرخاوة ، والجهر والخفة على وجه دقيق محكم[٢] . وهذا ما يسمى بـ(إعجاز النظم الموسيقي في القرآن) إذ تتناسب فيه أصواته على اختلاف مخارجها وصفاتها مناسبة معجزة [٣].

ويعد المستوى الصوتي أحد مستويات التحليل اللغوي الأربعة ويتم فيه " البحث عن أصغر وحدة في الكلمة ، وهذه الوحدة هي الصوت " [٤].

وسأحاول ـ في هذا الفصل ـ أنْ أكشف عن بعض ما للصوت اللغوي من أثر دلالي في سياق الآيات التي تتحدث على رحمة الله تعالى وغفرانه ، إذ سأتبيّن دلالة الإيحاء الصوتي فيها ، ولاسيما في أصوات الصيغ الواردة من مادتي (رحم) و(غفر) وكذلك دلالة الإدغام ، ودلالة الوقف والابتداء ، والدلالة الصوتية في القراءات القرآنية .

أولاً : دلالة الإيحاء الصوتي

يعني الإيحاء الصوتي أنّ أصوات كلمة ما بمخارجها وصفاتها تدل على المعنى الذي تحمله هذه الكلمة ،أو المراد منه ما يتوافر لأصوات هذه الكلمة من إيحاءات لها أثرها في نفس السامع ، ولاسيما إذا كانت الكلمة تعبّر عن معنى له أثر في النفس كالرحمة والغفران ؛ إذ إنّ كلاً من هاتين الكلمتين يشير إلى حقيقة مهمة في نفس السامع ، إذ ما من قارئ للقرآن مؤمن به إلا وتتوق نفسه لئن يكون ممن تناله رحمة الله تعالى ومغفرته .

وسأوضّح ما يتوافر لأصوات بعض الصيغ التي وردت من مادة (رحم) و(غفر) من إيحاءات ودلالات في النفس ، ولاسيما " أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة ، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في

(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٣٣٥/٢ ، التعبير الفني في القرآن الكريم ، د. بكري شيخ أمين : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٣) ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : ٢٤٤ .
(٤) مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة ، د. نعمة رحيم العزاوي : ٤٢ .

النفس من أصولها " [٥] ، فالأذن قد تحس موقع الدلالة الصوتية في الكلام عندما يحاكي فيه صوت معين معنى نفسياً [٦].

وقبل أنْ أوضح الإيحاء الصوتي في صيغ محددة كالرحمن أو الرحيم أو الغفران لابد من عرض موجز لمخارج أصوات مادة (رحم) ومادة (غفر) وصفاتها .

قال سيبويه (ت١٨٠هـ) في بيان مخرج الراء : " ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء " [٧] ، والراء صوت مجهور متوسط ، أي ليس شديداً ولا رخواً [٨] .

أما الحاء فهو من الأصوات الحلقية ؛لأنّ مخرجه من وسط الحلق[٩]، وهو صوت مهموس رخو[١٠]،وفيه بحّة تفرّق بينه وبين صوت العين ، قال الخليل (ت١٧٥هـ):

"ولولا بحة في الهاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين " [١١].

وأما الميم فهو من الأصوات الشفوية ؛ لأنه يخرج مما بين الشفتين[١٢] ، وهو يرجع إلى الخياشيم ؛ لما فيه من الغنة[١٣] ، وهو صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو ، وإنما هو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة[١٤] .

ونأتي الآن إلى أصوات مادة (غفر) ، فالغين من الأصوات الحلقية[١٥] ، وهو أدنى مخرجاً من الفم[١٦] ، والغين صوت مجهور رخو[١٧] . ومخرج الفاء من " باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى " [١٨] وهو صوت مهموس رخو[١٩] .

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٤٥ .
(٢) ينظر : الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم ، عباس حميد السامرائي،أطروحة دكتوراه : ٤٠
(٣) كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه : ٤٣٣/٤ .
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ، د.إبراهيم أنيس : ٥٥ ، المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. غانم قدوري الحمد : ١٠٣ ، ١١٤ .
(٥) ينظر : كتاب العين ، الخيل بن أحمد الفراهيدي : ٥٨/١ ، كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ .
(٦) ينظر : علم الأصوات اللغوية ، د. مناف الموسوي : ٨٥ .
(١) كتاب العين : ٥٧/١ .
(٢) ينظر : كتاب العين : ٥٨/١ ، سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جني : ٤٨/١ ،مخارج الحروف وصفاتها ، ابن الطحان : ٨٣ ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي : ١٠/١ .
(٣) ينظر : المقتضب ، أبو العباس المبرد : ٢٣٠/١ .
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية : ٤٦ ، علم الأصوات اللغوية : ٥٣ .
(٥) ينظر : كتاب العين : ٥٨/١ .
(٦) ينظر : كتاب سيبويه :٤٣٣/٤ .
(٧) ينظر : الأصوات اللغوية : ٧٠ ، علم اللغة العام / الأصوات ، د. كمال محمد بشر : ٨٨ ، ٩٩ .
(٨) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ ، وينظر : سر صناعة الأعراب : ٤٨/١ ، الكنز في القراءات العشر ، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي : ٣٨ ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د. عبد العزيز الصيغ : ٢٠٨ .
(٩) ينظر : الأصوات اللغوية : ٤٧ .

وإذا نظرنا إلى أصوات كل مادة من حيث الجهر والهمس وجدنا أنّ كل مادة تتكون من صوتين مجهورين وصوت مهموس ، أي إنّ الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة، وهذا ما يتفق مع أن الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة في كل كلام " ومن الطبيعي أن تكون كذلك ، وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميّز به الكلام من الصمت " [٢٠].

أما من حيث الشدة والرخاوة فإننا لا نجد في أصوات المادتين صوتاً شديداً ، وإنما تكونت مادة (رحم) من صوت رخو وصوتين متوسطين بين الشدة والرخاوة وتكونت (غفر) من صوتين رخوين وصوت متوسط .

ومن كثرة الأصوات المجهورة وانعدام الأصوات الشديدة في المادتين نستشعر أنّ أصوات هاتين المادتين تتميز بإيقاع جميل وانسيابية لطيفة تُشعر من يقرأ آيات الرحمة والغفران أو يسمع بها بارتياح كبير ، وتُحدث في نفسه شعوراً يصوّر له سعة رحمة الله تعالى وغفرانه ، ولا سميا أنه لا يوجد في هذه الأصوات صوت تعترض النفس معه عوائق ، وإنما تخرج هذه الأصوات جميعاً في مجرى واسع بانسيابية كبيرة.

أما من حيث الإطباق والانفتاح فنجد أنّ أصوات مادتي (رحم) و(غفر) أصوات منفتحة وليست مطبقة ، وربما يُوحي هذا إلى أنّ رحمته تعالى ومغفرته مفتوحتان دائماً لا تحدهما حدود ، فتنال رحمته جميع العباد مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم صغيرهم وكبيرهم ، فهم بالرحمة يوجدون وعليها يعتمدون وبها يرزقون ويُحاسبون ، وبرحمته الجنة يدخلون ، قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف : من الآية ١٥٦) وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (النجم : من الآية ٣٢).

أما من حيث القوة والضعف فنأخذ أصوات مادة(غفر) ، فحرف الغين هو الأول في هذه المادة فيه صفة القوة ؛ لأنه من حروف الاستعلاء ، والقوة في الحرف تكون "بالجهر وبالشدة ، وبالإطباق والتفخيم ، وبالتكرار وبالاستعلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي " [٢١] أما الفاء فهو من الحروف الضعيفة[٢٢] ؛ لأنه من الحروف المستفلة[٢٣] في حين أنّ الراء من الحروف القوية ؛ لأنه حرف تكرير[٢٤] .

---

(١٠) المرجع نفسه : ٢٢ .
(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها ، مكي بن أبي طالب : ١٣٧/١ .
(٢) ينظر : ألفاظ السلوك الخلقي في القرآن الكريم ، عبد الكريم مصلح أحمد البحلة (أطروحة كتوراه) : ٣٤ .
(٣) ينظر : الكنز في القراءات العشر : ٣٩ .
(٤) ينظر : سر صناعة الإعراب : ٦٣/١ .

ومن كثرة الأصوات القوية وقلة الأصوات الضعيفة يتبين لنا أنّ دلالة مادة (غفر) الصوتية تتلاءم ودلالتها المعجمية ، فأصوات مادة (غفر) توحي بأنّ المغفرة تدل على الستر والتغطية بقوة وذلك بإسقاط العقاب عن الذنب كلياً وإيجاب الثواب .

وبعد أنْ تعرّفنا الإيحاء الصوتي لأصوات مادتي (رحم) و(غفر) سنبيّن دلالة الإيحاء الصوتي في بعض الصيغ المشتقة من المادتين في القرآن الكريم .

ونبدأ بقوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة :١) إذ نجد في صيغة (الرحمن) ـ زيادة على أصوات مادة (رحم) التي تعرّفنا إيحاءها الصوتي ـ صوتي الألف والنون ، فالألف عند الخليل هوائية ؛ لأنها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء[٢٥] ، أما عند سيبويه وابن جني (ت٣٩٢هـ) فمخرجها من أقصى الحلق[٢٦] ويُسمّى صوت الألف عندهما بالهاوي ؛ لأنه " حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع الياء والواو " [٢٧] وفيه أعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين[٢٨] ، والألف صوت مجهور ،ويسمى عند المحدثين بالفتحة الطويلة،وهو أحد الصوائت الطويلة[٢٩] .

أما النون فهو صوت يخرج من الخياشيم[٣٠] وهو أسناني لِثوي أنفي مجهور[٣١] ليس شديداً ولا رخواً ، وإنما هو من الأصوات المتوسطة[٣٢] .

ويلاحظ من ذلك أنّ هذين الصوتين (الألف والنون) مجهوران فهما يزيدان نسبة الأصوات المجهورة في الكلمة بما يجعلها أكثر جمالاً وإيقاعية ، وأوضح في السمع أيضاً ؛ لأنّ الأصوات المجهورة تتميز بقوة وضوحها في السمع ؛ وذلك راجع إلى النغمة الحنجرية المتولدة من اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بهذه الأصوات [٣٣].

ومما يصوّر معنى السعة في كلمة (الرحمن) صوت الألف الذي يتميّز باتساع مخرجه واستطالة الصوت به [٣٤] وصوت النون الذي يخرج من الخياشيم بسهولة ، فضلاً عن ذلك فإنه يُثير بغنته جواً من الهدوء والارتياح [٣٥].

---

(١) ينظر : كتاب العين : ٥٨/١ .
(٢) ينظر : كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ ، سر صناعة الإعراب : ٤٦/١ ، الكنز في القراءات العشر : ٣٧ .
(٣) كتاب سيبويه : ٤٣٥/٤ ـ ٤٣٦ .
(٤) ينظر : في البحث الصوتي عند العرب ، د. خليل إبراهيم العطية : ٦١ .
(٥) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر : ٢٩٧ ، أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي : ٧ ، أصوات اللغة العربية ، د. عبد الغفار حامد هلال : ٩٢ .
(٦) ينظر : المقتضب : ٣٣٠/١ ، سر صناعة الإعراب : ٤٨/١ .
(٧) ينظر : علم الأصوات ، برتيل مالمبرج : ٩٢ ، علم اللغة العام / الأصوات : ١٣٠ .
(٨) ينظر : الكنز في القراءات العشر : ٣٩ ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ١٢٨ .
(٩) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : ١٠٨ .
(١٠) ينظر : التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجياالعربية) ، د. سلمان حسن العاني : ١١٥.

وفي كلمة (الرحيم) نجد ـ زيادة على أصوات مادة (رحم) التي تقدّم الحديث عنها ـ صوت الياء وهو مما يشارك في تصوير معنى السعة والارتياح في هذه الكلمة ؛ لأنه من حروف المد واللين[٣٦] التي يستطيل الصوت بها ويمتد[٣٧] .

وما قيل في زيادة الألف والنون على أصوات مادة (رحم) وإيحائها الصوتي يقال أيضاً في زيادتها على أصوات مادة (غفر) وإيحائها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٥)، فلفظة (غفرانك) بغلبة أصواتها المجهورة الواضحة في السمع تجعل هذه اللفظة ذات جِرس معبّر وإيقاع مؤثر ، زيادة على وجود الألف بلينها واستطالتها ، والنون بغنتها وسعتها وتصور لنا ما تأمله النفس من ربها الغفور الرحيم حين تلهج بـ(غفرانك) إذ كأنها تجد في هذه الأصوات تنفيساً وسعة وارتياحاً مما يدفعها إلى أن تردد هذه الكلمة المأنوسة ذات الأصوات الجميلة الإيقاع .

وقد يكون أحد حروف الكلمة أكثر إيحاء من غيره ؛ لذا نجد الدكتور محمد حسين الصغير يخص صوت الحاء بدلالته الصوتية في قوله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (الإسراء : ٢٤) ، فيقول : "و(الرحمة) و(ارحمهما) لفظان متلازمان في بحة الحاء المنطلقة من الصدر ، فهي صوتياً مثلها دلالياً من القلب وإلى القلب ، ومن الشفاف إلى الشفاف ، وهنا يظهر أنّ الرحمة ظاهرة واقعية تنبعث من داخل النفس الإنسانية ، فيتفجر بها الضمير الحي النابض بالطهارة والنقاء والحب السرمدي ، فهي إذن لا تُفرض من الخارج بالقوة والقهر والاستطالة ، وإنما سبيلها سبيل الماء المتدفق من الأعالي ؛ لأنها صفة ملائكية ، تمزج الإنسانية بالصفاء الروحي " [٣٨].

ومن ذلك أيضاً ما قيل في زيادة (ما) في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : من الآية ١٥٩) ودلالة زيادة (ما) هنا هي للإشارة إلى أنّ لين النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن إلا بسبب الرحمة العظيمة من الله جل وعلا [٣٩].

---

(١١) ينظر : الدلالية الصوتية في القرآن الكريم ، كريم مزعل اللامي (رسالة ماجستير) : ٤٣ .
(١) ينظر : التمهيد في علم التجويد ، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بـ (ابن الجزري) : ٩٢ .
(٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد : ٣٤٤ .
(٣) الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير : ١٧٨ .
(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي : ٨٣/٣ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر البقاعي : ١٧٣/٢ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني : ٣٦٠/١ .

ويرى الرافعي أنّ في المد في (ما) ـ وهو ما يحققه صوت الألف ـ وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخّمه[٤٠] ، إذ كأن صوت الألف باتساع مخرجه واستطالة الصوت به يشعر بسعة رحمة الله تعالى التي كان بمقتضاها لين النبي ـ ﷺ ـ لأصحابه .

فضلاً عن ذلك فإنّ في زيادتها فائدة جليلة ، وهي أنه لو قال : فبرحمة من الله لِنت لهم ، جوّزنا أنّ اللين كان للسبب المذكور ولغير ذلك ، فلما أدخل (ما) قطعنا بأنّ اللين لم يكن إلا للرحمة [٤١].

ثانياً : دلالة الإدغام

الإدغام هو " تقريب صوت من صوت " [٤٢]وهو في اصطلاح النحويين : " أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ، (...) والغرض بذلك طلب التخفيف ؛ لأنه ثقل عليهم التكرير ، والعود إلى حرف بعد النطق به " [٤٣]. والإدغام عند قراء القرآن هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً،وينقسم إلى كبير وصغير،فالكبير:ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً سواءاً أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين،والصغير هو الذي يكون الأول منهما ساكناً [٤٤]فالإدغام هو إدخال حرف بحرف

أما عند المحدثين فهو " عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني ، بحيث يُنطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني " [٤٥] ، وتعريف النحويين للإدغام أدق من تعريف المحدثين ؛لأنّ الصوت الأول لا يفنى في الثاني وإنما يُدخل فيه.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) . فقد شُدّدت الراء في (الرحمن الرحيم) ؛ وذلك لانقلاب اللام راء ، وإدغام الراء في الراء ، وإنما أُدغمت اللام في الراء لقرب المخرجين[٤٦] ، وكثرة لام التعريف[٤٧] . جاء في التفسير الكبير : " تشديد

(٢) ينظر :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٦٢.
(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٨٣/٣ .
(١) الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني : ١٤١/٢ .
(٢) شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش : ١٢١/١٠ ، الصوت اللغوي في القرآن : ١١٦ .
(٣) ينظر : النشر في القراءات العشر ، شمس الدين بن محمد الجزري : ٢٧٤/١ ـ ٢٧٥ .
(٤) الأصوات اللغوية : ١٣٤ .
(٥) ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه : ١٢ .
(٦) ينظر : إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس : ١١٧/١ .

الراء من قوله (الرحمن الرحيم) لأجل إدغام (لام التعريف) في (الراء) ، ولا خلاف بين القراء في لزوم إدغام (لام التعريف) في (اللام) وفي ثلاثة عشر حرفاً سواه وهي :(الصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والدال والذال ، والراء ، والزاي ، والطاء ، والظاء ، والتاء، والثاء ، النون) ، (...) والعلة الموجبة لجواز هذا الإدغام قرب المخرج ، فإنّ اللام وكل هذه الحروف المذكورة مخرجها من طرف اللسان وما يقرب منه ، فحسُن الإدغام ، ولا خلاف بين القراء في امتناع إدغام (لام التعريف) فيما عدا هذه الثلاثة عشر ، (...) ، وإنما لم يجز الإدغام فيها لبُعد المخرج ، فإنه إذا بعُد مخرج الحرف الأول عن مخرج الحرف الثاني ثقل النطق بهما دفعةً ، فوجب تمييز كل واحد منهما عن الآخر ، بخلاف الحرفين اللذين يقرب مخرجهما ؛ لأنّ التمييز بينهما مشكل صعب " [٤٨].

ومما جاء من الإدغام في سياق رحمة الله تعالى إدغام المثلين ، ومن ذلك إدغام الراء في مثلها ، فقد رُوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يُدغم الراء في مثلها ساكناً كان ما قبلها أم متحركاً [٤٩].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم : ٥٠) وقوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى : ٢٨) ، وذلك في (آثارْ رَحمة) في الآية الأولى و(ينشرْ رَحمتَه) في الآية الثانية، فتكون صورتهما الصوتية (أثارَّحمته) و(ينشرَّحمته) .

وقد ورد أيضاً إدغام المتقاربين في سياق رحمة الله تعالى كإدغام النون في الراء[٥٠] وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً ﴾ (الإسراء : ١٠٠) .

وقوله تعالى في سورة ص: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ (ص : ٩)،وذلك في (خزائن رحمة) في الآيتين،فتكون صورتها الصوتية(خزائرَّحمته) وهي قراءة

(١) التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ١٠٢/١ ـ ١٠٣.
(٢) ينظر : إدغام القراء ، أبو سعيد السيرافي : ٣٦ ، الكنز في القراءات العشر : ٢١٨ ، ٢٣٤ .
(٣) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن : ١٢٨ .

أبي عمرو بن العلاء.وقد جاء أيضاً إدغام المتقاربين في سياق مغفرته تعالى ،ومن ذلك إدغام الراء في اللام ، فقد حكى أبو بكر بن مجاهد (رحمه الله) عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يدغم الراء في اللام ساكنة كانت الراء أم متحركة[٥١]،فمثال الراء الساكنة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٦) ، إذ أدغمت الراء الساكنة باللام في (فَاغْفِرْ لَنَا).

وأما إدغام الراء المتحركة في اللام فمنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾ (النساء : ١٣٧) ، إذ أدغمت الراء المتحركة في اللام في (لِيَغْفِرَ لَهُمْ).

وقوله في سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ (الفتح : ١،٢)،وذلك في(لِيَغْفِرَ لَكَ).

وكذلك تدغم النون الساكنة أو التنوين إذا لقيت أحد الحروف الخمسة التي تدغم فيها النون وهي :(اللام ، والراء، والميم ، والواو ، والياء) ، فالنون الساكنة أو التنوين تدغم عند اللام أو الراء بغير غنة ، بينما تُدغم عند الميم أو الياء أو الواو بغنة[٥٢].

ومن ذلك إدغام النون الساكنة بحرف الراء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص : ٧٣) وقوله تعالى في سورة الحديد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ

(٤) ينظر : إدغام القراء : ٣٩ ، الكنز في القراءات العشر : ١٤٨ ، ١٧٩ ، ٢٢٦ .
(١) ينظر : إدغام القراء : ٥٥ ، والغنة : هي صوت من أصوات الخيشوم ، ينظر : جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد : ٧/١ .

نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحديد : ٢٨) ، وذلك في (من رحمته) في الآيتين.

ومن ذلك أيضاً إدغام نون التنوين بحرف الراء في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٩٩) .

وقال في سورة المائدة : ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة : ٧٤) ، وذلك في (غفور رحيم) في الآيتين .

ثالثاً : دلالة الوقف والابتداء

الوقف " عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله ، لا بنية الإعراض " [٥٣].

فهو فن جليل ، وبه يُعرف كيفية أداء القرآن ، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة ، وبه تتبين معاني الآيات ، ويُؤمن بمراعاته من الوقوع في المشكلات[٥٤] ؛ " لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل " [٥٥].

أما الابتداء فهو " الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف " [٥٦] فالعلاقة بين الوقف والابتداء تتلخص في أنّ كل وقف يعقبه ابتداء ، وأما الابتداء فقد يكون بعد وقف وهو ما نعنيه في هذه الدراسة ، وقد يكون بعد أن قطعت القراءة وانتقلت منها إلى حالة أخرى ، أي إنك ابتدأت بالقراءة بعد أن قطعتها من غير نية استئنافها وهذا ما لا يدخل في هذه الدراسة .

والوقف على ثلاثة أقسام [٥٧]:

١. الوقف التام : وهو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده مما يتعلق به .
٢. الوقف الحسن : وهو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده .
٣. الوقف القبيح : وهو الذي ليس بتام ولا حسن ، ولا يفهم منه المراد .

ولا يتم الوقف على المضاف من دون المضاف إليه ، ولا على الجار من دون مجروره ، ولا على المنعوت من دون نعته ، ولا على الرافع من دون مرفوعه ، ولا على الناصب من دون منصوبه ، ولا على المؤكد دون توكيده ، ولا على المعطوف من دون المعطوف عليه ، ولا على المبدل منه من دون البدل ، ولا على (أنّ) من دون اسمها أو (أنّ واسمها) من دون خبرها ، ولا على (كان) من دون اسمها أو(كان واسمها) من دون خبرها ، ولا على (ظن وأخواتها) من دون أسمائهن وأخبارهن ، ولا على صاحب الحال من دون الحال ، ولا على المستثنى منه من دون الاستثناء ، ولا على المميز من دون تمييزه ، ولا على الموصول من

(١) النشر في القراءات العشر : ٢٤٠/١ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣٤٢/١ .
(٣) فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي : ١٧٩ ، الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي : ٢٣٠/١ .
(٤) الوقف والابتداء ، السيد إسماعيل علي سليمان ، بحث منشور في الموسوعة القرآنية المتخصصة ، إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق : ٤٠٣ .
(٥) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : ١٤٩/١ ـ ١٥٠ ، فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن : ١٨٩ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢٣٢/١ ـ ٢٣٣ .

دون صلته ، ولا على الفعل من دون مصدره ، ولا على الاستفهام من دون ما استفهم عنه ، ولا على الشرط من دون فعله ، ولا على القسم من دون جوابه ، ولا على (لا) الناهية من دون المجزوم بها ، ولا على (قال) من دون المقول[٥٨] .

ومن مواضع الوقف والابتداء ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) .

فالوقف على (بسم) قبيح ؛ لأنه مضاف إلى (الله) تعالى ، والمضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد ، والوقف على (بسم الله) حسن وليس بتام ؛ لأنّ (الرحمن) نعت للفظ الجلالة (الله) ، والنعت متعلق بالمنعوت ، فلا يحسن الابتداء به ؛ لأنه جارٍ على ما قبله ، وكذلك الوقف على (الرحمن) ، والتمام (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [٥٩] .

جاء في التفسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) : " أجمعوا على أنّ الوقف على قوله (بسم) ناقص قبيح ،وعلى قوله (بسم الله) أو على قوله (بسم الله الرحمن) كافٍ صحيح ، وعلى قوله : (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) تام ، وأعلم أنّ الوقف لابدّ وأنْ يقع على أحد هذه الأوجه الثلاثة ، وهو أن يكون ناقصاً أو كافياً أو كاملاً ، فالوقف على كل كلام لا يُفهم بنفسه ناقص ، والوقف على كل كلام مفهوم المعاني إلا أن ما بعده يكون متعلقاً بما قبله يكون كافياً ، والوقف على كل كلام تام ويكون ما بعده منقطعاً عنه يكون وقفاً تاماً " [٦٠].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۞دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء : ٩٥ ، ٩٦) .

فهاتان الآيتان كانتا في صدد الموازنة بين المجاهدين والقاعدين من المؤمنين ، وهذا ما يجعل الشد النفسي على أوجه عند المؤمنين ، فالقاعد مشدود النفس حياء من الله مقابل تقصيره ، والمجاهد مشدود النفس ترقباً وانتظاراً للجزاء الرباني الذي قدّم نفسه في سبيله ،

(١) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء : ١٢٣/١ ـ ١٤٧ ، الدراسات اللغوية والنحوية في كتب الوقف والابتداء د. عبد الرزاق أحمد محمود الحربي (أطروحة دكتوراه) : ١٢٣ ـ ١٣٢ .
(٢) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء : ٤٧٤/١ ، القطع والائتناف ، أبو جعفر النحاس : ٤٠ .
(٣) التفسير الكبير : ١٠١/١ .

وإذا بالآية تنتقل من أسلوب الشد والموازنة وبحسن تخلص عجيب إلى مفردات (المغفرة والرحمة) وتقف على الرحمة في موقفين في الآية نفسها : ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ .

فقوة في الغفران ، ورخاوة ولطافة وسعة في الرحمة ، وعند التوقف على الرحمة يكون هو الشعور السائد ؛ لأنّ نهايات الكلام لها الإيقاع الشديد في النفس وبكل ما تُشعِر به حروف الرخاوة والسعة واللطافة ، وخصوصاً بعد القوة المتأتية من الغين في (غفر) ، تجعل المجاهد يرتخي من انشداد ويتسع مع أصوات الرحمة ويتشوق إلى الآتي من تتمة الآية فيجدها توكيداً لمشاعره فالله (غفوراً رحيماً) ، وعند التوقف في حالة النصب يكون اللفظ فيه إطلاق ، فيكون الشعور بالرحمة فيه إطلاق أيضاً ، فهذه الرحمة تكون مطلقة على أوجها .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس : ٥٢) .

قال الفراء (ت ٢٠٧هـ) : " إنّ الكلام انقطع عند (المرقد) ، ثم قالت الملائكة لهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، فـ(هذا) و(ما) في موضع رفع كأنك قلت : هذا وعد الرحمن ، ويكون ﴿ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾ فيكون (هذا) من نعت (المرقد) خفضاً و(ما) في موضع رفع : بعثكم وعدُ الرحمن " [٦١].

(٢) معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء : ٣٨٠/٢ .

وقال أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) في قوله تعالى :﴿ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ " وقف حسن ، ثم تبتدئ ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ ، وقال الحسن : بل المؤمنون قالوا هذا القول ، ويجوز أن تقف على ﴿ مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا ﴾ فتخفض (هذا) على الإتباع لـ (المرقد) وتبتدئ ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ على معنى : بعثكم ما وعد الرحمن ، أي : بعثكم وعدُ الرحمن" [٦٢].

ووافقه في ذلك أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) إذ قال : " (هذا) في موضع رفع بالابتداء وخبره (ما وعد الرحمن) ، ويجوز أنْ يكون (هذا) في موضع خفض على النعت لـ(مرقدنا) ، فيكون التمام (من مرقدنا هذا) ، ويكون (ما وعد الرحمن) في موضع رفع من ثلاث جهات ذكر أبو إسحاق منها اثنين ، قال : يكون بإضمار (هذا) والثانية : أن يكون بمعنى : حق ما وعد الرحمن ، وقال أبو جعفر : والثالثة : أن يكون بمعنى بعثكم ما وعد الرحمن " [٦٣] فيكون (هذا) مبتدأ ، و(ما وعد الرحمن) الخبر ، أو يكون (هذا) نعت لـ(مرقدنا) فيوقف عليه ، و(ما وعد) مبتدأ والخبر محذوف أي : هذا ما وعد الرحمن ، أو حقٌّ ما وعد الرحمن ، أو بعثكم ما وعد الرحمن[٦٤] .

فـ(هذا) مبتدأ و(ما) الخبر ، على أنها موصولة بمعنى (الذي) والهاء محذوفة من (وعد) ، أو على أنها مصدرية ، فتكون (ما) وما بعدها بتأويل مصدر ، فلا يُقدر حذف الهاء ، والتقدير : هذا وعد الرحمن ، والله أعلم[٦٥] .

فعلى القول الأول يكون الوقف على (مرقدنا) ، وعلى القول الثاني يكون الوقف على (هذا) ، إلا أنّ الوقف على اسم الإشارة قبيح ؛ لفصله بين المبتدأ وخبره ؛ ولأنه يوهم أنّ الإشارة إلى مرقدنا ، وليس كذلك عند أئمة التفسير ، والابتداء بـ(هذا) كاف أو تام ؛ لأنه وما بعده جملة مستأنفة ردّ بها قولهم[٦٦] .

فإنعام النظر في معنى الآية وتحكيم المقام هنا يوجب أنْ يكون الوقف على (مرقدنا) ؛ لأنّ " المقام غني عن وصف المرقد باسم الإشارة حتى للإيضاح ؛ لأنهم يقولون ذلك عند خروجهم من الأجداث ومراقد القبور، وإن إخراج اسم الإشارة عن كونه مبتدأً و(ما وعد)

(٣) إيضاح الوقف والابتداء : ٨٥٣/٢ ـ ٨٥٤ .
(١) إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس : ٧٢٨/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي : ٣١/١٥ .
(٢) ينظر : تفسير الكشاف ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري : ٢٠/٤ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الغرناطي : ١٦٥/٣ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي : ٤٠٩/٢ .
(٣) ينظر : الموسوعة القرآنية ، إبراهيم الأبياري ، ود.عبد الصبور شاهين : ٥٤٩/٣ .
(٤) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٣٠/١ . .

خبره ليخرج الكلام عن الانتظام ، ويجعل صورته الحسنى مشوشة ، وهي للنفي أقرب منها للإثبات ، وهو ضد المعنى الذي سيقت لبيانه الآية"[٦٧].

وبهذا تتضح صور الدلالة الصوتية وما يحدثه الوقف من تغيّر في المعنى في هذا النص القرآني .

ومما يجب فيه الوقف أيضاً قوله تعالى :﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (الإنسان: ٣١) .

إذ يجب الوقف على كلمة (رحمته) ، فلا يجوز أن يُوصل بكلمة (الظالمين) ويُوقَف عليها ؛ لأنّ المعنى سيكون أنّ الله تعالى يُدخل من يشاء في رحمته ويُدخل الظالمين في رحمته ، وحاشا له أن يفعل ذلك ؛ إذ لو فعل ذلك لانتفى عنه العدل ولجاز منه الظلم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

لذا يجب الوقف على كلمة (رحمته) والابتداء بما بعده ؛ لئلا يُتوهم أنه تعالى يُدخل الظالمين في رحمته .

قال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) : " والظالمين : انتصب بالجوار ، ولا يدخل الظالمين في رحمته " [٦٨].

وذكر أبو جعفر النحاس ذلك قائلاً : " لا ينبغي أن يقول (والظالمين) ؛ لأنه منقطع مما قبله ، منصوب بإضمار فعل ، أي : ويعذب الظالمين أو وأوعد الظالمين"[٦٩].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً۞ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴾ (النبأ : ٣٦ ، ٣٧) .

فمن رفع (ربّ السموات) و(الرحمن) وقف على قوله ﴿ عَطَاء حِسَاباً ﴾ كأنه قال : (جزاءً من ربك عطاءً حساباً) ثم يبتدئ بالرفع (ربُّ السموات والأرض وما بينهما

(٥) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي : ٤٧/١ .
(١) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى : ٢٨٠/٢ .
(٢) القطع والائتناف : ٢٨ .

الرحمن) ، ولا يتم الكلام على قوله ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾؛ لأنّ (الرب) عز وجل مرفوع بـ(الرحمن) ، و(الرحمن) مرتفع به ، وأما من قرأ : (ربِّ السموات والأرض وما بينهما الرحمنِ) بالخفض ، وقف على قوله ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴾، ولا يتم الوقف على قوله ﴿ حِسَاباً ﴾ ؛ لأنّ (رب السموات) نعت لقوله ﴿ جَزَاء مِّن رَّبِّكَ ﴾ كأنه قال : (جزاءً من ربِّك عطاءً حساباً ربِّ السموات والأرض وما بينهما الرحمنِ) ومن قرأ (ربِّ السموات والأرضِ) بالخفض ، وقرأ (الرحمنُ) بالرفع كان تمام الكلام على قوله ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ثم يبتدئ (الرحمنُ) على معنى : هو الرحمن(٧٠).

وبهذا يتضح ما للوقف والابتداء من أثر في المعنى القرآني في سياق الآية الواحدة .

(١) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء : ١٢٢/١ ـ ١٢٣ .

رابعاً : الدلالة الصوتية في القراءات القرآنية

سنتعرف في هذا المبحث أثر الصوت اللغوي في القراءات القرآنية التي تُقرأ باختلاف صوت منها ، وما يضفيه الصوت من دلالة في سياق الآية بما يفيد حكماً جديداً أو معنى مفيداً .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) ، فالقراءة التي توافق رسم المصحف هي ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ بضم الفاء والمعنى : " من جنس أنفسكم وخَلْقكم ؛ لتكونوا إليه أسكن ، وإلى القبول منه أقرب ، ويجوز أن يكون ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي : من قبيلكم وعشيرتكم ، كما يقول القائل ، فلان من أنفس بني فلان ، أي : من صميم أنسابهم ، وليس من وسائطهم وملاصقهم " [٧١].

فالنبي ـ ﷺ ـ " بضعة من أنفسهم،تتصل بهم صلة النفس بالنفس ، وهي أعمق وأحس " [٧٢]؛ ليكون موجب الإجابة والإيمان أظهر وأبين[٧٣] .

والعلاقة في المعنى بين ما تدل عليه هذه القراءة ووصف النبي ـ ﷺ ـ بالرحمة هي أنه لما كان ـ ﷺ ـ من أنفسهم ناسب أن يكون رحيماً بهم .

وقُرئ (من أنفسكم) بفتح الفاء من النفاسة ، وهي قراءة أبي العالية والضحاك وابن محيصن ، بمعنى : جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم وأعزكم [٧٤] .

وقيل : هي قراءة رسول الله ـ ﷺ ـ وفاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ وعائشة ـ رضي الله عنها ـ[٧٥] . والمعنى على هذه القراءة أنه ـ ﷺ ـ لما كان من أنفسكم كان رحيماً بكم أي اتصف بالرحمة لكونه من أنفس قومه .

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي : ١٥٢ .
(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٤٦/١١ .
(٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : ٦٦/١ .
(٤) ينظر : تفسير الكشاف : ٣١٤/٢ ،كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٨٨/٢ ، الموسوعة القرآنية : ٥٤٢/٤ .
(٦) ينظر : تفسير الكشاف : ٣١٤/٢ ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين الشهير بالبناء : ٣٠٨ .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف : ١٩).

قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن محيصن واليزيدي والشنبوذي وعبد الله بن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وعلقمة (عبادُ الرحمن) جمع (عبد) [٧٦]. واحتج أبو عبيدة لهذه القراءة بأنّ الإسناد فيها أعلى ، وأنها رد لقولهم : الملائكة بنات الله فقال : ليسوا بنات بل هم عباد [٧٧].

وقرأ عمر بن الخطاب والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر وشيبة والأعرج وعاصم وابن محيصن وابن عامر وابن كثير وأبان عن عاصم ونافع ويعقوب وسعيد بن جبير (عند الرحمن) ظرفاً [٧٨].

قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ): " وهو أدل على رفع المنزلة وقرب المكانة "[٧٩] وهذا من القرب في المنزلة والرفعة في الدرجة ، وليس من قرب المسافة [٨٠]، وحجة من قال (عند الرحمن) قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠٦) وقوله : ﴿وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (الأنبياء : من الآية ١٩) .

قال الفخر الرازي : " هذه العندية عندية الشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكأنه تعالى قال : الملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن طاعته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته " [٨١].

ورجّح أبو جعفر النحاس قراءة من قرأ (عند) لثلاثة أوجه[٨٢] :

الأول : أنّ سعيداً بن جبير احتج على ابن عباس بالمصحف ، فقال :في مصحفي (عند) ، وهذه حجة قاطعة ؛ لأنّ جماع الحجة من كُتُب المصاحف مما نقلته الجماعة على أنه (عند) .

---

(١) ينظر : تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : ١٦/٨ ، معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب : ٣٥٧/٨ .
(٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٨٣/٣ .
(٣) ينظر : كتاب معاني القراءات ، أوب منصور محمد بن أحمد الأزهري : ٤٣٨ ، الموسوعة القرآنية : ٨٧٧/٤ ، معجم القراءات : ٣٥٧/٨.
(٤) تفسير البحر المحيط : ١٦/٨ ، وينظر : غيث النفع في القراءات السبع ، علي النوري بن محمد الصفاقسي : ٥٢٩ .
(٥) ينظر : الحجة للفراء السبعة ، أبو علي الفارسي : ٣٧٠/٣ .
(١) التفسير الكبير : ١٢٦/٢٢ .
(٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٨٤/٣ .

والثاني : لوكان (عباد) لوجب أن يُكتب بالألف ، كما كُتِب قوله تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٦) .

والثالث : أنّ الذي احتج به أبو عبيدة بأنه رد لقولهم بنات لا يلزم ؛ لأنّ عباداً إنما هو نفي لمن قال : ولد ؛ لأنه يقع للمذكر المؤنث .

فضلاً عن ذلك فإنّ كلَّ الخلق عباده فلا مدح لهم فيه[٨٣] . فالأشبه بنسق الآية قراءة من قرأ (عند) ؛ لأنّ المعنى فيه وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن أي لم يروهم ، فكيف عرفوا كونهم إناثاً وهم عند الرحمن وليسوا عندهم ؟[٨٤] .

ثانياً : الدلالة السياقية

سأدرس فيها الظواهرَ الدلاليّة البارزة الواردة في سياق الرحمة والغفران، بما تشعّه من دلالات في النظم والتركيب ، ومما نقف عنده من ذلك :

أ ـ الترابط الدلالي في خواتم الآيات :

لا تنتهي آيةٌ قرآنيةٌ إلا بفاصلةٍ ملائمةٍ كلَّ الملائمة لمعناها ، مستقرّة في قرارها مطمئنة في مكانها،غير نافرة ولا قلقة،ولكنّ الأفهام قد تتضاءل عن إدراك سرّها[١]

(٣) التفسير الكبير : ٢٧ / ٦٢٥ .
(٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٨٤/٣ .

قال الأصمعي : قرأت قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٨) ، وإلى جنبي أعرابي ، فقلت : والله غفور رحيم سهواً ، فقال الأعرابي : كلامُ مَنْ هذا ؟ فقلت : كلامُ اللهِ . قال : أَعدْ ، فأعدتُ : والله غفور رحيم ، فقال : ليس هذا كلام الله ، فانتبهتُ ، فقلت : والله عزيز حكيم ، فقال : أصبت ، هذا كلام الله . فقلت له : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا . قلت : فمن أين علمت أنّي أخطأت ؟ فقال : يا هذا عزّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع[٨٥] .

وسأحاول أن أتبين ما تضفيه خاتمة الآية من دلالة في سياق ذكر الرحمة والغفران متعقباً الترابط الدلالي بين خاتمة الآية ومضمونها والسياق الذي وردت فيه ، ومن ذلك ما يأتي :

١ـ الاختتام بـ(غفور رحيم) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : من الآية ١٩٩) وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١) ، وقال أيضا : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل : من الآية ١١٥) .

فهذه الآيات مختتمة بالفاصلة (غفور رحيم) ؛ وذلك لأنها جاءت في مقام الإطماع في مغفرة الله تعالى ، حيث يكون هناك خروج عن أوامر الله سبحانه ، ومقارفة للمعصية ، فتجيء مغفرة الله في هذا المقام ، فتفتح للعاصين والمنحرفين عن سواء السبيل الطريقَ إلى الصلح والمغفرة ، لِمَ ؟ لأنّهم في رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء[٨٦] .

فقد وردت فواصل آي الذكر الحكيم ، مما يتصل بالرحمة والمغفرة في سبعين موضعاً ، كلّها كانت تختم بالفاصلة (غفور رحيم)[٨٧] . باستثناء موضعٍ واحدٍ جاءت فاصلة الآية فيه

---

(١) ينظر : البناء الصوتي في البناء القرآني ، د. محمد حسن شرشر ، : ٦٩ـ٧٠ ، التعبير الفني في القرآن الكريم: ٢١٠ .
(٢) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ٣٥٤/٢ .
(١) ينظر : إعجاز القرآن : ٢٦٥/٢ .
(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٦ـ٦٣٧ ، وينظر غير ما ذُكِر : البقرة : ١٧٣ ،١٨٢ ،١٩٢ ،٢١٨، آل عمران: ٨٩ ،١٢٩، النساء : ٢٣، ٢٥، ٩٦، ١٠٠ ، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٢ ، المائدة : ٣، ٣٤، ٣٩، ٧٤، ٩٨، الأنعام : ٥٤، ١٤٥، ١٦٥، الأعراف : ١٥٣ ، ١٦٧، الأنفال : ٦٩، ٧٠، التوبة : ٥، ٢٧، ٩١، ٩٩، ١٠٢، يونس : ١٠٧ ، هود : ٤١، يوسف : ٥٣، ٩٨، إبراهيم : ٣٦، الحجر : ٤٩ ، النحل : ١٨، ١١٠، ١١٩ ، النور : ٥، ٢٢، ٣٣، ٦٢

على غير ما وردت عليه الفواصلُ السابقة ، فقد خُتمتْ هذه الآية بـ (الرحيم الغفور) وذلك في سورة سبأ ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ : ٢).

ففي هذه الآية " لا نجد المغفرة هي المطلوب الأول فيه ، إذ ليس هناك حال يستدعيها استدعاءً مباشراً ، حيث لا عُصَاة ولا مذنبين تهتف بهم مغفرة الله وتدعوهم إلى ساحتها ، وإنما الذي هنا هو هذا الخلق العظيم الذي أوجده الله سبحانه ، وملك أمره والوجود خير من العدم ، وأفضل منه ، وهو رحمة من رحمة الله الواسعة ، ولهذا شملت رحمة الله الوجود كلَّه ؛ لأنّه موجود من رحمة الله وبركته ، فناسب ذلك أن يجيء ذكر (الرحيم) أولاً ؛ لأنّ الرحمة هي صاحبة الموقف هنا ، وهي التي منها وبها كان هذا الوجود ، الذي تعرض الآية صوراً منه " [٨٨] .

ومما ناسب أن تجيء المغفرةُ بعد الرحمة ؛ أنّ الإنسان وهو مخلوق لله ومن رحمة الله ، قد ضلّ عن وجوده ، وعصى خالقه وخالف أمرَه ، وأفسد الفطرة السليمة التي أودعها الخالق فيه ، ومع هذا فإنّ مغفرة الله ورحمته لا تتخلى عن هذا الإنسان في أيّ حالٍ من أحواله ؛ لأنّ رحمته واسعة لا حدود لها[٨٩] . قال تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف:من الآية ١٥٦) .

٢ . الاختتام بـ(غفور حليم) :

ومن ذلك قولهُ تعالى : ﴿ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٢٥) .

، الفرقان : ٦، ٧٠ ، النمل : ١١ ، القصص ١٦، الأحزاب : ٥، ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ ، الزمر : ٥٣ ، فصلت : ٣٢ ، الشورى : ٥، الأحقاف : ٨ ، الفتح : ١٤ ، الحجرات : ٥، ١٤ ، الحديد : ٢٨ ، المجادلة : ١٢ ، الممتحنة : ٧، ١٢ ، التغابن : ١٤ ، التحريم : ١، المزمل : ٢٠ .

(٣) إعجاز القرآن : ٢٦٦/٢ .

(١) ينظر : إعجاز القرآن : ٢٦٦/٢ـ ٢٦٧ .

" ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم ؛ لأنّ هذه مغفرة لذنبٍ هو من قَبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى ؛ فلذلك وصَفَ اللهُ نفسه بالحليم ؛ لأنّ الحليم هو الذي لا يستفزّه التقصيرُ في جانبه ولا يغضب للغفلة ، ويقبل المعذرة " [٩٠].

وذكر أبو سليمان الخطابي أنّ الحليم بالصفح والأناة الذي لا يستفزّه غضبٌ ولا يستخفّه جهلُ جاهلٍ ، ولا عصيان عاصٍ مع قدرته على العقوبة ، ولا يستحق اسم الحليم مَنْ سامح مع العجز عن المجازاة ، وإنما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة[٩١] .

٣ ـ الاختتام بـ(حليم غفور) :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (الإسراء : الآية ٤٤) . فما وجه الختام بالحلم والمغفرة عقيب تسبيح الأشياء وتنزيهها ؟

والجواب : هو " فكأنه سبحانه يقول: كأنّه كان من كبير إغفالكم النظرُ في دلائل العِبَر مع امتلاء الأشياء بذلك (....) وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمُّل ما يوجب القربة لله ، مما أودع مخلوقاته بما يُوجب تنزيهه ، فهذا موضع حِلم وغفران كما جرى في ذلك من الإفراط والإهمال " [٩٢] .

فهو حليم عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر حتى يعرفوا حقَّه بالتأمل والتدبر فيما أودعه في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه وتقديسه[٩٣].

ولما كان تسبيح جميع المخلوقات أمراً واضح الفهم ظاهر الشأن فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعد التأمل في المصنوعات والمخلوقات حقَّ التأمل ، نبّههم على أنّ عافيتهم إنما هي لحلمه عنهم فهو يُنظرهم إلى المدّة التي ضربها لهم ؛ لأنّه لا يُعجل بالعقوبة على إعراضهم عن صرف الأفكار فيما أمرهم بصرفها إليه ؛ لتنزهه عن شوائب النقص الذي نطق كلُّ شيء بتنزيهه عنها[٩٤] .

---

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور : ٣٨٤/٢ .
(٣) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ٢٥٥/١ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : ١٥٧/١ .
(١) البرهان في علوم القرآن : ١/ ٩٢ .
(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٣٠٩ .
(٣) ينظر : نظْم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٨٦/٤ .

فلما كان كلُّ شيء في السماوات والأرض يسبّح بحمد الله ويُشير إليه ويُدلّ عليه كان من الغفلة التي تستحق العقوبة ألا نفقه دلالةَ هذه المخلوقات على الخالق ، فناسب ذلك وصفه بالحلم والغفران ، حين لم يُعاجل هؤلاء الغافلين المُعرضين عن دلائل قدرته وربوبيته بالعقاب [٩٥].

٤. الاختتام بـ(العزيز الحكيم) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة : ١١٨) .

فالمتوقع أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم) ؛ لأنّ الحديث في الآية عن العذاب والمغفرة ، وربما يُوهم مضمون الآية أنّ الفاصلة لو كانت (الغفور الرحيم) كانت أنسب من (العزيز الحكيم) .

قال الفخر الرازي : " لو قال : فإنك أنت الغفور الرحيم أشعرَ ذلك بكونه شفيعاً لهم .فلما قال﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، دلّ ذلك على أنّ غرضه تفويض الأمر بالكليّة إلى الله تعالى ، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه " [٩٦].

وجاء في تحرير التحبير : " إنّ قوله﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ بعد قوله ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أنسب ؛ لأنّ منْ يغفر لمن يستحق العذاب إنما يكون من لا فوقه أحد يردّ عليه حكمَه ، ومن كان كذلك كان عزيزاً ممتنعاً من الردّ عليه ، ومن كان حكيماً وضع الشيء موضعه ، وإن كان ظاهر فعله موهماً بأنه على خلاف الحكم ؛ لخفاء وجه الحكمة بمكنون الغيب عن المخلوق القائم عن إدراك أسرار الربوبية " [٩٧] .

فإنْ غفر تعالى لهم لم تكن مغفرته إلا " عن عزة وهي كمال القدرة ، وعن حكمة وهي كمال العلم . فمن غفر عن عجز وجهلٍ بجرم الجاني لا يكون قادراً حكيماً عليماً .فلا يكون ذلك إلا عجزاً ، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة وعلم تام ، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها ، فهذا أحسن من ذكر (الغفور الرحيم) في هذا الموضع الدال ذكره على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها وقد فاتت . فإنه لو قال : وإنْ تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما نزّه

(٤) ينظر : من بلاغة القرآن : ٨٠ .
(١) التفسير الكبير : ٤٦٨/١٢، ومحاسن التأويل : ٣٠٣/٤ .
(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري : ٥٢٩/٤ .

عنه منصب المسيح عليه السلام ، لاسيما والموقف موقف عظمة وجلال وموقف انتقام ممن جعل لله ولداً أو اتّخذ إلهاً من دونه " [٩٨] .

فلم يقل (الغفور الرحيم) ؛ " لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم (...) إذ لا تُطلَب المغفرةُ للكافر " [٩٩] .

وجاء في تفسير الكشاف : " فإنْ قلت : المغفرة لا تكون للكفّار فكيف قال﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

قلت : ما قال إنّك تغفر لهم ، ولكنه بنى الكلام على : إنْ غفرتَ ، فقال : إن عذّبتهم عدلت ؛ لأنهم أحقاء بالعذاب ، وإنْ غفرت لهم مع كفرهم لم تُعدمْ في المغفرة وجه حكمة ؛ لأنّ المغفرة حسنة لكل مجرم في العقول ، بل متى كان الجرم أعظم جرماً، كان العفو عنه أحسن " [١٠٠] .

فإنعام النظر والتأمل في الآية يُحتّم أن تكون فاصلتها (العزيز الحكيم) ؛ وذلك لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من كانت سلطته أعلى السلطات ، وقوته أعظم القوى وعزّته فوق كلّ عزة ، ليس فوقه أحد يردّ عليه حكمه ، فهو العزيز أي:الغالب ، ووجب أن يُوصف بالحكيم أيضاً ، لأنّ الحكيم من يضع الشيء في محله ، فالله تعالى كذلك فكان الوصف بالحكيم احتراساً حسناً ، أي وإنْ تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب ، فلا يعترض عليك أحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته[١٠١] .

وخلاصة الاحتراس أنّ العفو عن المستحق للعذاب العظيم قد يكون عن عجز وضعف ، لا عن استطاعة وقدرة ، أو قد يكون عن سوء تدبير وتقدير أو عن كليهما،فلو قال : (فإنك أنت الغفور الرحيم) لما دفع هذين الوصفين عنه ، فإنّ الغافر والراحم قد يفعل ذلك لضعفه أو لسوء تدبيره ، فقال :(فإنك أنت العزيز الحكيم) ؛ ليدفع ذلك عنه وليقُل إنه إنْ عفا وغفر ، عن كمال العزة والقدرة ، وعن غاية الحكمة والتدبير ، فكان الختم بهما أولى[١٠٢] .

٥ ـ الاختتام بـ(العزيز الرحيم) :

وذلك في قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء : ٨، ٩) .

---

(٣) التفسير القيّم : ٣٦ .
(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ١٩٥/١ .
(١) تفسير الكشاف : ٦٨١/١ ، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٥٨ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٨٩/١ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن : ١/ ٤٦ ، والإتقان في علوم القرآن : ٣ /٣٠٧ـ٣٠٨ ، ومن بلاغة القرآن : ٧٧ ، والتعبير الفني في القرآن الكريم : ٢١٠ .
(٣) ينظر : لمسات بيانيّة في نصوص من التنزيل : ٥٩ .

فوله تعالى ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تكرر ثماني مرات في سورة الشعراء[١٠٣] .

وأمّا مناسبة ختم الآية بـ (العزيز الرحيم) لمضمون الآية فهي أنّ " نفى الإيمان عن الأكثر ، فدلّ بالمفهوم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يُؤمن ، والرحمة لمن آمن " [١٠٤].

٦ـ الاختتام بـ(عفوٌ غفور) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (الحج : ٦٠) .

فما مناسبة هذين الوصفين(عفو غفور) للمعاقبة ؟ الجواب من وجهين : " أحدهما : أنّ في ذكر هذين الوصفين إشعاراً بأنّ العفو أفضل من العقوبة ، فكأنّه حضٌ على العفو . والثاني : أنّ في ذكرهما إعلاماً بعفو الله عن المُعاقِب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى " [١٠٥].

وذلك يدلّ على أنّ العفو أفضل وأولى من العقوبة ، ففي ذلك حثّ بليغ على العفو والمغفرة ، لأنه تعالى مع كمال قدرته يعفو ويغفر ، وفيه تنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة[١٠٦] .

٧ـ الاختتام بـ(توّاب حكيم) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور : ٩، ١٠) .

فإنّ الذي يُلحظ للوهلة الأُولى أنّ الفاصلة ينبغي أن تكون (توّاب رحيم) ؛ لأنّ الرحمة مناسبة للتوبة ، لاسيما من هذا الذنب العظيم ، ولكن هاهنا معنى دقيق من أجله قال (حكيم) ،

---

(٤) الشعراء : الآيات : ٩، ٦٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٩١ .
(١) البرهان في علوم القرآن : ٣/٢٠ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن : ١/ ٣٤٣ .
(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٣/٤٥ .
(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٦/ ١١٧ .

وهو أن يُنبّه على فائدة مشروعية اللِّعان[١٠٧] وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ، وذلك من عظيم الحِكَم ؛ فلهذا كان (حكيم) أبلغ في هذا المقام من (رحيم)[١٠٨] .

٨ ـ الاختتام بـ(غفور شكور) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر ٢٩، ٣٠) .

وقال أيضاً : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر : ٣٤) .

وقال في سورة الشورى : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (الشورى : من الآية٢٣) .

قال الطبري في تفسير الآية الأُولى : " إنّ الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم ، شكور لحسناتهم " [١٠٩] .

وقال الخطابي : " الشكور هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب ، ويعطي الجزيل من النعمة ويرضى باليسير من الشكر ، ومعنى الشكر المضاف إليه : الرضا بيسير الطاعة من العبد ، والقبول له ، وإعظام الثواب عليه ، وقد يحتمل أنْ يكون معنى الثناء على الله بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلّت أو كَثُرت ؛ لئلا يستقِلّوا القليل من العمل ، ولا يتركوا اليسير منه " [١١٠] .

فالاختتام بـ(غفور شكور) يعني أنّ الله تعالى " يغفر الذنوب ، ويُجازي على القليل من الأعمال الصالحة بالكثير من الثواب " [١١١] .

---

(٤) اللِّعان : من قولهم : لاعن الرجلُ امرأته لعاناً ، إذا قذفها أو رماها برجل أنه زنى بها ، ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١/ ٩١ .
(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١/ ٩١ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٣٢ ، من بلاغة القرآن : ٧٨ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٢ /١٥٧ .
(٣) زاد المسير في علم التفسير : ٤٨٧/٦ .
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٤٠/٤ .

وقيل : إنّ الله تعالى يغفر لهم التقصير في عبادته ويعطيهم الكثير على عملهم القليل[١١٢] .

فحق الله تعالى أنْ يُعبَد عبادة تليق بجلاله وكماله ، فإذا فرّط العبد وقصّر عن طاعة ربّه ، وأراد الله تعالى بهذا العبد خيراً ليدخله في رحمته، يغفر له ذنوبه أولاً ثم يغفر له تقصيره في العبادة ثانياً ، ثمّ يشكره على ما جاء به من العمل القليل ثالثاً ، وذلك بقبوله منه ، وإثابته عليه خير ثواب .

وقدّم الغفران على الشكر حتى يُبَشّر عباده المقصّرين بأنّه قد غفر لهم تفريطَهم وتقصيرهم في عبادته وطاعته ، بقبوله اليسير من الطاعات والأعمال الحسنة .

وزيادة على ذلك فإنّ الله سبحانه لا يشكر عبداً مذنباً مُثقلاً بالذنوب ، مُحمّلاً بالخطايا ، فإذا أراد أنْ يشكره جرّده من ذنوبه وخطاياه ، وذلك بغفرانها له ، ثمّ بعد ذلك يشكره على الطاعة القليلة ، مُبرءاً من الذنوب والخطايا مُطهراً منها .

(١) ينظر : أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته ، شاكر عبد الجبار : ١٧٥ .

ب ـ اختلاف الفاصلتين في موضعين والمُحدَّث عنه واحد :

وذلك لنكتة لطيفة ، من مثل ما جاء في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم : من الآية ٣٤) ثم قال في سورة النحل : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل : ١٨) .

قال القاضي ناصر الدين بن المُنير[١١٣] في تفسيره الكبير : " كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة ، فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً وكونك كفّاراً ـ يعني لعدم وفائك بشكرها ـ ولي عند إعطائها وصفان ، وهما : أني غفور رحيم أُقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أُقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أُجازي جفاءك إلا بالوفاء " [١١٤] .

ولكن ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المُنعِم ، وآية إبراهيم بوصف المُنعَم عليه ؟

والجواب : " أنّ سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبِل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه ، وأما آية النحل ، فسيقت في وصف الله تعالى ، وإثبات إلوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه " [١١٥] .

فسياق الأُولى يختص بأحوال العبد وبيان صفاته التي تفتقر إلى الكمال ، ويشوبها النقص ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ

---

(١) هو القاضي ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي المعروف بابن المنير الاسكندري ، من علماء الإسكندرية وأدبائها ، ولي قضاءها وخطابتها مرتين ، وُلِد سنة ٦٢٠هـ ، له تفسير أسماه (البحر الكبير في نخب التفسير) وكتاب (الانتصاف من الكشاف) ، طُبِع بهامش تفسير الكشاف ، و(ديوان خطب) ، و(تفسير حديث الإسراء)، توفي في سنة ٦٨٣هـ . ينظر : فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي : ٧٢/١، والبرهان في علوم القرآن : ٨٦/١، والأعلام ، الزركلي : ١/ ٢١٢ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٨٦/١ ، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٤٤/١ ، الإتقان في علوم القرآن : ٣٠٦/٣ ، نقلاً عن (البحر الكبير في نخب التفسير) ، وقد بحثت عنه ولم أعثر عليه .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٨٦/١ .

مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (إبراهيم : ٢٨ ـ ٣٠) ، وأما سياق الآية الثانية فإنه يختص بأحوال الربّ وبيان صفاته المنزهة عن كلّ نقص وعيب ، فهي مبيّنة لكماله المطلق التام ومن ذلك قوله تعالى : ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ١٤ ـ ١٧) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : من الآية ١٧٣) ، وقال عز وجل في سورة النحل: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل : من الآية ١١٥) ، بينما قال جل وعلا في سورة الأنعام : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام من الآية : ١٤٥) .

ففي هذه الآيات الثلاث سؤال ، وهو ، لماذا قال في الآيتين الأولى والثانية (إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، بينما قال في الآية الثالثة (فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ؟ وهل لاختصاص الآية الأولى والثانية بذكر لفظ الجلالة فائدة ؟ وهل لاختصاص الآية الثالثة بقوله (فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بالعدول عن ذكر لفظ الجلالة إلى ذكر صفة الربِّ فائدة ؟

الجواب : أنّ لكلّ موضع معنى يُوجبُ اختصاص اللفظ الذي ذُكر فيه ، فأمّا الآية الأولى ؛ فلأنه قال قبلها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٢) وختم بقوله : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ (البقرة

: من الآية ١٧٣) ، فكان بما قدّمه مثبتاً عليهم إلهيته ؛ لأنّ الإله هو الذي يحق له العبادة بما له من النعمة ، فلما قدّم ذكر ما رزقهم منها وطالبهم بشكرها أتبعه بقوله ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ، وختم الآية بقوله : ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، أي من أنعم عليكم غاية النعمة واستحق بها غاية التعبد والتذلل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناول ما حرّمه عليكم في حال الاختيار ، رحيم بكم ، وكذلك الآية الثانية فإنها مبنيّة على مثل هذا(١١٦) .

وأما الآية الثالثة ، فلأنه قدّم عليها ذكر أصناف ما خلقه الله لتربية الأجسام ، فقال :﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الأنعام : من الآية ١٤١) فذكر الثمار والحبوب وأتبعها بذكر الحيوان من الإبل والبقر والغنم ، خصّ هذا الموضع بذكر الربّ ؛ لأنّ الربَّ هو القائم بمصالح المربوب ، فكان ذكر الربّ أليق في هذا المقام(١١٧) .

وإنما جاء المسند إليه في جملة الجزاء وهو (ربّك) معرّفاً بالإضافة دون العلمية كما في سورة البقرة ﴿ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٣) ؛ لما يُؤذِن به لفظُ الربِّ من الرأفة واللطف بالمربوب والولاية ، تنبيهاً على أنّ الله جعل هذه الرخصة للمسلمين الذين عبدوه ، ولم يُشركوا به ، وأنه أعرض عن المشركين الذين أشركوا معه غيره ؛ لأنّ الإضافة تُشعِر بالاختصاص فلما عبّر عن الغفور بأنه ربّ النبيّ (عليه الصلاة والسلام) ، علم أنه ربُّ الذين اتبعوه ، ليس ربّ المشركين ، باعتبار ما في معنى الربِّ من الولاية (١١٨) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء :٨٣، ٨٤) . وقال عز وجل في سورة (ص) : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي

(١) ينظر : دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل : ٤٢ـ٣٤ ، وأسرار التكرار : ٣٩ ، وبصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز :١٥١/١ .
(٢) ينظر : دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل :٤٣ ، وأسرار التكرار : ٣٩ ، بصائر ذوي التمييز : ١/ ١٥١ .
(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ١٤٠ـ١٤١ .

مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ (ص : ٤١ ـ ٤٣) .

فما الفرق بين موضعي قوله (رحمةً من عندنا) و(رحمةً منّا) ؟ .

الجواب : هو أنّ الله تعالى أخبر في سورة الأنبياء عن نبيّ الله أيوب ـعليه السلامـ بأنّه نادى ربّه ، وشكا إليه ما مسَّه من الضر وسوء الحال بالمرض الذي طالت أيامه ، حتى تآكل جسمه ، وتساقط لحمه ، ثم بالفقر الذي نالَهُ ، واجتاح ماله ، وكان الله تعالى قد ابتلاه بجميع ذلك ، وأحدث فيه المرض الذي أضعفه عن تعهد حاله ، حتى زال جميع ماله ، ليعطيه على صبره الثواب العظيم الجزيل ، وليعوّضه من نعيم الجنة ما هو خير له ، مما سلبه من ماله وصحة بدنه ، وكأنه لما قال : مسّني الضُرُّ ، قال مسني من عندك يا ربِّ ما تعلم ، وأنت الأكرم الأرحم ، فقال تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ (الأنبياء : من الآية : ٨٤) ، أي كما كان الضُرّ من عندنا ، كان كشف ذلك الضر ، والرحمة مكانه (من عندنا) ، ومعنى من عندنا أي من حيث لا تناله قدرة العباد[١١٩].

وأمّا في سورة(ص)، فإنّ الله تعالى لما أخبر فيها عنه بأنه قال : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص : ٤١) ، وشكايته إلى الله تعالى ما يلحقه من أذى الشيطان ، بوسوسته إليه ، وفنون احتياله عليه ، ليضيق صدره ، وينقص حمده وشكره ، فهان عليه المرض الذي يُنقص من الأبدان في جنب ما يؤثر في الأديان ويخل بالطاعات ، ويشغل من الزمان بمدافعة الوسواس ، فلما كان هذا له أهم ، وخاف من جهته الضرر الأشدّ ، أعانه الله برحمةٍ منه مضافة إليه، مختصة بإرادته ، إذ إنّ أفعال الله تعالى منها ما يختص به ويضيفها إلى نفسه ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص: من الآية ٧٥) ، ومنها ما يأمر به بعض ملائكته ، وإنْ أخبر أنه من فعله ، ومختص به ، كقوله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (التحريم : من الآية ١٢) ،

(١) ينظر : درّة التنزيل وغُرّة التأويل : ٣٠١ .

يقال إنه أمر جبرائيل -عليه السلام- ، فنفخ الروح في فرج مريم - عليها السلام - وخلق الله عيسى -عليه السلام- في رحمها ، فلما كانت شكوى أيّوب -عليه السلام- فيما أخبر الله تعالى به في سورة (ص) أعظم ، والبلوى به أكبر أخبر أنه رحمهُ رحمةً ، وأنعم عليه نعمة لا يجري أمثالها على أيدي خلقه ، بل هي مما يختص بفعله ، ولا يُوليه مقرباً من ملائكته ، وإنْ كان ما يقدرهم عليه من مثل ذلك مضافاً إلى قدرته تعالى[١٢٠] .

ت - العدول عن الإضافة :

من الظواهر الدلالية الأُخرى في سياق التعبير القرآني في الرحمة والغفران ، ما نلاحظه من عدول عن الإضافة .

فقد يعدل التعبير القرآني عن الإضافة ، حيث يبدو في ظاهر الأمر أنّ المقام لها[١٢١]؛وذلك لغرض من الأغراض البلاغية .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٧) .

ظاهر الخطاب أنْ يقول (ذو عقوبة شديدة) ، ولكنه قال: (ذو رحمة واسعة) ؛ " نفياً للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ، وذلك أبلغ في التهديد ومعناه : لا تغترّوا بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ، فإنّه مع ذلك لا يُردّ عذابه عنكم " [١٢٢] .

فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته[١٢٣] . فالله تعالى يقول لهم : مع أنّ رحمة ربّكم واسعة ، ولكن لا تطمعوا فيها إذا كذبتم ، ولا تعتمدوا عليها لسعتها ، فإنّ بأس الله لا يُرد عن القوم المجرمين المكذبين المتمادين[١٢٤] .

---

(١) ينظر : درّة التنزيل وغُرّة التأويل : ٣٠١.
(١) ينظر : من بلاغة القرآن : ١٣٨ .
(٢) البرهان في علوم القرآن : ٩١/١ .
(٣) ينظر : تفسير الكشاف : ٧٣/٢ .

وبذلك يقطع عليهم منذ البداية الطمع الذي قد يقودهم إلى التهاون في الإنذار ويسوقهم إلى التمادي والإصرار ، فالرحمة لمن يستحقون ، لا لمن يستهترون[١٢٥] .

ومن صور العدول عن الإضافة أيضاً قوله تعالى على لسان نبيّ الله إبراهيم -عليه السلام- مخاطباً أباه : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾ (مريم : ٤٥) .

فالعدول عن إضافة العذاب إلى الرحمن ؛ لعدم التجانس بينهما ، فالمناسب للعذاب أنْ يُضاف إلى الجبار أو إلى المنتقم مثلاً ، لا إلى مصدر النعم ، أمّا السرّ في وصف العذاب بأنّه من الرحمن ؛ للإشارة إلى أنّ العذاب إنما كان ؛ لأن مستحقه كفر بمن كان مصدر النعمة ، ولم يقم بواجب شكره [١٢٦].

وذكر السيد الطباطبائي أنّ : " وجه تبديل اسم الجلالة من وصف الرحمن في موضعين ، فإنّ لوصف الرحمة المطلقة دخلاً في الحكمين ، فإنّ كونه تعالى مصدراً لكل رحمة ونعمة هو الموجب لقبح الإصرار على معصيته ، والمصحح للنهي عن طاعة من يقيم على عصيانه ، وكذا مصدريته لكل رحمة هو الباعث على الخوف من عذابه الذي يلازم إمساك الرحمة ، وغشيان النقمة والشقوة " [١٢٧] والمقصود بالموضعين قوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ (مريم : ٤٤ ، ٤٥).

فضلاً عن ذلك فإنّ إظهار ذكر الرحمن فيه إشعار بأنّ وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب [١٢٨] .

---

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٣/٨ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(١) ينظر : من بلاغة القرآن : ١٣٨ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٥٨ .
(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٦٧/٥ .

وقد يختار التعبير القرآني في بعض المواضع لفظ (الرحمن) بدلاً من لفظ الجلالة (الله) ، ولا يكون ذلك إلا لأغراض بلاغية ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (يس : ١١) .

فقال : ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ ﴾ ولم يقل (وخشي الله) ، وفي ذلك لطيفة وهي " أنّ الرحمة تُورث الاتكال والرجاء ، فقال مع أنه رحمن ورحيم ، فالعاقل لا ينبغي أن يترك الخشية فإنّ كل من كانت نعمته بسبب رحمته أكثر ، فالخوف منه أتم ، مخافة أن يقطع عنه النعم المتواترة ، (...) يعني ومع كونه ذا رحمة لا تأمنوه))[١٢٩] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (ق :٣٣) .

جاء في تفسير الكشاف : ((فإنْ قلت : كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة ؟ قلت : للثناء البليغ على الخاشي ، وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاشٍ ، مع أنّ المخشي منه غائب))[١٣٠] .

وفي ذلك إشارة إلى مدح المتقي ، حيث لم تمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة وإشارة إلى ذم الكافر ، حيث لم تحمله الألوهية التي تُنبئ عنها لفظة (الله) ـ وفيها العظمة ـ على خوفه[١٣١] .

(١) التفسير الكبير : ٢٧٥/٢٦ ، وينظر : الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) ، د. أحمد جواد العتابي : ١٧٨ .
(٢) تفسير الكشاف : ٣٨٠/٤ ، وينظر : الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم : ١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٨ /١٤٧ .

ث ـ دلالة الاستعارة :

هي نوع من أنواع المجاز اللغوي ، وقد كان العلماء في القرنين الثالث والرابع الهجريين يعبرون عنها بالمجاز ، إذ لم تتضح الاستعارة مفهوماً بلاغياً ، ويُفرّق بينها وبين المجاز إلا في القرن الخامس الهجري على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي أوجد الفرق الدقيق بين المجاز والاستعارة .

فالاستعارة عنده نوع من أنواع المجاز اللغوي ، تكون فيه العلاقة بين المُستعار والمُستعار منه المشابهة ، على حين تكون العلاقة في المجاز المُرسل غير المشابهة ويرى أيضاً أنّ المجاز أعمّ من الاستعارة ، فكلّ استعارة مجاز وليس كلُّ مجاز استعارة[١٣٢].

وقد عرّف الاستعارة بقوله : " اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أنْ يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف ، تدلُّ عليه الشواهد على أنه اختص به حين وُضِع ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية " [١٣٣].

أمّا الاستعارة عند الفخر الرازي فهي عبارة عن جعل الشيء للشيء ؛ لأجل المبالغة في التشبيه [١٣٤].

وكلّ استعارة لابدّ فيها من أشياء : مُستَعار ، مُستَعار له ، ومُستَعار منه[١٣٥] . وتُقسم الاستعارة على أساس ذكر أحد طرفيها على قسمين هما[١٣٦] :

١ـ استعارة تصريحية : وهي ما صُرِّح فيها بلفظ المشبّه به ، أو ما استُعير فيها لفظ المشبّه به للمشبَّه .

٢ـ استعارة مكنية : وهي ما حُذِف فيها المشبَّه به ، أو المستعار منه ، ورُمِز له بشيء من لوازمه .

ومن بديع الاستعارة المكنية قوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (الإسراء : ٢٤) .

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٣٦٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٩ .
(٣) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي : ١١٦ .
(٤) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن الرماني : ٧٩ ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) .
(٥) ينظر : مفتاح العلوم ، محمد بن علي السكاكي :١٧٦ ، والإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٣٠٩/٢.

فلمّا كان المراد خفض جانب الولد للوالدين ، بحيث لا يبقي الولد من الذل لهما والاستكانة ممكناً ، احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ فاستعير لفظ الجناح ، لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب ؛لأنّ من يميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل صدق عليه أنّه خفض جانبه ، والمراد بخفض الجانب لصقه بالأرض ، ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح للطائر [١٣٧].

فشبّه الذل بطائر ، واستُعير لفظ المُشبَّه به وهو الطائر للمُشبّه وهو الذّل ، ثم حُذِف المشبّه به وهو الطائر ، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح ، على سبيل الاستعارة المكنية،فالمستعار منه هو الطائر ، والمستعار له هو الولد ، والجامع بينهما هو لين العريكة ، وانحطاط الجانب[١٣٨] .

فهذا التعبير كناية عن التواضع واللين[١٣٩] ، والرحمة والرفق في معاملة الوالدين ، وأخذهما باللين والرقّة ، والتواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً ، كما تقول : واخفض لهما الجناح ذُلاً ، ولكن لمّا كان ثمّة صلة بين الجناح بمعنى جانب الإنسان وبين الذل ، إذ إنّ هذا الجانب هو مظهر الغطرسة حين يشمخ المرء بأنفه ، ومظهر التواضع حين يتطامن أجازت هذه الصلة إضافة الجناح للذل ، لا على معنى المكنية ، فلسنا بحاجة إلى تشبيه الذل بطائر نستعير جناحه ، ولكن بنا حاجة إلى استعارة الجناح للجانب ، وجمال ذلك هنا في أنّ اختيار كلمة الجناح في هذا الموضع يُوحي بما ينبغي أنْ يُظِلّ به الابنُ والديه من رعاية وحبّ وحنان ، كما يُظِلّ الطائر صغار فراخه[١٤٠] ، مُظلاً إياهما باللين والرحمة والحبّ والإشفاق[١٤١] ، متذكراً أنه في الأمس كان أفقر خلق الله إليهما ، وقد مدّاه بكلّ عطف وحبّ وحنان[١٤٢] .

فالذل في هذه الآية الكريمة يتجسّد في هيأة ما له جناح خفيض يبرز للعيان في أرق صورة ارتضاها الله تعالى للولد تعبيراً عن الطاعة والبرّ لوالديه[١٤٣] .

والرحمة في الآية الكريمة قد تجلّت بأرق مظاهرها الصادقة وأرقاها[١٤٤] ، فبيّنت الآية صورة الخضوع ، وخفض الجناح ، والرحمة التي ما بعدها من مزيد [١٤٥].

---

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/٥٧ـ٥٨ .
(٢) ينظر : أساليب البيان في القرآن ، السيد جعفر الحسيني : ٥٤٤ ، ٦١٨ .
(٣) ينظر : الفتوحات الإلهية : ٢/٦٢٢ .
(٤) ينظر : من بلاغة القرآن : ٢٢٢ .
(١) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : ١/٨٤ .
(٢) ينظر : تفسير الكشاف : ٢/٦٣٢ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة : ١/٨٤ .
(٣) ينظر : أساليب البيان في القرآن : ٥٤٤ .
(٤) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن : ١٧٧ .
(٥) ينظر : التعبير الفني في القرآن الكريم : ٢٩٥ .

ج ـ دلالة التورية :

التوريـة لغـةً: " مصـدر وَرَّيـت الخبـرَ توريـةً : إذا سـترتَهُ وأظهـرتَ غيـرَه " [١٤٦] واصطلاحاً : هي أنْ يذكر المتكلم لفظاً مفرداً لـه معنيان ، إما بالاشتراك ، أو التواطؤ أو الحقيقة أو المجاز ، أحدهما قريب غير مقصود ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد مقصود ، ودلالة اللفظ عليه خفيّة ،فيتوهم السامع أنّه يريد المعنى القريب ، وهو إنّما يريد المعنى البعيد ، بقرينة تشير إليه ولا تظهره ، وتستره عن غير المتيقظ الفطن[١٤٧] .

قال الزمخشري : " لا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله " [١٤٨] .ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (طه : ٥)

فالاستواء على معنيين : الاستقرار في المكان ، وهو المعنى القريب المُورَّى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه ، والثاني : الاستيلاء والسيطرة والمُلك ، وهو المعنى البعيد المقصود الذي وَرّى به عنه بالقريب المذكور[١٤٩] .

فالاستواء في الآية ليس ظاهراً في معنى الجلوس والاعتماد على الشيء ، بل المراد هو الاستيلاء والتمكن التام ، كناية عن سعة قدرته وتدبيره ، واستيلائه على ملكه في الدنيا والآخرة ، وتدبيره من دون استعانة بأحد[١٥٠] . فاستواؤه هنا سيطرته وقدرته وإحاطته الكاملة المطلقة بكلّ شيء ، حتى لا يفوته شيء [١٥١].

ج ـ دلالة الاحتراس (التكميل):

الاحتراس : " وهو أنْ يأتي المتكلم بمعنى يتوجّهُ عليه دَخَلٌ فيفطِن له ، فيأتي بما يُخلّصه من ذلك ، والفرق بين الاحتراس والتكميل (...)، أنّ المعنى قبل التكميل صحيح

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣١٠ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٤٥/٣ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن :٣٧٤/١، وجواهر البلاغة : ٣١٠ -٣١١ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن : ٢٥٠/٣ ، وقد رجعت إلى تفسير الكشاف وأساس البلاغة وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ولكني لم أجد النص .
(٤) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٣٧٤/١ ، والإتقان في علوم القرآن : ٢٥٠/٣ ، ولم أجد النص في مؤلفات الزمخشري أيضاً .
(٥) ينظر : الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل : ٣٣٣/١ .
(٦) ينظر : مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية) : ١٢٩ .

تام ، ثمّ يأتي التكميل بزيادة يَكمُل بها حسنه إمّا بفنٍ زائد أو بمعنى " [١٥٢] . والاحتراس يكون لاحتمالٍ دخل على المعنى ، وإنْ كان تاماً كاملاً ووزن الكلام صحيحاً [١٥٣].

فالاحتراس : هو أنْ يكون الكلام مُحتملاً لشيء بعيد ، فيُؤتى بعده بكلام ؛ ليدفع ذلك الاحتمال والوهم[١٥٤] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : من الآية ٢٩) .

ففي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدّة تكميل واحتراس ، فإنّه لو اقتصر على (أشداء) ، لتُوُهم أنّه لغلظهم وفظاظتهم ، فدفع هذا الوهم بإرداف الوصف الثاني (رُحماء) ، ومآل ذلك أنّهم مع كونهم أشداء على الأعداء رُحماء على الإخوان[١٥٥] .

خ ـ التقديم والتأخير في السياق:

مما تتضح فيه دلالة السياق في سياق الرحمة والغفران في القرآن الكريم موضوع التقديم والتأخير وقد " بلغ القرآن الكريم في هذا الفن ـ كما في غيره ـ الذروة في وضع

(١) تحرير التحبير : ٢٤٥/٢ .
(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٦٤ .
(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢٢١/٣ ، وروح المعاني : ٢٧٦/١٣ .

الكلمات الوضعَ الذي تستحقه في التعبير ، بحيث تستقر في مكانها المناسب ، ولم يكتفِ القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه ، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كلّه ، فنرى التعبير مُتّسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات ، كأنه لوحة فنيّة واحدة مُكتملة متكاملة " [١٥٦] .

ويكون التقديم والتأخير في القرآن الكريم " مُشيراً إلى مغزى ، دالاً على هدف ،حتى تصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج نفسي ، يتقدّم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير " [١٥٧].

وللتقديم والتأخير أغراضٌ متعددة ، فقد يكون التقديم والتأخير مراعاة للسياق ، أو قد يكون لأجل الفضل والشرف ، أو يكون بحسب المقام والرتبة أو بحسب القلة والكثرة أو يكون للترغيب أو للترهيب[١٥٨] .

وسأحاول الباحث الكشف عن أغراض التقديم والتأخير ودلالاته في الآيات التي وردت في سياق الرحمة والغفران ،وذلك فيما يأتي :

١. تقديم (الرحمن) على (الرحيم) :

وذلك في قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) .

قال ابن خالويه :((وقُدِّم الرحمن على الرحيم؛ لأنّ الرحمن اسم خاصّ لله والرحيم اسم مشترك (...) فقُدِّم الخاصُّ على العام))[١٥٩] ، وإنما قُدّم الرحمن على الرحيم لأنّ وصفه تعالى بالرحمن بمنزلة الاسم العلم ، من حيث لا يُوصف به إلا الله تعال ، فصار بذلك كاسم العلم في وجوب تقديمه على صفته ، لأنّ معناه المنعم البالغ في الرحمة غايتها ، وذلك لا يصدق على غيره [١٦٠] .

ولأنّ الصفة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها [١٦١] .

٢. تقديم (الرحمن الرحيم) على (مالك يوم الدين) :

---

(١) التعبير القرآني : ٥١ .
(٢) من بلاغة القرآن : ١١٢ .
(٣) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : ٥٧/٢ـ٥٨ ، التعبير القرآني : ٥١ـ٥٥ .
(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٣ .
(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢٩/١ ، روح المعاني : ٦١/١ .
(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٧٢/١ .

وذلك في سورة الفاتحة ، قال تعالى : ﴿ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة : ٣، ٤) .

فقدّم صفتي (الرحمن الرحيم) على ملكه ليومِ الدين ؛ وذلك لأنّه " لمّا أراد ذكر يوم الدين ؛ لأنه مَلكه ومالكه ، وفيه يقع الجزاء والعقاب والثواب ، وفي ذكره يحصل للمؤمن ما لا مزيد عليه من الرعب ، والخشية ، والخوف ، والهيبة ، قدّم عليه ذكر الرحمن الرحيم ، تطميناً ، وتأميناً ، وتطييباً لقلبه ، وتسكيناً ، وإشعاراً بأنّ الرحمة سابقة غالبة ، فلا ييأس ، ولا يأسى ، فإنّ ذلك اليوم ـ وإنْ كان عظيماً عسيراً ـ فإنّما عُسره وشدّته على الكافرين ، وأمّا المؤمن فبين صفتي الرحمن الرحيم من الآمنين " [١٦٢] .

٣. تقديم (الرحمة) على (الجنة) :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة : ٢١) .

" وإنّما قُدِّمت الرحمة والرضوان ، إشارة إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة وأُخِّرت الجنة إشارة إلى أنّها مختصة بالآخرة ؛ولأنها آخر العطايا " [١٦٣] .

٤. تقديم (الرحمة) على (طلب المغفرة) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر : من الآية ٧) .

فقد " قدّم الرحمة ؛ لأنهم بها يستمطرون إحسانه ، ويتوسلون بها إلى حصول مطلوبهم من سؤال المغفرة " [١٦٤] .

وبما أنّ العباد محتاجون لرحمته وعفوه في كل الأوقات ، فقد كان نداؤهم له بصيغة (ربّنا) ، " وكثيراً ما جاء النداء بلفظ ربنا ورب ، وفيه استعطاف العبد لمولاه الذي ربّاه وقام بمصالحه من لدن نشأته إلى وقت ندائه ، فهو جدير بأن لا يناديه إلا بلفظ الرب "[١٦٥].

٥. تقديم (المغفرة) على (الرحمة) :

---

(٣) بصائر ذوي التمييز : ١٣٠/١ .
(٤) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ٣٧/٢ .
(١) تفسير البحر المحيط : ٥٩٩/٧ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٣) ، وقال عز وجل في سورة الأنفال:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنفال :٦٩) وقال جل وعلا في سورة يونس : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس : ١٠٧) .

فقدَّم المغفرة على الرحمة ؛ وذلك لأنّ " المغفرة سلامة والرحمة غنيمة ،والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة " [١٦٦] .

فقوله ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي : " يغفر سيئاته ، ثم ينظر إليه فيراهُ عارياً محتاجاً فيرحمه ، ويُلبسه لباس الكرامة ، وقد يراه مغموراً في السيئات ، فيغفر سيئاته،ثمّ يرحمه بعد المغفرة ، فتارة تقع الإشارة إلى الرحمة التي بعد المغفرة ، فيُقدّم المغفرة،وتارة تقع الرحمة قبل المغفرة فيؤخرها " [١٦٧] .

وإنّما تأخّرت (المغفرة) في آية سبأ في قوله تعالى :﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ : ٢) ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق مكلَّفين وغير مكلَّفين ، فالرحمة تشملهم جميعاً والمغفرة تخصّ بعضاً منهم ، والعموم قبل الخصوص بالرتبة [١٦٨].

وقد ورد تقديم (المغفرة) على (الرحمة) في (٧٩) موضعاً في كتاب الله العزيز[١٦٩].

---

(٣) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ٢٩٥ ، والبرهان في علوم القرآن : ٢٤٩/٣ ، ومن أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة) : ٢٢٧ ، والتعبير القرآني : ٥٤ .

(٤) التفسير الكبير : ٩٧/٢٨ .

(١) ينظر : البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن : ٢٩٥-٢٩٦ ، والبرهان في علوم القرآن : ٢٤٩/٣ ، ومن أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة) : ٢٢٧ ، والتعبير القرآني : ٥٥ .

(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٦-٦٣٧ ، وينظر غير ما ذُكِر : البقرة : ١٨٢، ١٩٢ ، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٦ ، ٢٨٦، آل عمران: ٣١، ٨٩، النساء : ٢٣، ٢٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٢، المائدة: ٣ ،٣٤، ٣٩، ٧٤، ٩٨، ١٠١، الأنعام : ٥٤، ١٤٥، ١٦٥، الأعراف : ٢٣، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٧، الأنفال : ٧٠، التوبة : ٥،

٦. تقديم (المغفرة) على (الجنة) :

وذلك في قوله تعالى :﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٣) .

جاء في تفسير الآلوسي : " وتقديم المغفرة على الجنة لما أنّ التخلية مُقدمّة على التحلية ، وقيل : لأنها كالسبب لدخول الجنة ، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين ، لإظهار مزيد اللطف بهم ، ووصف المغفرة بكونها من الربّ دون الجنة ؛ تعظيماً لأمرها وتنويهاً بشأنها " [١٧٠] .

٧. تقديم (الغفران) على (العقاب) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: من الآية٣).

ففي تقديمه سبحانه للغفران على العقاب إشارة إلى ما ينبغي أنْ يكون عليه الحال في التأديب والتهذيب والموعظة ،فمن شأن العقوبة أنْ تُخيف ، ولكنّها كذلك قد تثير العناد ، وتركب الإنسان مركب الهلكة ، فإذا بدأته بها فقد ضيّعته .

أمّا البداية بالخير ، وفتح باب الرجاء والأمل فهي آمَنُ عاقبةً ، وأقرب إلى القبول والاستجابة[١٧١] .

٨. تقديم (المغفرة) على (العذاب) وتأخيرها عنه :

تقدمت المغفرة على العذاب في قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة :من الآية ٢٨٤) .

٢٧، ٩١، ٩٩، ١٠٢، هود : ٤١، ٤٧، يوسف : ٥٣، ٩٨، إبراهيم : ٣٦، الحجر : ٤٩، النحل : ١٨، ١١٠، ١١٥، ١١٩ ، الكهف : ٥٨، المؤمنون: ١٠٩، ١١٨، النور : ٥ ،٢٢، ٣٣، ٦٢، الفرقان : ٦،٧٠ ، النمل : ١١، القصص : ١٦، الأحزاب : ٢٤، ٥٠، ٥٩، ٧٣، الزمر : ٥٣، فصلت : ٣٢ ، الشورى : ٥، الأحقاف : ٨، الفتح : ١٤، الحجرات : ٥، ١٤، الحديد: ٢٨، المجادلة : ١٢، الممتحنة: ٧، ١٢، التغابن : ١٤، التحريم: ١، المزمل : ٢٠ .

(٣) روح المعاني : ٢٧١/٢ .

(١) ينظر : الموسوعة القرآنية : ٥٩٦/٦ .

فقدّم لفظ المغفرة رحمةً منه سبحانه ، وترغيباً للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة[١٧٢] .

ومما جاء في القرآن الكريم من تقديم المغفرة على العذاب قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٢٩) .

قال أبو السعود : " وتقديم المغفرة على التعذيب ؛ للإيذان بسبق رحمته تعالى غضبه ، وبأنها من مقتضيات الذات ، دونه فإنّه من مقتضيات سيئات العصاة " [١٧٣] .

وإنّما أبهم الله تعالى الأمر بالتعذيب والمغفرة ، فلم يبيّن من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ؛ ليقف المكلّف بين الخوف والرجاء ، فلا يأمن من عذاب الله ، ولا ييأس من روح الله[١٧٤] .

فالمغفرة مقدمة هنا ، وفي غير ذلك من الآيات إلا في سورة المائدة ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة من الآية ٤٠) .

فإنّ العذاب فيها مقدّم على المغفرة وذلك ؛ " لأنها نزلت في حقّ السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا" [١٧٥]، ولأنّها وردت أيضاً في ذكر قطّاع الطريق والمحاربين والسُرّاق فكان المناسب فيها تقديم ذكر العذاب ، ترهيباً وزجراً لهم[١٧٦] . فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر[١٧٧] .

٩. تقديم (طلب المغفرة) على (طلب الملك) :

---

(٢) ينظر : أسرار التكرار في القرآن : ٤٦ ، وبصائر ذوي التمييز: ١٥٥/١ .
(٣) إرشاد العقل السليم : ٨٤/٢ .
(٤) ينظر : مجمع البيان : ٨٣٣/٢ ، وجملة الغفران في القرآن الكريم ، أ.د نهاد حسوبي : ١١ ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، العدد ٧١ ، السنة (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) .
(١) أسرار التكرار في القرآن : ٤٥، وينظر : بصائر ذوي التمييز : ١٥٥/١ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٦٣/٤ .
(٣) ينظر : محاسن التأويل : ١٣٧/٤ .

وذلك في قوله تعالى في سورة ص : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص: ٣٥) .

فقدّم طلب المغفرة على طلب المُلك ، اهتماماً بالدين وتقديماً للوسيلة ، وطلب المغفرة دأب الأنبياء والصالحين ، هضماً للنفس ، وإظهاراً للذُل والخشوع ، وطلباً للترقي في المقامات[١٧٨] .

١٠.تقديم (الشفاء) على (الرحمة) :

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً ﴾ (الإسراء من الآية ٨٢) .

فقدّم (الشفاء) على (الرحمة) ؛ وذلك لأنّ آيات القرآن الكريم رحمة للمؤمنين وهي أيضاً سببٌ في حصول الشفاء ، فجُعِلت هي شفاء على طريق المبالغة ،تنبيهاً على تحقق حصول الشفاء بها[١٧٩] .

١١.تقديم (العذاب) على (الرحمة)

ورد تقديم العذاب على الرحمة في موضع واحد في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ (العنكبوت : ٢١) .

فقد ورد العذاب مُقدّماً على الرحمة في هذه السورة فحسب ؛ وذلك لأنّ إبراهيم -عليه السلام- وخاطب به نَمرُود وأصحابه ، فإنّ العذاب وقع بهم في الدنيا[١٨٠] .

١٢.تقديم (التواب) على (الرحيم) :

---

(٤) ينظر : الفتوحات الإلهية : ٥٧٦/٣ .
(١) ينظر : تفسير ابن باديس : ٣٢٤ .
(٢) ينظر : أسرار التكرار : ١٦٣ ، وبصائر ذوي التمييز : ٣٦١/١ .

ومما ورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة : من الآية ١٢٨) .

فـ" ناسب تقديم ذكر التوبة على الرحمة ؛ لمجاورة الدعاء الأخير في قوله﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ ، وتأخّرت صفة الرحمة ؛ لعمومها ؛ لأنّ من الرحمة التوبة " [١٨١] .

١٣. تقديم (العزيز) على (الرحيم) :

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء : ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩ ، ١٧٥، ١٩١) .

قال الرازي : " قدّم ذكر (العزيز) على ذكر (الرحيم) ؛ لأنّه لو لم يقدّمه ربما قيل : إنّه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم ، فأزال هذا الوهم بذكر (العزيز) ، وهو الغالب القاهر ، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده ،فإنّ الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً " [١٨٢] .

فلما كان الموضع موضع بيان القدرة ، قدّم صفة العزة على صفة الرحمة [١٨٣] فذلك أوفق لما تضمنته الآية .

١٤.تقديم (عفُوّ) على (غفور) :

وذلك لأنّ العام أشرف من الخاص ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ (النساء : ٩٩)

فقدَّم (العفو) على (المغفرة) ؛ لأنه أعمّ ، وأُخِّرت المغفرة ؛لأنّها أخصّ[١٨٤] .

١٥.تقديم (السمع والطاعة) على (الغفران) :

---

(٣) تفسير البحر المحيط : ٥٦١/١ .
(٤) التفسير الكبير : ٤٩٢/٢٤ ، صفوة التفاسير : ٣٧٥/٢ .
(١) ينظر : تفسير البحر المحيط : ١٠/٧ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٥٤/٣ .

ورد هذا التقديم في موضع واحد من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة : من الآية٢٨٥)

فتقديم " ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران ، لما أنّ تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول " (١٨٥) .

١٦.تأخير (الرحمن الرحيم) عن (ربِّ العالمين) :

جاء هذا التأخير في موضع واحد في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: ٢، ٣) .

" وللإتيان بهذين الاسمين الكريمين بعد ذكر ربوبية الله للعالمين مغزى عظيم وذلك بأنّ الله بيّن بهما أنّ ربوبيته ومُلكه للعالم ليس مصدرها جبروته وقهره وهو القهار الجبار ، ولكن مصدرها عموم رحمته ، وشمول إحسانه لجميع خلقه ، فإنهم بالرحمة يُوجدون ، وبالرحمة يتصرفون ، وبالرحمة يرزقون ، وعلى الرحمة يعتمدون ، وبالرحمة يوم القيامة يُبعثون ويُسألون ،فإذا استقر هذا المعنى في نفوس العباد ، وأنّ الله يتحبب إليهم بصفة الرحمة والإحسان ، كان ذلك أبعث لإقبالهم عليه بصدور مطمئنة ، وقلوب مؤمنة " (١٨٦).

١٧.تأخير (المغفرة) عن (الرحمة) :

وذلك مع بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٩) .

فقد أخّر المغفرة عن الرحمة في هذه الآية وذلك ؛ لأنّ النص يصور قوماً قد ظلوا وشعروا بما ارتكبوه فقدموا الرحمة ؛ لأنّ ذنبهم لو نُظِر إليه بلا رحمة لا يمكن أن يُغفر أبداً لكبره وشناعته ؛ لذا قدموا الرحمة على الغفران .

(٣) إرشاد العقل السليم : ٢٧٦/١ .
(٤) تفسير القرآن الكريم : ٢٧ .

١٨.تـأخير لفـظ (غفـار) عـن (العزيـز) : اقتـرن وصـفه تعـالى (غفـار) مـع وصـفه بـ (العزيـز) فـي ثلاثـة مواضـع مـن القـرآن الكـريم[١٨٧] ، وذلـك فـي قولـه تعـالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (ص : ٦٦) وقولـه عز وجـل : ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمـر : مـن الآيـة ٥) وقولـه جـل وعـلا : ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر : ٤٢)

وفي اقتران وصفه تعالى بأنه (غفّار) بوصفه بأنه (عزيز) دلالـة علـى المنعـة والقوة ، إذ إنّ في تقدّم لفظ (عزيز) على (غفّار) إشعاراً بشدة المبالغة ، فإنـه تعـالى حين يكـون عزيـزاً فإنه يعفو ويغفر لا عن عجز أو ضعف ، وإنما يكون عفوه وغفرانه عن قوة وقدرة[١٨٨] .

د ـ الأمر الموجّه إلى الرسول الكريم محمد ـ ﷺ ـ بالاستغفار:

أمر الله تعـالى الرسـول الأكـرم سيدنا محمد ـ ص ـ بالاستغفار فـي عدة مواضـع فقد أمـره بالاستغفار لذنبـه ، والاستغفار بصـفة عامـة ، والاستغفار للمؤمنين والمؤمنـات والاستغفار للمستأذنين ، والاستغفار للنساء المبايعات ، وسأكتفي بعرض أمرين فقط همـا : أمـره ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ بالاستغفار لذنبـه ، وبالاستغفار بصـفة عامـة ، لأنّ الاسـتغفار للمـؤمنين والمؤمنـات وللمستأذنين ، وللنسـاء المبايعـات ـ واضـح جلـي يُفهم منـه الاسـتغفار بعينـه وهـو طلب المغفرة من الله تعالى .

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٧ .
(٢) ينظر : الظواهر اللغوية في كتب إعجاز القرآن : ٨٢ .

١ـ **الأمر للرسول ـ ص ـ بالاستغفار من الذنب** : قال تعالى﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ (غافر: من الآية ٥٥) .

فهذا الأمر بالاستغفار للنبي ـ ﷺ ـ يجب تفسيره في نطاق عصمة النبي ـ ﷺ ـ من الذنب[١٨٩] .

فذهب رأي إلى أنّ المقصود به هو التوبة عن ترك الأولى والأفضل أو ما كان قد صدر عنه ـ ﷺ ـ قبل النبوة ، وقيل المقصود به محض التعبد والدعاء[١٩٠] . فإذا كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يُؤمر بالاستغفار والتعبد والدعاء والانقطاع إلى الله تعالى فغيره أولى بذلك الاستغفار والتعبد والدعاء ؛ وليكون استغفاره ودعاؤه ـ ﷺ ـ سُنّة لمن بعده[١٩١] .

وقيل:إنّ المقصود : استغفر لذنب أمتك في حقك ، من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه[١٩٢] ، ومثله قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ (محمد : من الآية ١٩)

٢ ـ **الأمر للرسول ـ ﷺ ـ بالاستغفار بصفة عامة** :

قال الله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (النصر : ٣) ، ذكر المفسرون في قوله﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ وجوهاً من الدلالة[١٩٣] :

أحدها : أنّ استغفار النبي ـ ﷺ ـ جارٍ مجرى التسبيح ، وذلك لأنه وصف الله تعالى بأنه غفار .

وثانيها : تعبده لله تعالى بذلك ، ليقتدي به غيره ، إذ لا يأمن كل مُكلّف عن تقصير يقع منه في عبادته ، وفيه تنبيه على أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار، فكيف من دونه ؟

وثالثها : أنّ الاستغفار كان عن ترك الأفضل .

---

(١) للتفصيل في هذا الموضوع ، ينظر : تنزيه الأنبياء ، الشريف المرتضى : ١٥١ ـ ١٨١ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٥٢٥/٢٧ ، تفسير البحر المحيط : ٦٢٤/٧ .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٦٢٤/٧ ، في رحاب القرآن الكريم : ٨١ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٥٢٥/٢٧ ، في رحاب القرآن الكريم : ٨١ .
(١) ينظر : التفسير الكبير : ٣٤٤/٣٢ـ٣٤٥ ، في رحاب القرآن الكريم : ٨٥ .

ورابعها : أنّ الاستغفار كان بسبب أنّ كل طاعة أتى بها العبد ، إذا قابلها بإحسان الرب، وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة ، فليستغفر الله لأجل ذلك .

وخامسها : الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك ، لأنّ السائر إلى الله تعالى إذا وصل إلى مقام في العبودية ، ثم تجاوزه ، فبعد تجاوزه يرى ذلك المكان قاصراً فيستغفر الله عنه ، ولما كانت مراتب السير إلى الله غير متناهية ، لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية أيضاً .

وسادسها : أنْ يكون المراد : واستغفر لذنب أمتك ، لأنه تعالى أمره بالاستغفار لذنب أُمته في قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (محمد : من الآية ١٩) .

ذ ـ النتائج المترتبة على الاستغفار :

لاستغفار الله تعالى كثير من النتائج الطيبة التي تتجلى فيها رحمة الله تعالى وفضله وبره وإحسانه بعباده المستغفرين ، فمن نتائج الاستغفار : المغفرة التي يمنحها الله تعالى لعباده المستغفرين ، والأمان من العذاب ، وإنزال المطر وزيادة القوة والرحمة ، والإمداد بالأموال والبنين والخيرات[١٩٤] . ويمكن إجمال هذه النتائج في ضوء السياق الذي وردت فيه آيات الاستغفار بما يأتي :

١ـ المغفرة من الله تعالى للمستغفرين : قال تعالى﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (النساء : ١٠٦) ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء: ١١٠) ، وقال : ﴿ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة : ٧٤) يتبين لنا من الآيات السابقة أنّ من نتائج الاستغفار أنّ المغفرة من الله تعالى للمستغفر وهذا من فضل الله تعالى ورحمته .

ويجب أن يكون الاستغفار مقيّداً بالتوبة ؛ لأنّ الاستغفار باللسان من دون التوبة غير نافع ، فالتوبة هي مقدمة ضرورية للاستغفار ؛ لأنّ الاستغفار من دون توبة يحمل في طيّاته نوعاً من النفاق والاستهزاء بالله تعالى ، والآية الثالثة تؤكد ذلك ؛ إذ عرضت على المخاطبين بها أن يتوبوا أولاً ويستغفروا الله تعالى عما اقترفوه من ذنوب .

(١) ينظر : في رحاب القرآن الكريم : ٩٣ .

٢ـ الأمان من العذاب للمستغفرين : قال الله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٣) .

تحتمل هذه الآية ردّ الله تبارك وتعالى على مقولة مشركي مكة التي حكاها الله سبحانه وتعالى عنهم في الآية التي سابقتها وهي قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال:٣٢) . فالله عز وجل لم يُنزل عليهم العذاب كما أنزله على الأمم السابقة رحمة منه وفضلاً ، وذلك لسببين[١٩٥] :

السبب الأول : وجود الرسول ـ ﷺ ـ بينهم ، فهو ـ ﷺ ـ رحمة للعالمين ، فإكراماً له ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ لم يُنزل الله تعالى عليهم عذاب الاستئصال ، ولا يفعل بهم ذلك تعظيماً له .

والسبب الثاني : ما كان الله معذباً هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرونه أو ما كان الله معذباً هؤلاء الكفار، وفي علم الله أن يكون لأحدهم أولاد يؤمنون بالله تعالى ويستغفرونه ، فوُصِفوا بصفة أولادهم وذرياتهم .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : كان فيهم أمانان : نبي الله والاستغفار ، أما النبي ـ ﷺ ـ فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو باقٍ إلى يوم القيامة[١٩٦] .

٣ـ إنزال المطر نتيجة الاستغفار : قال تعالى حكاية عن سيدنا هود ـ عليه السلام ـ ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود : ٥٢).

وقال تعالى حكاية عن نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ (نوح : ١٠و١١) .

---

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/٢٧٥ ـ ٢٧٨ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/٤٨٠ .

فمن ثمرات الاستغفار إنزال المطر ، كما بيّنه الله تعالى في الآيتين السابقتين والمطر نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على خلقه ، فهو عماد حياة الإنسان والحيوان والنبات[١٩٧] قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء : من الآية ٣٠) .

٤ـ زيادة القوة للمستغفرين : قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود : ٥٢) فقد وعد نبي الله هود ـعليه السلامـ قومه بزيادة قوتهم إن هم استغفروا الله تعالى من عبادة الأصنام وتابوا إليه واتبعوا أمره ـعليه السلامـ[١٩٨] .

٥ـ الرحمة للمستغفرين : قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النمل : ٤٥ ،٤٦) أرسل الله تعالى نبيه صالحاً ـعليه السلامـ إلى قومه ثمود وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، فإذا هم فريقان : فريق مؤمن وفريق كافر ، وكلٌّ من هذين الفريقين خصم للآخر ، وقد استعجل الفريق الكافر العذاب ﴿وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف : من الآية ٧٧) ، فردّ عليهم ـ عليه السلام ـ قائلاً : ﴿ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ أي لِمَ تستعجلون بالعذاب قبل التوبة ، ثم حثهم على الاستغفار قائلاً : ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾ أي هلا تطلبون مغفرة الله تعالى قبل نزول العذاب بكم ، ثم بيّن لهم نتيجة الاستغفار وهي نزول رحمة الله تعالى عليهم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي لكي تُرحموا ، وبذلك يتبين أنّ من نتائج الاستغفار نزول رحمة الله تعالى بالمستغفر[١٩٩] .

---

(٣) ينظر : تفسير الكشاف : ٦٠٥/٤ .
(١) ينظر : في رحاب القرآن الكريم : ٩٦ـ٩٧ .
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤٠/١٣ .

٦ـ الإمداد بالخيرات للمستغفرين : ومنها سقوط المطر غزيراً متتابعاً شديد الانسكاب وإمدادهم بالأموال على اختلاف أنواعها ، وبالبنين ، وهما زينة الحياة الدنيا ، ويُنشِيء لهم حدائق فسيحة شبيهة بالجنات ذات أشجار مظلة مثمرة ، ويسخر لهم الأنهار[٢٠٠] ، قال تعالى حكاية عن سيدنا نوح -عليه السلام- : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (نوح : الآيات ١٠ و١١و١٢) .

وما هو واضح لا غموض فيه أنّ جميع النتائج المترتبة على استغفار الإنسان لله تبارك وتعالى عائدة بالنفع إليه ، سواء بقبول أو رحمة أو زيادة قوة وما إلى ذلك مما يرغب فيه الإنسان ويطمح إلى الحصول عليه وفي ذلك دلالة على ترغيب العباد في أن يتوجهوا إلى ربهم الغفور الرحيم بالاستغفار طلباً لغفران ذنوبهم أولاً ، واستدعاءً لما يترتب على ذلك الاستغفار من خيرات وخيرات .

المستوى الدلالي

وهو المستوى الذي يتناولُ نظريةَ المعنى أو هو العلمُ الذي يدرسُ المعنى ،ويُصطلَح عليه في اللغة الإنكليزية(semantics)[٢٠١] .

ومهمتُه البحثُ في معاني المفردات ومشكلاتها ، فضلاً عن معاني الجمل والعبارات، فهو يدرس القوانينَ والقواعد التي تخضع لها معاني الألفاظ من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية ، وما يطرأُ عليها من تغيير كالتوسّع أو التضييق ،ويدرس أيضاً الشروط الواجب توافرها في اللفظ حتى يكونَ قادراً على تأدية المعنى ، يُزاد على ذلك دراسته فنون القول التي تؤدي إلى إيصال المعنى المطلوب [٢٠٢].

وسأبحث في هذا الفصل نوعين مهمين من أنواع الدلالة هما : الدلالة المعجمية والدلالة السياقية متعقباً أثرهما الدلالي في التعبير عن الرحمة والغفران في القرآن الكريم

---

(٣) ينظر : صفوة التفاسير : ٤٥٢/٣ .
(١) ينظر : علم الدلالة ، د. احمد مختار عمر : ١١ .
(٢) ينظر : دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) : ١٣ـ ١٤ .

أولاً : الدالة المعجمية

وهي ما يُصرّح به المعجم من معان أساسية (مركزية) للألفاظ[٢٠٣] ، وسأتناول الدالة المعجمية لمادتي (رحم) و(غفر) ، ولثلاث من المواد الأخرى ذوات الصلة الوثيقة بهما ، وهي مادة (رأف) ؛ لأنّ الرأفة أعلى معاني الرحمة أو أرق الرحمة ، ومادة (صفح) ؛ لأنّ الصفح هو الإعراض عن الذنب فهو داخل في الغران ، ومادة (عفو) ؛ لأنّ العفو هو ترك العقاب على الذنب ، فهو داخل في الغفران أيضاً .

أ - رَحِم :

الرحمة في اللغة : الرّقة والعطف والتعطف[٢٠٤] ، يقال : رَحِمَهُ يَرْحَمُه رَحْمةً ومَرْحَمةً ورَحَمةً ورُحْماً ورُحُماً : إذا رَقّ له قلبه وتعطف عليه ، وتراحَم القومُ : رَحِمَ بعضُهم بعضاً ، وتَرحَّم عليه: دعا له بالرحمة واسترحمه : سأله الرحمةَ[٢٠٥] . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد :من الآية ١٧) .

أي " أوصى بعضُهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه " [٢٠٦] والرَّحِم : رَحِمُ الأُنثى هو بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن[٢٠٧] . " وسُمّيت رحم الأنثى رَحِماً من هذا لأنّ

---

(٣) ينظر : محمد بن عزيز العزيزي السجستاني وكتابه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ، ذكاء عبد الستار حمزة (رسالة ماجستير) : ٢٠ .

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس : ٤٩٨/٢(رحم) ، والصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري : ١٩٢٩/٥ (رحم) ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣٤٧ (رحم) ، المحكم والمحيط الأعظم ، علي بن إسماعيل ابن سيدة : ٢٥٣/٣ (رحم) ، لسان العرب : ٢٣٠/١٢ (رحم) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : ١١٧/٤ (رحم) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية : ٤٨١/١ .

(٢) ينظر : العين : ٢٢٤/٣ (رحم) ، مجمل اللغة ، أحمد بن فارس : ٤٢٤/٢ (رحم) ، معجم مقاييس اللغة : ٤٩٨/٢ (رحم) ، المحكم والمحيط الأعظم : ٥٣/٣ (رحم) ، لسان العرب : ٢٣٠/١٢ (رحم) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٤٨١/١ .

(٣) كتاب العين : ٢٢٤/٣ (رحم) ، تهذيب اللغة : ٣٤/٥ (رحم) ، لسان العرب : ٢٣٠/١٢ (رحم) .

(٤) ينظر : كتاب العين : ٢٢٤/٣ (رحم) ، تهذيب اللغة : ٣٤/٥ (رحم) .

منها ما يكون ما يُرحَمُ ويُرَّق له من ولد " [٢٠٨]. ومنه استُعيرَ الرَّحِم للقرابة ؛ لكونهم خارجين من رَحِم واحدة [٢٠٩].

وقد بيّن الراغب الأصفهاني معنى الرحمة وكيفية استعمالها فقال : " والرحمة رِقّةٌ تقضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تُستَعمل تارة في الرّقة المجرَّدة وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرقة ، نحو رَحِم اللهُ فلاناً ، وإذا وُصِف به البارئ فليس يُراد به إلا الإحسان المُجرَّد دون الرّقة ، وعلى هذا رُوي أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رِقة وتعطف (...) فركز تعالى في طبائع الناس الرقة والتفرد بالإحسان" [٢١٠].

فالرحمة في بني آدم عند العرب : رقة القلب وعطفه ، أما رحمة الله تعالى : عطفه إحسانه ورزقه [٢١١].

وعلى الرغم من التقارب الدلالي بين الرقة والرحمة إلا أنّ بينهما فرقاً ذكره أبو هلال العسكري هو : " أنّ الرقة والغلظة يكونان في القلب وغيره خِلْقةً ، والرحمة فعل الراحم ، والناس يقولون رقّ عليه فرحمه ، يجعلون الرقة سبب الرحمة " [٢١٢] فالرحمة إذن نتيجة من نتائج الرقة .

إما الفرق بين النعمة والرحمة : فالرحمة هي الإنعام على المحتاج إليه ، وليس كذلك النعمة ؛ لأنك إذا أنعمت بمالٍ تعطيه إياه فقد أنعمت عليه ، ولا تقول إنك رحمته[٢١٣].

جاء في تاج العروس " الرحمة على قسمين : امتنانية ووجوبية ، فالامتنانية هي الرحمة المُفيضة للنِّعم السابقة على العمل ، وهي التي وَسِعت كلَّ شيءٍ ، وأما الوجوبية فهي الموعودة للمتقين والمحسنين ، (...) وهي داخلة في الامتنانية ؛ لأنّ الوعد بها على العمل محضُ المِنة " [٢١٤] وذكر الثعلبي أنّ " الرحمة إرادة الله الخير بأهله وهي على هذا القول صفة ذات ، وقيل : هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة ، وفعل الخير إلى من لم يستحق ، وعلى هذا القول صفة فعل " [٢١٥].

---

(٥) معجم مقاييس اللغة : ٤٩٨/٢ (رحم) .
(٦) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٤٧ (رحم) ، بصائر ذوي التمييز : ٥٧/٣ .
(٧) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٤٧ (رحم) ، بصائر ذوي التمييز : ٥٣/٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي : ٢٧٤/١٦ (رحم) .
(١) ينظر : لسان العرب : ٢٣١/١٢ (رحم) .
(٢) الفروق في اللغة : ١٩٠ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ، الشيخ محمد جعفر الكرباسي : ٤٤/٣ .
(٣) ينظر : الفروق في اللغة : ١٨٩ .
(٤) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : ٢٧٤/١٦ (رحم) .
(٥) الكشف والبيان في تفسير القرآن ، الثعلبي : ١/ ٢٧ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٧٧/١ ، كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي : ٢٦١/٢ .

وقيل : الرحمة هي إرادة إيصال الخير [٢١٦].

وقد اختلف أصحاب الوجوه والنظائر في وجوه الرحمة في القرآن الكريم ، فمنهم من قال إنها على أحد عشر وجهاً [٢١٧] ، ومنهم من قال إنها على أربعة عشر وجهاً[٢١٨] ومنهم من يرى أنها على خمسة عشر وجهاً[٢١٩] ،ومنهم من يرى أنها على ستة عشر وجهاً[٢٢٠] ، ومنهم من بالغ في ذلك فقال إنها على عشرين وجهاً[٢٢١] .

ويبدو لي أنّ وجوه الرحمة في القرآن الكريم هي سبعة عشر وجهاً وهي :

الوجه الأول : دين الإسلام[٢٢٢] ، فذلك قوله عز وجل ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ (الإنسان : من الآية ٣١) يعني في دين الإسلام ، وقال أيضاً ﴿ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ (الشورى : من الآية ٨) يعني في دينه ، وقال تعالى في سورة الفتح ﴿ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (الفتح : من الآية ٢٥) يعني في دينه .

والوجه الثاني : الجنة[٢٢٣] ، وذلك في قوله تعالى﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٧) " يعني جنته ، سَمّاها رحمة ؛ لأنّ دخولهم إياها كان برحمته " [٢٢٤] فلما كانت الجنة محلاً ومقاماً للرحمة ، والرحمة حالّة بها عبّر عنها بما هو

---

(٦) ينظر : التعريفات : ٩٧ .
(٧) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٣ .
(٨) ينظر : إصلاح الوجوه والنظائر : ٩٩ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٢٥/٢ .
(١) ينظر : وجوه القرآن ، النيسابوري : ٢٦٦ .
(٢) ينظر : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٣٣١ .
(٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٥٥/٣ .
(٤) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٣ ، التصاريف ، يحيى بن سلام : ١٣٤ ، تحصيل نظائر القرآن ، محمد بن علي الترمذي : ٤٧ ، وجوه القرآن : ٢٦٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ١٩٩ ، منتخب قرة العيون النواظر ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي : ١٣٦ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٥/٣ .
(٥) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٣ ، التصاريف : ١٣٤ ، تحصيل نظائر القرآن : ٤٧ وجوه القرآن : ٢٦٦ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ١٩٩ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٣٥ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٧/٣ .
(٦) تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ١١٠ .

حالٌ فيها ، وهو الرحمة [٢٢٥] . وفيه إشارة إلى أنّ المؤمن وإنْ استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى[٢٢٦] .

وقال عز وجل أيضاً في سورة النساء ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ (النساء: من الآية ٧٥) يعني الجنة ، وقال أيضاً ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ (الجاثية : من الآية ٣٠) أي جنته ، وقال في سورة البقرة :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢١٨) أي يرجون جنة الله ، وقال في العنكبوت ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ (العنكبوت : من الآية ٢٣) يعني يئسوا من جنتي.

والوجه الثالث : المطر[٢٢٧] ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الأعراف : من الآية ٥٧) فرحمته ها هنا المطر ، وسمّاه رحمة ؛ لأنه ينزل برحمته ، ويكون برحمته [٢٢٨]. وقال في سورة الفرقان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الفرقان : من الآية ٤٨) وكقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ (الروم : من الآية ٤٦) يعني المطر ، وقال فيها أيضاً : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (الروم : من الآية ٥٠) .

---

(٧) ينظر : مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية) ، د. محمد حسين الصغير : ١٦٢ .
(٨) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٦٩/٢ .
(١) الوجوه والنظائر : ٥٣ـ٥٤ ، وجوه القرآن : ٢٦٧ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ١٩٩ ، نزهة الأعين النواظر : ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٦/٣ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ١٣٢/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٧/٣ .
(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ١٦٩ ، تأويل مشكل القرآن : ١١٠ ، تأويلات أهل السنة : ٢٨٩/٨ .

وأحسب أنّ جعل الرحمة هنا بمعنى الغيث أدق من جعلها بمعنى المطر ؛ لأنّ الغيث لا يكون إلا نافعاً ، أما المطر فقد يكون نافعاً وقد يكون عذاباً وشراً .

فضلا عن ذلك فإنّ كلمة (مطر) وردت مصدراً في سبع آيات ، كما وردت فعلاً في سبع آيات أُخر ، وفي آية واحدة جاءت اسم فاعل (مُمطر) من الرباعي ، كلها تنصرف إلى العذاب والنذر بالشر[٢٢٩] ، منها قوله تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (الشعراء : ١٧٣) و(النمل : ٥٨) وقال أيضاً : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (الحجر : من الآية ٧٤) وقال في سورة الفرقان : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ (الفرقان : من الآية ٤٠) .

فقد فرّقت لغة التنزيل العزيز بين المطر والغيث ، فكان المطر عذاباً وشراً ونذراً بالويل والثبور ، وكان الغيث رحمة وخيراً ونعمة[٢٣٠].

الوجه الرابع : النبوّة[٢٣١] ، فذلك قوله تعالى ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ (ص :٩) يعني مفاتيح النبوة . ونظيرها في سورة الزخرف ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف : من الآية ٣٢) يعني النبوة ، وقال تعالى ﴿ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (البقرة : من الآية ١٠٥) قال الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- :﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي بنبوته ، خصَّ بها نبينا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم -[٢٣٢] .

---

(١) ينظر : من وحي القرآن ، د. إبراهيم السامرائي : ١٢٧ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٣) الوجوه والنظائر : ٥٤ ، التصاريف : ١٣٥ ، تحصيل نظائر القرآن : ٤٧ ، وجوه القرآن : ٢٦٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر: ٢٠٠ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٣٦ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٢٦/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٧/٣ .
(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٢٥٤/٣ (رحم) ، الجامع لأحكام القرآن : ٤٤/٢ ، القاموس المحيط : ١١٨/٤ (رحم) ، تفسير الجلالين : ٢٦/١ ، تاج العروس : ١٦/ ٢٧٦ (رحم) .

والوجه الخامس : النعمة[٢٣٣] ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (النساء : من الآية ٨٣) يعني ونعمته . وقال في سورة الكهف ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا ﴾ (الكهف : من الآية ٦٥) يعني نعمة من عندنا .

وقال في سورة النور ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور : ١٠) يعني نعمته .

والوجه السادس : القرآن[٢٣٤] ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٨) أي بالإسلام وبالقرآن[٢٣٥] . وقال في سورة الإسراء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ (الإسراء : ٨٢) .

والوجه السابع : الرزق[٢٣٦] ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ﴾ (الإسراء : من الآية ١٠٠) يعني مفاتيح الرزق ، وقال أيضاً ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ (الإسراء : ٢٨) يعني انتظار رزق ترجوه من الله تعالى ، وقال في سورة الكهف ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الكهف : من الآية ١٠) يعني رزقاً ، وقال فيها أيضاً :﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن

(١) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٤ ، التصاريف : ١٣٦ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٠٠ نزهة الأعين النواظر : ٣٣٣ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٣٧ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٦/٣ ، معترك الأقران في علوم القرآن : ١٣٢/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٨/٣.

(٢) الوجوه والنظائر : ٥٤ ، التصاريف : ١٣٦ ، وجوه القرآن : ٢٦٧ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٠٠ ، نزهة الأعين النواظر : ٣٣٢ ، منتخب قرة العيون النواظر: ١٣٧ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٥/٣.

(٣) ينظر : تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ١٩٧ .

(٤) التصاريف : ١٣٦ ، تحصيل نظائر القرآن : ٤٧ ، وجوه القرآن : ٢٦٨-٢٦٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٠٠-٢٠١ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٣٧ ، الكليات ، أبو البقاء الكفوي : ٣٧٨/٢ .

رَّحمته ﴾ (الكهف : من الآية ١٦) يعني من رزقه ، وقال في سورة فاطر ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر : من الآية ٢) يعني من رزق .

والوجه الثامن : النصر والفتح[٢٣٧] ، وذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ (الأحزاب : ١٧) يعني خيراً وهو النصر والفتح .

والوجه التاسع : الإيمان[٢٣٨] ، فذلك قوله تعالى في سورة هود : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ (هود من الآية ٢٨) يعني نعمةً وهو الإيمان وقال فيها أيضاً ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ (هود : من الآية ٦٣) .

والوجه العاشر : المودة[٢٣٩] ، فذلك في قوله عز وجل في سورة الحديد ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد: من الآية ٢٧) يعني مودة ، وقال تعالى في سورة الفتح ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : من الآية ٢٩) يعني متوادِّين .

---

(١) الوجوه والنظائر : ٥٥ ، التصاريف : ١٣٧ ، وجوه القرآن: ٢٦٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر: ٢٠١ ، نزهة الأعين النواظر : ٣٣٣ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٦/٣ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٢٦/٢ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٥ ، وجوه القرآن : ٢٦٨ ، إصلاح الوجوه والنظائر: ٢٠١ ، نزهة الأعين النواظر: ٣٣١ ، معترك الأقران : ١٣٢/٢ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر : ٥٥ ، التصاريف : ١٣٧ ، وجوه القرآن : ٢٦٩ ،الكليات : ٣٧٩/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٧/٣ .

والوجه الحادي عشر : إرسال الرسول محمد ـ ﷺ ـ [٢٤٠] ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

والوجه الثاني عشر :العصمة من العصيان[٢٤١] ، منه قوله تعالى ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾ (يوسف : من الآية ٥٣) أي العصمة النفسية من العصيان ، وقال أيضاً ﴿ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ (هود : من الآية ٤٣) أي إلا من عُصِم من العصيان .

والوجه الثالث عشر : السعة[٢٤٢] ، فذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة : من الآية ١٧٨) أي ذلك الحكم بشرع القصص والدية تخفيفٌ في حقكم ؛ لأنّ العفو وأخذ الدية محرمان على أهل التوراة والقصاص مكتوب عليهم ، والقصاص والدية محرمان على أهل الإنجيل

(١) إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٠٢ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٥/٣ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٥٠/٣ .
(٢) ينظر : وجوه القرآن : ٢٦٧ ، نزهة الأعين النواظر : ٣٣٤ ، بصائر ذوي التمييز : ٥٦/٣ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٩/٣-٥٠ .
(٣) ينظر : منتخب قرة العيون النواظر: ١٣٨ ، نزهة الأعين النواظر : ٣٣٤ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٢٦/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٤٩/٣ .

والعفو مكتوبٌ عليهم ، وهذه الأمة مخيرة بين القصاص والدية والعفو ، توسعةً عليهم وتيسيراً ، وهذا قول ابن عباس[٢٤٣] .

والوجه السادس عشر : الثبات[٢٤٤] ، وذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران : ٨) ،وقال أيضاً ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الكهف : من الآية ١٠) يعني : هب لنا (ثباتاً) على دينك بعد أن هديتنا له

والوجه السابع عشر : ظهور الشمس بعد المطر ذكره المهدوي[٢٤٥] . وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى : ٢٨) .

قيل : الرحمة هنا ظهور الشمس بعد المطر ؛ لأنّ المطر إذا دام سُئِم ، فتجيء الشمس بعده عظيمة الموقع [٢٤٦].

وقال السدي : الرحمة هنا الغيث ، وعدد النعمة بعينها بلفظين[٢٤٧] .

ويُعدُّ عرض هذه الوجوه لدلالة المعنى التي كشفت عن اتجاه النظم القرآني بدلالة الرحمة صوبَ معانٍ تمثل هي وأخواتها مما ذكرنا انموذجاً وصورة لمعجم الدلالة القرآني الذي يكتمل ويصبح شاملاً إن وُسِّعت الدراسات الدلالية لتشمل موضوعات القرآن الكريم كافة . وهو ما يدعو إليه الدكتور أستاذنا رحيم جبر الحسناوي[٢٤٨] .

---

(١) ينظر : تفسير الكشاف : ٢٢٠/١ ، التفسير الكبير : ٢٢٨ .
(٢) ينظر : وجوه القرآن : ٢٦٧ .
(٣) ينظر : نزهة الأعين النواظر : ٣٣٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢١/١٦ ، تفسير البحر المحيط : ٦٨٧/٧ ،الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٥٠/٣ .
(٤) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٦٨٧/٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٨/٢٥ ، وتفسير البحر المحيط : ٦٨٧/٧ .

(٦) ينظر : المعرفة اللغوية في ظلال القرآن الكريم ، رؤية ومنهج (مخطوط) ، د. رحيم جبر الحسناوي : ٥٠ .

ب ـ رأف:

الرأفة : أخصّ من الرحمة وأرق[٢٤٩] . وقال أبو عبيدة : " الرأفة أرقّ الرحمة " [٢٥٠] وجاء في تفسير الطبري أنّ الرأفة " أعلى معاني الرحمة " [٢٥١] فالرأفة أبلغ الرحمة وألطفها[٢٥٢].

قال ابن فارس : " الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقةٍ ورحمة ، وهي الرأفة " [٢٥٣] والفرق بين الرأفة والرحمة أنّ " الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر (...) وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ، ويدخل فيه الأفضال والإنعام ، وقد سمّى الله تعالى المطر رحمة فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الأعراف : ٥٧) ؛ لأنه إفضال من الله وإنعام " [٢٥٤]. ويرى الإمام محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ : " إنها لا تُستعمل إلا في حقِّ من وقع في بلاء " [٢٥٥] والأصح من ذلك إنها تُستعمل في مكان الضعف والشفقة والرقة كقولهم : رأف بولده وترأف به[٢٥٦]. ومما قيل في الفرق بين الرأفة والرحمة أنّ " الرحمة أكثر من الرأفة في الكمية ، والرأفة أقوى منها في الكيفية؛لأنّها عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام ، والرحمة إيصال النعمة مطلقاً ، وقد يكون مع الألم كقطع العضو المتآكل " [٢٥٧] . وقيل : الرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضرر ، والرحمة : عبارة عن السعي في إيصال النفع[٢٥٨].

وقال أبو زيد : رَؤُفتُ بالرجل أرؤُف به رأفة ورآفة ورأفت به أرأف ورئفت به رأفا ، كل من كلام العرب[٢٥٩] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة : ١٧٢/١٥ (رأف) ، لسان العرب : ١١٢/٩(رأف) ، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٨٨/١.
(٢) المحرر الوجيز : ١٠٠/٣ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٦١/٢ .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٥/٢ .
(٤) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٦٥/١ .
(٥) معجم مقاييس اللغة : ٤٧١/٢ (رأف) .
(٦) التفسير الكبير : ٩٣/٤ ، لباب التأويل في معاني التنزيل : ٨٨/١ ، الكليات : ٣٧٨/٢ .
(٧) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١١/ ٧٠ .
(٨) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٩) إرشاد العقل السليم : ١٧٤/١ .
(١٠) ينظر : الفتوحات الإلهية : ٣٢٥/٢ .

(١) ينظر : العين : ٢٨٢/٨ (رأف) ، تهذيب اللغة : ١٧٢/١٥ (رأف) ، الصحاح : ١٣٦٢/٤ (رأف) ، لسان العرب : ١١٢/٩ (رأف) .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (النور : من الآية ٢) قال الزجاج : أي لا ترحموهما فتُسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد [٢٦٠].

ولا يجوز أن تُوصَف الرحمة بالشدة ، كما وصفها الكثير من علماء العرب القدماء قال أبو عبيدة : " رؤوف : فعول من الرأفة وهي أشد الرحمة " [٢٦١]؛ وذلك لأنّ الشدة لا تتناسب مع الرحمة ، ولكن يمكن أن يقال إنّ الرأفة أرق الرحمة أو ألطف الرحمة أو أبلغ الرحمة كما ذكرنا ذلك سابقاً .

يتضح من ذلك أنّ الرأفة أخصّ من الرحمة من جهتين[٢٦٢] :

الأولى : لكونها أرق من الرحمة .

والأخرى : أنّ الرأفة لا تكاد تقع في الكراهية بخلاف الرحمة ، فإنها قد تقع في الكراهية للمصلحة .

وعلى الرغم من التقارب الدلالي بين الرأفة والرحمة إلا أنّ " الرأفة في دفع المكروه ، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل فهي أعم من الرأفة " [٢٦٣]. وجاء في الفروق في اللغة : " الرأفة أبلغ من الرحمة ، ولهذا قال أبو عبيدة إنّ في قوله تعالى ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ تقديماً وتأخيراً ، أراد أنّ التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى ، فإذا تقدم الأبلغ في اللفظ كان المعنى مؤخراً " [٢٦٤].

ويرى محمد رشيد رضا : أنّ الرأفة أثر من آثار الرحمة ، والرحمة أعم ، فإنّ الرأفة لا تُستعمل إلا في حق من وقع في بلاء ، والرحمة تشمل دفع الألم والضر،وتشمل الإحسان وزيادة الإحسان[٢٦٥] .

ومن صفات الله عز وجل (الرؤوف) وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بألطافه[٢٦٦] . وفيه لغتان قُرِئ بهما معاً[٢٦٧] . (رؤوف) على فَعُول ، قال كعب بن مالك الأنصاري :

---

(٢) ينظر : تهذيب اللغة : ١٧٢/١٥ (رأف) ، معجم مقاييس اللغة : ٤٧١/٢ (رأف) ، تفسير الجلالين : ٧٧/٢ .
(٣) مجاز القرآن : ٥٩/١ ، الصحاح : ١٣٦٢/٤ (رأف) ، لسان العرب : ١١٢/٩ (رأف) ، القاموس المحيط : ١٤٢/٣ (رأف) ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ٨/٣-٩ .
(٤) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١١٩/٢ .
(٥) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٠/١ .
(٦) الفروق في اللغة : ١٩٠ .
(١) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١١/٢ .
(٢) ينظر : لسان العرب : ١١٢/٩ (رأف) .
(٣) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤١٤/١ .

نُطِيعُ نبينا ونُطيعُ ربّاً هو الرحمنُ كان بنا رَؤوفاً (٢٦٨)

و(رَؤُف) على فَعُلٍ ، قال جرير :

ترى للمُسلمينَ عليك حقّاً كفِعْلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرحيم (٢٦٩)

ت ـ صفح :

الصَّفْح في اللغة : الجَنْبُ . وصَفْحُ كلِّ شيءٍ جانبه ، وصَفْحاه : جانباه ، كصفحة الوجه وصفحة السيف ، والصَّفْح من الوجه والسيف : عُرْضه أو عُرُضه ، وصفحتا السيف : وجهاه ، يقال : أصفحه بالسيف إذا ضربه بعُرْضه دون حَدِّه ، ويقال : صفح فلانٌ عني أي أعرض بوجهه وولاَّني وجه قفاه ، وصفحتا الورق : وجهاه اللذان يُكتبُ فيهما(٢٧٠) .

" وصَفَحَ عنه ، يَصْفَحُ صَفْحاً : أعرض عن ذنبه ، وهو صَفُوح وصَفَّاح : عَفُوٌّ . والصفُوح : الكريم ؛ لأنه يَصفَح عمن جنى عليه . واستصفحه ذنبه : استغفره إياه وطلب أنْ يصفح له عنه " (٢٧١).

والصَّفُوح من صفات الله تعالى ، ومعناه : العفُوّ عن ذنوب العباد مُعْرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة تكرّماً(٢٧٢) .

ودلالة هذا اللفظ وهي العفو والغفران مأخوذة من المعنى المحسوس وهو الإعراض عن الشيء ، وقد أشار ابن فارس إلى ذلك إذ قال: " فأمّا قولهم : صفح عنه وذلك إذا أعرض عن ذنبه فهو من الباب ؛ لأنه إذا أعرض عنه فكأنه قد ولاّه صفحته وصُفحه أي عرضه وجانبه وهو مثل " (٢٧٣). " وصفحت عنه: أي عفوت عنه . وصَفَحْتُ ورق المُصْحَف صَفْحاً وصَفَحتُ القوم : عَرَضتُهم واحداً واحداً ، وتَصفَّحتُهم : نظرتُ في خلالهم، هل أرى فلاناً ، أو ما حالهم" (٢٧٤).

---

(٤) ديوان كعب بن مالك : ٢٣٦ .
(٥) ديوان جرير : ٤١٣ .
(١) ينظر : كتاب العين : ١٢٢/٣ (صفح) ، تهذيب اللغة : ١٤٩/٤ ـ١٥٠ (صفح) ، معجم مقاييس اللغة : ٢٩٣/٣ (صفح) ، مجمل اللغة : ٥٣٥/٢ (صفح) ، الصحاح : ٣٨٢/١ (صفح) ، مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٦ (صفح)،المحكم والمحيط الأعظم : ١١٦/٣ (صفح) ، القاموس المحيط : ٢٣٤/١ (صفح) ، لسان العرب : ٥١٢/٢ ـ٥١٣ (صفح) تاج العروس : ١٢١/٤ (صفح) .
(٢) لسان العرب : ٥١٥/٢ (صفح) .
(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ١١٧/٣ (صفح) ، لسان العرب : ٥١٥/٢ (صفح) ، تاج العروس : ١٢٣/٤ (صفح) .
(٤) معجم مقاييس اللغة : ٢٩٣/٣ (صفح) .
(٥) كتاب العين : ١٢٢/٣ (صفح) ، المحكم والمحيط الأعظم : ١١٧/٣ (صفح) .

وقال الراغب : " وصفحت عنه : أوليتهُ مني صَفحةً جميلةً مُعْرِضاً عن ذنبه ، أو لقيتُ صفحته مُتجافياً عنه ، أو تجاوزت الصفحة التي أثبتُّ فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها ، من قولك : تصفّحتُ الكتابَ " (٢٧٥) .

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين الصفح والغفران ، فقال : " إنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب ، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب (...) والصفح التجاوز عن الذنب من قولك : صفحت الورق إذا تجاوزتها ، وقيل : هو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب ، وأنْ تُبدي له صفحة جميلة ، ولهذا لا يُستعمل في الله تعالى " (٢٧٦). فالصفح لا يقتضي الثواب بخلاف الغفران ، فإنه يقتضي الثواب ، ولا يستحقه إلا المؤمن ولا يستعمل إلا في الباري تعالى (٢٧٧) .

ولكنه لم يُفرّق بين العفو والصفح ، وقد فرّق بينهما الراغب إذ قال : " والصفح ترك التثريب . وهو أبلغ من العفو ، ولذلك قال : ﴿ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح " (٢٧٨).

وجاء في تفسير المنار : " العفو : ترك العقاب على الذنب ، ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ والصفح : الإعراض عن المذنب بصفحة الوجه : فيشمل ترك العقاب ، وترك اللوم والتثريب " (٢٧٩).

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ العفو لا يكون إلا في الأفعال ، بينما الصفح يكون في جنايات القلوب ، فالصفح أميز من العفو ، ففي العفو رفع الجناح ، بينما في الصفح إخراج ذكر الإثارة من القلب ، فمن تجاوز عن الجاني ولم يلاحظه بعد التجاوز بعين الاستحقار والازدراء فهو صاحب الصفح(٢٨٠) .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٦ ، (صفح).
(٢) الفروق في اللغة : ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، الكليات : ٣٠١/٣ (غفر) .
(٣) ينظر : الكليات : ٣٠١/٣ (غفر) .
(٤) مفرادت ألفاظ القرآن : ٤٨٦ (صفح) ، الكليات : ١٢٠/٣ ، والتثريب : التعبير واللوم وإفساد الأمر ، ينظر : معاني القرآن (النحاس) : ٤٥٦/٣ ، وقال الراغب : التثريب : التقريع والتقرير بالذنب ، ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ١٧٣ (ثرب) والشاهد القرآني من سورة البقرة : ١٠٩ .
(٥) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ٣٤٢/١ ، والشاهد القرآني من سورة التوبة : من الآية ٦٦ .
(١) ينظر : تجليات في أسماء الله الحسنى ، د. عبد المنعم الحفني : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

ث ـ عفو :

العفو في اللغة : الترك[٢٨١] . قال ابن فارس : " العين والفاء والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على ترك الشيء والآخر على طلبه ، ثم يرجع إليه فروع كثيرة ، لا تتفاوت في المعنى ، فالأول : العفو : عفو الله تعالى عن خلقه ، وذلك تركه إياهم فلا يُعاقبهم فضلاً منه . قال الخليل : وكلّ من استحق عقوبةً فتركته فقد عفوت عنه " [٢٨٢] وقال أيضاً : " والأصل الآخر الذي معناه الطلب قول الخليل : إنّ العُفاة طُلاب المعروف وهم المُعتَفون أيضاً . يقال : اعتفيتُ فلاناً ، إذا طلبت معروفه وفضله . فإن كان المعروف هو العفو فالأصلان يرجعان إلى معنى وهو الترك " [٢٨٣].

وذهب ابن منظور إلى أنّ أصل العفو هو المحو والطمس ، فقال : " في أسماء الله تعالى : العَفُوّ ، وهو فَعُول من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس وهو من أبنية المبالغة " [٢٨٤]. أما الراغب الأصفهاني فقد ذكر أنّ أصل العفو في اللغة هو (القصد) ، جاء في مفردات ألفاظ القرآن : " العفو : القصد لتناول الشيء ، يقال : عفاه واعتفاه ، أي : قصده متناولاً ما عنده ، وعفت الريح الدار : قصدتها متناولةً آثارها " [٢٨٥] ، وقد تابعه الزبيدي في ذلك إذ قال : "وأما العفو فهو القصد لتناول الشيء ، وهذا هو المعنى الأصلي ، وعليه تدور معانيه ، على ما سيأتي الإيماء إلى ذلك ، كما حققه الراغب وغيره ، لا ما قرره شيخنا من أنّ أصل معناه الترك . قال الراغب : فمعنى عفوت عنك كأنه قصد إزالة ذنبه صارفاً عنه ، فالمعفو المتروك " [٢٨٦] .

وعبارة الراغب الأخيرة : (فالمعفو المتروك) دليل على صحة أنّ أصل العفو هو (الترك) .

وأرجح أنّ أصل العفو في اللغة هو (الترك) أو (المحو والطمس) كما قرره ابن منظور في لسان العرب ، والسيد الزبيدي إذ قال : " العفو : المحو (...) والعفو أيضاً : الإمّحاء . يقال عفا الأثر أي امَّحى ، يتعدى ولا يتعدى " [٢٨٧]، وعفا النبت والشعر وغيره: أي كثُر

---

(١) ينظر : كتاب العين : ٢٥٨/٢ (عفو) ، معجم مقاييس اللغة : ٥٦/٤ (عفو) ، مجمع البيان : ٢٣٣/١ ، اللباب في علوم الكتاب : ٤٢/٤ .
(٢) معجم مقاييس اللغة : ٥٦/٤ (عفو) ، مجمل اللغة : ٦١٥/٣ (عفو) ، لسان العرب : ٧٢/١٥ (عفا) ، القاموس المحيط : ٣٦٤/٤ (عفو) ، الكليات : ١٨٣/٣ (عفو) .
(٣) المصدر نفسه : ٦١/٤ (عفو) .
(٤) لسان العرب : ٧٢/١٥ (عفا) .
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٥٧٤ (عفو) .
(٦) تاج العروس : ٦٨٦/١٩ (عفو) .
(١) تاج العروس : ٦٨٦/١٩ (عفو) .

وطال[٢٨٨] . قال الخطابي : العَفُوُّ : بناء للمبالغة . والعَفُو : الصفح عن الذنوب ، وترك مجازاة المُسيء . وقيل : إنه مأخوذ من عفت الريح الأثر : إذا درسته وكأنّ العافي عن الذنوب يمحو بصفحه عنه[٢٨٩] . وذكر أصحاب الوجوه والنظائر أوجه العفو ، فمنهم من قال إنها ثلاثة أوجه ، ومنهم من قال إنها أربعة ، ومنهم من قال إنها خمسة وهو الصحيح ، فالعفو على خمسة أوجه هي :

الأول : العفو بعينه وهو الصفح والمغفرة[٢٩٠] ، فذلك قوله تعالى في سورة آل عمران للذين انهزموا يوم أُحد ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران : من الآية ١٥٥) . حين لم يستأصلهم ، وقوله في سورة التوبة مخاطباً الرسول الكريم : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة : من الآية ٤٣) فهو العفو بعينه ، وقيل العفو هنا بمعنى المحو كما سيأتي .

والثاني : الترك ويسمى الإسقاط[٢٩١] ، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٣٧) أي : إلا أنْ يتركن نصف المهر الذي لهن أو يترك الزوج النصف الذي له للمرأة فيعطيها الصُداق كاملاً [٢٩٢].

جاء في غريب القرآن في شعر العرب : (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس) : " قال : يا ابن عباس : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٣٧) قال : إلا أن تدع المرأة نصف المهر أو يعطيها زوجها النصف الباقي ، فيقول : كانت في ملكي وحبستها عن الزواج " [٢٩٣] وقال أيضاً: ﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

---

(٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٢٦٨/٢ (عفو) .
(٣) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ٩٦/٢ .
(٤) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ ، التصاريف : ١٩٠ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٢٨ ، نزهة الأعين النواظر : ٤٣٧ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٧٥ ، اللباب في علوم الكتاب : ٤٢/٤ .
(٥) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ ، التصاريف : ١٩٠ ، تحصيل نظائر القرآن : ١٠٠ ، وجوه القرآن : ٤١١ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٢٨ ، نزهة الأعين النواظر : ٤٣٧ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٣/١ ، اللباب في علوم الكتاب : ٤٢/٤ ، معترك الأقران : ٦٢٧/٢ .
(٦) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٢٨ ، تفسير الجلالين : ٥٧/١.
(١) غريب القرآن في شعر العرب (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس) : ٥٠ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٥٢٠/١ .

تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ (البقرة : من الآية ١٨٧) أي : تركككم فلم يعاقبكم[٢٩٤] . وقال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى : من الآية ٤٠) أي : فمن ترك مظلمته[٢٩٥] .

والثالث : الفضل من المال[٢٩٦] ، وهو السهل من غير كلفة ، فذلك في قوله تعالى في البقرة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ (البقرة : من الآية: ٢١٩) يعني " الفضل من أموالهم"[٢٩٧]. من قوت النفس أو العيال ، أي يتصدقون من الذي فضل من قُوْتهم[٢٩٨] . جاء في فتح القدير : " العفو : ما سهل وتيسّر ولم يشق على القلب ، والمعنى : انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجهدوا فيه أنفسكم " [٢٩٩]. وقال في سورة الأعراف ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) يعني الفضل من أموالهم في الصدقة[٣٠٠] .

وقال النبي محمد ـ ﷺ ـ لجبرائيل ـ عليه السلام ـ عند نزول هذه الآية " يا جبريل ما هذا ؟ قال : ما أدري حتى أسأل العالم . قال : ثم قال جبريل : يا محمد إنّ الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتُعطي من حرمك ، وتعفو عمّن ظلمك " [٣٠١].

---

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ ، التصاريف : ١٩٠ .
(٣) ينظر : التصاريف : ١٩٠ ، اللباب في علوم الكتاب : ٤٢/٤ .
(٤) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ ، التصاريف : ١٩٠ ، تحصيل نظائر القرآن : ١٠٠ ، وجوه القرآن : ٤١٢ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٢٨ ، نزهة الأعين النواظر : ٤٣٧ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٧٥ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٣/١ ، التيسير العجيب في تفسير الغريب ـ ابن المنير الاسكندري : ٤٠ .
(٥) التصاريف : ١٩٠ ، معاني القرآن ، الفراء : ١٤١/١ ، تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ٨٢ .
(٦) ينظر : تأويلات أهل السنة : ١١٩/٢ ، البيان في شرح غريب القرآن ، القاسم بن الحسن : ٣٤/١ .
(٧) فتح القدير : ١٩٦/١ .
(٨) ينظر : الوجوه والنظائر : ٨٤ .
(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٤/٩ ، تفسير الكشاف : ١٨٣/٢ ، تفسيرالقرآن العظيم : ٣٠٨/٢ ، وجوه القرآن : ٤١٢ .

والرابع : الكثرة والزيادة[٢٠٢] ، وذلك في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ﴾ (الأعراف : من الآية ٩٥) أي : كثروا[٢٠٣] . قال أبو عبيدة : " ﴿ حَتَّى عَفَواْ﴾ مجازه : حتى كثروا ، وكذلك كلّ نباتٍ وقومٍ وغيره إذا كثروا فقد عفوا " [٢٠٤].

والخامس : محا ودرس وذهب أثره[٢٠٥] ، يقال : " عفا الأثر بمعنى درس وامَّحى"[٢٠٦] وعفت الريحُ المنزلَ : دَرَسته ، وعفا المنزل يعفو : درس ، وتَعَفّت الدار : درست ، وعفَّتها الريح : شُدّد للمبالغة [٢٠٧] .

قال امرئ القيس :

فَتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لما نَسجتها من جَنوبٍ وشَمْألِ [٢٠٨]

فالمعنى : لم تذهب أثار الدار ولم تندرس ؛ لأنّه إذا غطّتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها .

" وعفا المنزلُ إذا درس " [٢٠٩] أي ذهب أثره وزال عن الوجود ، والمنزل لا يُدرس إلا إذا تركه أهله وهجروه .

قال أبو بكر ابن الأنباري في قوله تعالى ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (التوبة : ٤٣) .

معناه : " درس لله ذنوبك ومحاها عنك ، من قولهم : قد عفا المنزل يعفو عفواً إذ درس وانمحت آثاره " [٢١٠].

---

(٢) ينظر : وجوه القرآن : ٤١٢ ، أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي : ٩٧/١ ، نزهة الأعين النواظر : ٤٣٧، منتخب قرة العيون النواظر : ١٧٥ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٣/١ ، معترك الأقران : ٦٢٧/٢ ، علم الدلالة : ٢١٢ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى : ٢٢٢/١ ، أحكام القرآن : ٩٧/١ ، نزهة الأعين النواظر : ٤٣٧ ، منتخب قرة العيون النواظر : ١٧٥ ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، أبو حيان الاندلسي : ٨٨ ، تفسير الجلالين : ٢٠٤/١ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٩٢/٣ ، تفسير غريب القرآن ، محمد بن إسماعيل الصغاني : ٢٣٠ .

(٤) مجاز القرآن : ٢٢٢/١ .

(٥) ينظر : أحكام القرآن : ٩٧/١ ، لسان العرب : ٧٦/١٥ (عفا) ، علم الدلالة : ٢١٢ .

(٦) لسان العرب : ٧٦/١٥ (عفا) .

(٧) ينظر : الصحاح : ٢٤٣٢/٦ ـ ٢٤٣٣ (عفا) .

(٨) ديوان امرئ القيس : ٨ ، وينظر : شرح المعلقات السبع ، الزوزني : ٨ .

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٣/١ ، معترك الأقران : ٦٢٧/٢ .

ج ـ غفر

الغَفْر في اللغة : الستر والتغطية[٣١١] . ومنه ستر الذنب ويكون بعدم الفضيحة عليه في الدنيا وترك الجزاء عليه في الآخرة [٣١٢]. فيصير بمنزلة غير الواقع في الحكم[٣١٣] . قال ابن فارس : " الغين والفاء والراء عِظَمُ بابه الستر ، (...) فالغَفْر : الستر ، والغُفْران والغَفْر بمعنىً يقال غفر الله ذنبه غَفْراً ومغفرةً وغفراناً " [٣١٤] وكلام الراغب يقتضي هذا المعنى إذ قال : " الغفر : إلباس مما يصونه عن الدنس ، ومنه قيل : اغفر ثوبك في الوعاء ، واصبغ ثوبك فإنه أغفَرُ للوسخ ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبدَ من أنْ يمسَّه العذاب ، (...) وقد يُقال : غفر له إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجافَ عنه في الباطن " [٣١٥]. كقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (الجاثية : ١٤) ، ويقال : " غَفَرَ المتاعَ في الوعاء يَغفِره غَفْراً وأغفرَه : أدخله وستره وأوعاه ، وكذلك غفر الشيبَ بالخضاب وأغفره : غطّاه (...) والغَفْر والمغفرة : التغطية على الذنوب والعفو عنها " [٣١٦].

وغفر الله ذنوبه : أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ ، ويقال : ما فيهم غفيرة ولا عذيرة : أي لا يغفرون ولا يعذرون[٣١٧] .

والغفُور والغفّار من أسماء الله تعالى ، وهما من أبنية المبالغة ، ومعناهما : الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ، إلا أنّ غفّاراً أبلغ من غفور ؛ لزيادة بنائه[٣١٨].

ومن المعاني التي شذّت عن هذا المعنى قولهم : غَفَرَ المريضُ والجريحُ يَغفِر غفراً وغُفِرَ بالضم على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله كلّ ذلك إذا نُكِس ، يقال للرجل إذا قام من مرضه

---

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : ٥٣٥/١ ، وينظر : مجمع البيان : ٢٣٣/١ لسان العرب : ١٥/ ٧٢ ـ ٧٣ (عفا) .
(١) ينظر : كتاب العين : ٤٠٧/٤ (غفر) ، تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ١٤ ، مجمل اللغة : ٦٨٣/٣ (غفر) ،الصحاح : ٧٧٠/٢ (غفر) ، لسان العرب : ٢٥/٥ (غفر) ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٣٢/٢ ، بصائر ذوي التمييز : ١٢١/٤ ، الكليات : ٣٠١/٣ (غفر) .
(٢) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١٢١/٣ .
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٤٧/٢ .
(٤) معجم مقاييس اللغة : ٣٨٥/٤ (غفر) .
(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠٩ (غفر) .
(٦) المخصص ، علي بن إسماعيل بن سيده : ٥٧/١٣ ، لسان العرب : ٢٥/٥ (غفر) ، القاموس المحيط : ١٠٣/٢ (غفر) ، تاج العروس: ٣١٤/٧ (غفر) ،الكيات : ٣٠١/٣ (غفر) ،التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٢٠٤ .
(٧) ينظر : تهذيب اللغة : ١١٢/٨-١١٣ (غفر) .
(٨) ينظر : لسان العرب : ٢٥/٥ (غفر) ، تاج العروس : ٣١٤/٧ (غفر) ، الكليات : ٣٠١/٣ .

ثم نُكِس أي عاوده المرض : غفر يغفر غفراً ، وكذلك العاشق يُقال له : غفر إذا عاده معِيدَه بعد السلوة [٣١٩]. واختلف علماء اللغة والتفسير في الفرق بين العفو والغفران أو المغفرة على ما يأتي :

١. قال أبو هلال العسكري : " الفرق بين العفو والغفران أنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب ، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب ، وهذا لا يُستعمل إلا في الله ، فيقال غفر الله لك ولا يقال غفر زيدٌ لك ، (...) والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم . ولا يقتضي إيجاب الثواب ، ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيد عن عمرو ، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته ، إلا أنّ العفو والغفران لما تقارب معناهما تداخلا واستعملا في صفات الله جلّ اسمه على وجه واحد ، فيقال عفا الله عنه وغفر له بمعنى واحد ، وما تعدّى به اللفظان يدل على ما قلنا ، وذلك أنك تقول عفا عنه فيقتضي ذلك إزالة شيء منه ، وتقول غفر له فيقتضي ذلك إثبات شيء له "[٣٢٠] فالعفو ترك العقاب على الذنب ، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة ؛ ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد ، فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله[٣٢١] . يتضح من ذلك أنّ الغفران أو المغفرة أبلغ من العفو ، وأحسب أنّ هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى الصواب والله أعلم .

٢. قال تعالى : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٦) .

فالعفو والمغفرة والرحمة ألفاظ متقاربة المعنى ، والفرق بينها بسيط ، وهو أنّ العفو مجرد ترك العقاب على الذنب ، والمغفرة ترك العقاب مع الستر على الذنب ، والرحمة طلب التفضل والإنعام والثواب[٣٢٢] .

وذكر الرازي أنّ " العفو أن يسقط عنه العقاب ، والمغفرة أن يستر عليه جرمه صوناً له من عذاب التخجيل والفضيحة ، (...) والأول : هو العذاب الجسماني والثاني : هو العذاب الروحاني ، فلما تخلص منهما أقبل على طلب الثواب ، وهو أيضاً قسمان : ثواب جسماني وهو نعيم الجنة ولذاتها وطيبها ، وثواب روحاني ، وغايته أن يتجلى له نور جلال الله تعالى ، (...) فقوله : (وارحمنا) : طلب للثواب الجسماني " [٣٢٣].

٣. جاء في تفسير المنار : " ومن معاني العفو محو الشيء ، يقال عفت الريحُ الأثرَ ويقال عفا الأثر (لازم) أي أمّحى ، ومنه العفو عن الذنب ، عفا عنه ، وعفا له ذنبه وعفا عن ذنبه ، أي محاه ، فلم يرتب عليه عقاباً ، فالعفو أبلغ من المغفرة ؛ لأنّ المغفرة من الغفر وهو الستر ، وستر الذنب بعدم الحساب والعقاب عليه لا يُنافي بقاء أثر خفي له ، ومعنى العفو

(١) ينظر : المخصص : ٩٣/٥ ، لسان العرب : ٢٧/٥ (غفر) ، تاج العروس : ٣١٦/٧ (غفر) .
(٢) الفروق في اللغة : ٢٣٠ ، وينظر : الفروق اللغوية ، محمد بن عبد الرحمن الشايع : ١١٦ .
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٦٩/٢ ، مجمع البيان : ٥٢٧/٢ .
(٤) ينظر : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٩٩/١ ، التفسير الكاشف : ٤٥٧/١ .
(١) التفسير الكبير : ١٢٤/٧ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٩٥/٢ ، اللباب في علوم الكتاب : ٥٤٢/٤ .

ذهاب الأثر ، فالعفو عن الذنب جعله كأن لم يكن ، بأن لا يبقى له أثر في النفس ، لا ظاهر ولا خفي " [٣٢٤].

فالعفو منه تعالى هو " إذهاب أثر الذنب وامحائه كالعقاب المكتوب على الذنب، والمغفرة هي إذهاب ما في النفس من هيأة الذنب والستر عليه " [٣٢٥].

وذكر السيد عبد الأعلى السبزواري ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ " العفو إذهاب أثر الشيء والمراد به محو آثار المعاصي والذنوب . والمغفرة : الستر ، أي الصفح عن الذنوب ، وإسقاط حق العقوبة والعذاب " [٣٢٦] .

فالعفو إذا كان بمعنى المحو فهو أبلغ من المغفرة .

إما الفرق بين الغفران والستر : فهو " أنّ الغفران أخص ، وهو يقتضي إيجاب الثواب . والستر: سترك الشيء بستر ثم استعمل في الإضراب عن ذكر الشيء ، فيقال ستر فلان على فلان ، إذا لم يذكر ما أطلع عليه من عثراته ، وستر الله عليه خلاف فضحه ، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا إنه غفر له ؛ لأنّ الغفران يُنبِئ عن استحقاق الثواب " [٣٢٧] .

ويتضح من ذلك أنّ القرآن الكريم يستعمل لفظاً بدلالة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى ، وإنّ لكل مفردة معنىً خاصاً تمتاز به عن سائر المفردات الأُخر التي تتفق معها في المعنى العام[٣٢٨] .

فمثلاً : (العفو، والصفح ، والغفران) هذه الألفاظ يجمعها معنى عام ، فهي تدل على ترك العقوبة عمن يستحقها ، لكن علماء اللغة والتفسير ذكروا فروقاً دقيقة بين هذه الألفاظ ، فالعفو هو ترك العقاب على الذنب ، والصفح ترك العقاب مع ترك اللوم والتثريب ، فهو أبلغ من العفو ، فقد يعفو الإنسان ، ولا يصفح ، وأما الغفران فهو إسقاط العقاب بإيجاب الثواب ، أي تغطية الذنب بإيجاب المثوبة .

وهذا يدل على أنّ ظاهرة الترادف في القرآن الكريم غير واردة وغير موجودة[٣٢٩].

ومما يؤكد ذلك هو أنّ هذه الألفاظ جاءت متعاقبة في آية واحدة هي قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا

---

(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١٠٠/٥ .
(٣) الميزان : ٤٥١/٢ .
(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ٥٢٠/٤ ، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، الشيخ ناصر الشيرازي : ٢٥٢/٢ .
(١) الفروق في اللغة : ٢٣٠ـ٢٣١ .
(٢) ينظر : من أسرار العربية في البيان القرآني ، د. عائشة عبد الرحمن : ٣٧ ، ألفاظ السلوك الخلقي في القرآن الكريم : ٣٥٠ .
(٣) ينظر : من أسرار العربية في البيان القرآني : ٣٧ .

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن : ١٤) .

فلو كان المعنى واحداً لما كان هناك فائدة من ذكرها على هذا النحو . قال الطبرسي : " ﴿ إِن تَعْفُوا﴾ أي تتركوا عقابهم . ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ أي تتجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة " [٣٣٠] .

ولذا لا أتفق مع الشيخ محمد جواد مغنية فيما ذهب إليه من أنه لا فرق بين العفو والصفح والمغفرة إلا باللفظ ، وأنّ القصد من الجمع بينها هو مجرد التأكيد والترغيب[٣٣١] .

ومن ذلك أيضاً (الرأفة ، والرحمة) ، فالرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة ،وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، بينما الرحمة تكون في دفع المكروه وفعل الجميل فهي أعم ، وقيل الرأفة عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام ، بينما الرحمة إيصال النعمة مطلقاً ، إذ قد تكون مع الألم .

ح ـ **معنى الاستغفار** : الاستغفار استفعال من طلب الغفران أو المغفرة[٣٣٢] . وأصل الاستغفار : طلب الغفران أو المغفرة من الله تعالى مما ارتُكِب من المآثم باللسان مع التوبة وندامة القلب والعزيمة على ترك العودة إلى مثله أبداً ، إذ الاستغفار باللسان من دون التوبة بالقلب غير نافع[٣٣٣] .

فالاستغفار إذن : طلب المغفرة قولاً وفعلاً ، قال تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (نوح : من الآية ١٠) ، فلم يُؤمَروا أن يسألوه ذلك باللسان فقط ، بل باللسان و بالفعال ، فقد قيل : الاستغفار باللسان من دون الفعال فعل الكذّابين[٣٣٤].

جاء في كتاب التعريفات : " الاستغفار استقلال الصالحات ، والإقبال عليها واستكبار الفاسدات والإعراض عنها . وقال أهل الكلام : الاستغفار طلب المغفرة بعد رؤية قبح

---

(٤) مجمع البيان : ٤٥٢/١٠ .
(٥) ينظر : التفسير الكاشف : ٣٤٣/٧ .
(١) ينظر : الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ١١٢/١ .
(٢) ينظر : تأويلات أهل السنة : ٣٢٩/٢ ، تفسير البحر المحيط : ١٦٥/٢ .
(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠٩ (غفر) ، بصائر ذوي التمييز : ١٣٦/٤ .

المعصية ، والإعراض عنها . وقال عالمٌ : الاستغفار استصلاح الأمر الفاسد قولاً وفعلاً ، يقال : أغفروا هذا الأمر : أي أصلحوه بما ينبغي أن يُصلح " [٣٣٥].

ويتبين من ذلك أنّ الاستغفار ينبغي أنْ يكون نابعاً من صميم قلب المستغفر ، مع العزم والتصميم على ترك الذنوب والإقلاع عنها ، إما إذا كان الاستغفار كلمة تقال ثم يعاود الإنسان ارتكاب الذنوب نفسها أو أكثر منها ، ولم يكن هناك عزم وتصميم على ترك الذنوب ، أصبح الاستغفار في هذه الحالة ككلمة تقال عادة ، ولم تكن نابعة من القلب ، فهنا تنتفي الاستفادة من حقيقة الاستغفار التي ترمز إلى معنى عظيم وكبير .

فالاستغفار الحقيقي هو النابع من القلب والعقل ، ويرمز إلى عدة معانٍ حددها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ لما قال قائل بحضرته :أستغفر الله ، فقال له أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : " ثكلتك أمُّك ، أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العليِّين ، وهو اسم واقع على ستة معانٍ :

أولها: الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العودة إليه أبداً .

والثالث : أنْ تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة .

والرابع : أنْ تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها .

والخامس : أنْ تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت[٣٣٦] فتذيبه بالأحزان حتى تُلصِق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .

والسادس : أنْ تُذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول أستغفر الله " [٣٣٧].

والفرق بين الاستغفار والتوبة أنّ " الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة ، والتوبة الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة "[٣٣٨] . فالاستغفار : هو طلب العفو عما مضى بصرف النظر عما يأتي ، أما التوبة فهي طلب

---

(٤) التعريفات : ١٢ .
(١) السُّحت بالضم : الحرام الذي لا يحل كسبه ؛ لأنه يَسْحت البركة أي : يُذهبها ، ينظر : لسان العرب : ٤١/٢ (سحت) .
(٢) نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، شرح الشيخ محمد عبده : ٤٦٣/٤ .
(٣) الفروق في اللغة : ٢٢٩ـ٢٣٠ ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي :١١٨/٥ .

الغفران عن الماضي مع العهد على ترك المعاصي في المستقبل[٣٣٩] . والتوبة لا تحصل إلا بتحقيق شرطين[٣٤٠] :

الأول : الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب.

والثاني : العزم على ترك العودة إليها .

ومما قيل في الفرق بين الاستغفار والتوبة ، أنّ الاستغفار هو طلب المغفرة ، وأنّ التوبة هي السبب أو الوسيلة التي يُتوصل بها إلى الاستغفار ، أي إنّ الاستغفار مطلوب بالذات ، وإنّ التوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار ، إذ لا سبيل إلى طلب المغفرة من عند الله إلا بإظهار التوبة[٣٤١] .

وذكر أصحاب الوجوه والنظائر ثلاثة أوجه للاستغفار في القرآن الكريم هي :

الأول : الاستغفار بعينه [٣٤٢]: وهو طلب غفران الذنوب ، فذلك في قوله عز وجل حكاية عن قول يوسف ـ عليه السلام ـ لامرأة العزيز وهي مشركة: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف : من الآية ٢٩) أي : استغفري لئلا يعاقبك بذنبك ، وقال تعالى أيضاً ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة : من الآية ٨٠) .

والثاني : الاستغفار من الشرك والكفر[٣٤٣]: ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود : ٩٠) وقال جلا وعلا : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ (نوح : ١٠) أي : استغفروا ربكم من الشرك ، وقال عز وجل أيضاً : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ

---

(٤) ينظر : التفسير الكاشف : ٢٠٤/٤ .
(٥) ينظر : نفحات القرآن ، الشيخ عبد اللطيف السبكي : ٢٠١/١ ، في رحاب القرآن ، ياسمين محمد يحيى : ٧٩ الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني : ٣٢٤/٤ .
(١) ينظر : التفسير الكبير : ٣١٥/١٧ ، في رحاب القرآن الكريم : ٧٨ .
(٢) ينظر : الوجوه والنظائر : ١١٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر :٣٤١ ، نزهة الأعين النواظر : ٩٠ ، بصائر ذوي التمييز : ١٦٦/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ١١٣/١ .
(٣) ينظر : إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٤١ ، زاد المسير في علم التفسير : ٧٥/٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥/٤ بصائر ذوي التمييز :٦٦/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ١١٢/١ ، في رحاب القرآن : ٧٧ـ٧٨ .

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴾ (هود : من الآية ٥٢) يعني : استغفروا ربكم من الشرك والكفر[٣٤٤] .

والثالث : الصلاة[٣٤٥] ، وذلك في قوله عز وجل ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران : من الآية ١٧) فالمراد بالمستغفرين : المصلون بالأسحار[٣٤٦] . وقال تعالى : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات : ١٨) أي يصلون .

وإنما صارت المغفرة في هذا المكان بمعنى الصلاة ؛ لأنّ في الصلاة سؤال المغفرة[٣٤٧] . وقد تكون الصلاة بمعنى الدعاء والاستغفار[٣٤٨] . كقوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ ﴾ (التوبة : من الآية ١٠٣) يعني : ادعُ لهم واستغفر لهم ؛ لأنّ أصل الصلاة في اللغة الدعاء[٣٤٩].

وقال بعضهم : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أتاه أحد بصدقة دعا له واستغفر له ، وكان لا يستغفر لأهل النفاق ، وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي ؛ لما علموا بذلك أنهم ليسوا من أهل النفاق[٣٥٠] . ففي استغفاره ـ ﷺ ـ طمأنينة لقلوبهم[٣٥١] .

أما الصلاة من الله فتكون بمعنى المغفرة والرحمة [٣٥٢]. كقوله تعالى : ﴿ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٧) يعني : مغفرة من ربهم ورحمة .

---

(٤) ينظر : تفسير الجلالين : ٢٧٢/١ .
(١) ينظر : الوجوه والنظائر : ١١٩ ، تحصيل نظائر القرآن : ١١٧ـ١١٨ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٣٤١ ، نزهة الأعين النواظر : ٩٠ ، بصائر ذوي التمييز : ١٦٦/٢ ، الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : ١١٣/١ .
(٢) ينظر : تأويلات أهل السنة : ٣٢٩/٢ .
(٣) ينظر : تحصيل نظائر القرآن : ١١٧ـ ١١٨ .
(٤) ينظر : إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٨٤ ، لباب التأويل في معاني التنزيل : ٤٠٤/٢ .
(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢١/١ ، لباب التأويل في معاني التنزيل : ٤٠٤/٢ .
(٦) ينظر : تأويلات أهل السنة : ٤٦٦/٥ .
(٧) ينظر : التصاريف : ١٦٦ .

أما صلاة الملائكة فهي : " دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم " [٣٥٣].

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ (الأحزاب : ٤٣) .

فالله تبارك وتعالى هو الذي يغفر لكم إذا عصيتموه ، ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ يعني تستغفر لكم الملائكة وهو قول ابن عباس [٣٥٤].

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب : ٥٦) . فالله تعالى يصلي عليه بالمغفرة والرحمة ، والملائكة تصلي بالاستغفار له ـ ﷺ ـ ، أما الصلاة من المؤمنين فتكون بالتضرع والدعاء والاستغفار له ـ ﷺ ـ[٣٥٥].

ومما يزيد من جمال التعبير والتأكيد على الاستمرار بالمغفرة والرحمة من الله تعالى والاستغفار من الملائكة استعمال الفعل المضارع (يُصلون) الذي يدل على التجدد والحدوث [٣٥٦].

---

(٨) ينظر : التصاريف : ١٦٦ ، تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ٦٦ ، تأويل مشكل القرآن : ٣٥٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٢/٢ ، تحصيل نظائر القرآن : ٧٥ ، تأويلات أهل السنة : ٣٩٧/٨ إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٨٤ ، مجمع البيان : ٤٣٧/١ ، زاد المسير : ١/ ١٦٣ ، تفسير الجلالين : ٣٦/١ .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٣٠/١٤ ، تفسير القرآن العظيم : ٥٤٥/٣ .

(٢) ينظر : التصاريف : ١٦٦ ، معاني القرآن ، الفراء : ٣٤٥/٢ ، معاني القرآن ، النحاس : ٣٥٧/٥ .

(٣) ينظر : التصاريف : ١٦٦ ، إصلاح الوجوه والنظائر : ٢٨٤ ، لباب التأويل في معاني التنزيل : ٤٣٥/٣ ، دراسات قرآنية ، عبد المتعال الصعيدي : ٦٤ .

(٤) ينظر : التيسير في تفسير اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، السيد فاضل يوسف الحجار : ٢٠ .

المستوى الصرفي

يُعنى الجانب الصرفي ببنية الكلمة وهي مفردة ، ووزنها وصيغتها وهيأتها التي يمكن أنْ يشاركها فيها غيرها ، إذ يعرض لأحوالها ، وتغيراتها ، والهيأة الناجمة عن هذه التغيرات ، لغرض الحصول على معانٍ ودلالاتٍ مختلفة[٣٥٧] .

ويُطلق التصريف على شيئين : " الأول : تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني ، كالتصغير والتكسير واسم الفاعل ، واسم المفعول . والآخر : تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها ، ولكن لغرض آخر ، وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام " [٣٥٨] .

وسأحاول في هذا الفصل أنْ أبين دلالة الصيغ الصرفية التي وردت في سياق الرحمة والغفران في القرآن الكريم .

(١) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاسترابادي : ٧/١ ـ٨ .
(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي نور الدين الأشموني : ٢٣٦/٤ .

أولاً : المصادر

المصدر : هو الاسم الذي يدل على الحدث وهو على نوعين : صريح ومؤول ،والمصدر المؤول يكون مُجرداً من الزمن والشخص والمكان ، والمصدر عند البصريين أصل المشتقات[٣٥٩] .

والمصادر نوعان : قياسية وسماعية ، فالقياسية تكون على أوزان معينة والسماعية هي المصادر التي تُحفظ في الأفعال التي وردت عليها ولا يُقاس عليها أمثالها مما لم تُسمع فيها ، وأكثر ما تكون المصادر السماعية في الثلاثي المُجرد[٣٦٠] ،وسأتناول في هذه الدراسة دلالة المصادر التي جاءت في سياق الرحمة والغفران.

ومما ورد مصدراً بصيغة المصدر السماعي في مادة (رَحِم) هو لفظة (رَحْمة)[٣٦١] فقد ورد هذا المصدر السماعي في القرآن الكريم في (٧٩) موضعاً من دون اتصاله بالضمير[٣٦٢]. منها قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران : من الآية ٨) . وقال عز وجل أيضاً : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (آل عمران : ١٥٧) ، وقال جلا وعلا: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام : من الآية ١٢) . وورد متصلاً بالضمير في (٣٥) موضعاً[٣٦٣] منها قوله تعالى على لسان نبيه موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٥١)

فرحمته تعالى نتيجة حتمية لغناه في ذاته عن كلِّ شيء ، وافتقار كلّ شيء إليه تعالى ؛ لأنّ المخلوق مُفتقر بطبعه إلى عناية الخالق ورحمته افتقارَ المعلول إلى علته ، والمُسبب إلى

(١) ينظر : شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي : ٧٢ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، خديجة الحديثي : ٢٠٨ ، الصيغ الإفرادية العربية نشأتها وتطورها ، د. محمد سعود المعيني : ١٥٣ ، الواضح في علم الصرف ، د. محمد خير الحلواني : ١٥٨ .
(٢) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٢٦ .
(٣) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١٠٦/١ .
(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه : ٣٨٩ .

سببه ، فرحمته تعالى بعباده لا تنفك عن ذاته وكماله[٣٦٤] . وهذه الرحمة ليست مُقيدة بزمن معين ، بل هي مطلقة في كلّ الأزمان و لا تختص بشخص من دون آخر أو تختص بجماعة من دون جماعة بل هي رحمة عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم .

ومما ورد كذلك بصيغة المصدر السماعي في مادة (غفر) هو لفظة (غُفران)[٣٦٥] . فقد ورد هذا المصدر في موضع واحد من القرآن الكريم متصلاً بضمير المخاطب (الكاف)[٣٦٦] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة : ٢٨٥) جاء في تفسير الميزان : " فإنّه مغفرة مطلقة في مقابلة الإجابة المطلقة على ما تقدم " [٣٦٧] والمراد بالمغفرة المسؤولة في قوله : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ غير المغفرة في قوله تعالى ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾ فإنّ الثانية مغفرة مُطلقة في مقابلة الإجابة المطلقة على ما تقدم ، والأولى مغفرة خاصة في مقابل الذنب عن نسيان أو خطأ[٣٦٨] . فهؤلاء المؤمنون امتثلوا واستجابوا لطاعة ربّهم وسألوه مغفرة مطلقة ، لا تقتصر على زمان من دون زمان ولا تختص بشخص من دون شخص ، ولا تختص بذنب دون ذنب ، مغفرة عامة مُطلقة مُكفِرة لجميع الذنوب والتبعات صغيرها وكبيرها ، وذلك " لأنّ عبادتهم وطاعتهم ، وإنْ كانت في نهاية الكمال فهي بالنسبة إلى جلاله تقصير "[٣٦٩].

ومما ورد أيضاً مصدراً في مادة (رحم) هو (مرحمة) على زنة (مَفْعَلَة) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد : من الآية ١٧) وتأتي هذه الصيغة لسبب الفعل[٣٧٠] ، وقيل : إنها تأتي لسبب كثرة الفعل[٣٧١] ، فـ(المرحمة) إما أن تكون دالة على سبب الفعل وهو الرحمة أو تكون دالة على كثرة الفعل ، أي كثرة الرحمة والتراحم ، ويرى الباحث أنّ هذه لصيغة تدل على سبب الفعل وهو الرحمة وكثرة الفعل (كثرة التراحم) في آن واحد .

---

(١) ينظر : التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ١٦٧/٣ .
(٢) ينظر : كتاب التكملة ، أبو علي الفارسي : ٥١١ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٣٥ .
(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٧ .
(٤) الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي : ٤٥٢/٢ .
(٥) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٦) تفسير البحر المحيط : ٥٨٦/٢ .
(١) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١١٣/١ .
(٢) ينظر : معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي : ٣٩ .

ثالثاً : المشتقات :

أ- الصفة المشبهة : هي أحدى المشتقات تُصاغ للدلالة على الفعل ومن قام به أو اتصف به ، على معنى الثبوت غالباً أي الاستمرار واللزوم[٣٧٢] ، وتُصاغ من الفعل اللازم الدال على الزمن الحاضر ، فلا تُصاغ من الفعل المتعدي بنفسه أو بغيره وتُصاغ من الفعل الثلاثي وغير الثلاثي ، وعند صياغتها من الفعل الثلاثي تكون إمّا موازنة للفعل المضارع نحو : طاهر القلب ، أو غير موازنة له وهو كثير نحو : جميل الظاهر . وتُصاغ من غير الثلاثي بشرط إضافتها إلى فاعلها ، ويجب موازنتها للفعل المضارع نحو : منطلق اللسان[٣٧٣] .

والصفة المشبهة على ثلاثة أقسام : منها ما يفيد الثبوت والاستمرار نحو أبكم وأصم وأسمر ، ومنها ما يدل على وجه قريب من الثبوت نحو سمين وكريم ومنها ما لا يدل على الثبوت نحو ضمآن وغضبان[٣٧٤] .

ومن أبنية الصفة المشبهة (فَعْلان) ، ويدل هذا البناء على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن كرَّيان وعطشان وغضبان وجوعان[٣٧٥] .

ويتصف بناء (فعلان) غالباً بالحدوث والطروء ، فالعطش في عطشان ليس ثابتاً وكذلك الشبع والجوع والري في شبعان وجوعان وريّان ، فهذه الصفات ليست ثابتة ، وإنما تزول . جاء في شذا العرف أنّ من الصفات " ما هو في أمور تحصل وتزول ، لكنها بطيئة الزوال كالري والعطش والجوع الشبع " [٣٧٦].

ومن أبنية الصفة المشبهة (فعيل) ، ويأتي هذا البناء للدلالة على الثبوت واللزوم مما هو خِلقة أو مُكتسب ، كطويل وقصير وخطيب وفقيه [٣٧٧] .

ومما ورد من هاتين الصيغتين في سياق الرحمة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١)

---

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاسترابادي : ٤٣١/٣ ، التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني : ١١٧ ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، محمد الخضري : ٣٥/٢ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٧٥.
(٢) ينظر : شرح ابن عقيل ، بهاء الدين ابن عقيل : ٣٨٥/١ ـ ٣٨٦ .
(٣) ينظر : معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي : ٧٦ .
(٤) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١٠١/١ ، ٢٩٧/٢ ، معاني الأبنية : ٨٨ .
(٥) شذا العرف : ٨٤ .
(٦) ينظر : معاني الأبنية : ٩٤ .

ذكر المفسرون وعلماء اللغة أراء في الفرق بين صيغتي (رحمن) و(رحيم) وهي ما يأتي :

الرأي الأول : أنّ (رحمن) تدل على عموم الرحمة وسعتها ، ولا دلالة لها على أنها لازمة للذات ، فصيغة (فعلان) تدل على الصفة العارضة ، ولا تدل على أنها صفة دائمة ، أما (رحيم) فإنها تدل على أنّ المبدأ فيها الغرائز والسجايا غير المنفكة عن الذات ، فصيغة (فعيل) تدل على الصفة الثابتة الدائمة[٣٧٨] .

قال السيد محمد رشيد رضا في تفسيره : " إنّ صيغة (فعلان) تدل على وصف فعليّ فيه معنى المبالغة كفَعّال ، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كعطشان وغرثان وغضبان ، وأما صيغة (فعيل) فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كـ (عليم) (...) فلفظ (الرحمن) يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان ، ولفظ (الرحيم) يدل على منشأ هذه الرحمة والإحسان وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ،وبهذا المعنى لا يُستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مُؤكداً للأول ، فإذا سَمِع العربي وصف الله جل ثناؤه بالرحمن وفهم منه أنه المُفيض للنعم فعلاً ، لا يعتقد منه أنّ الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً ؛ لأنّ الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة ، وإنْ كان كثيراً ، فعندما يسمع لفظ (الرحيم) يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويُرضيه سبحانه ويعلم أنّ لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها ، وإنّ كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين " [٣٧٩] .

فصيغة (فعلان) تُفيد الحدوث والتجدد ، وصيغة (فعيل) تُفيد الثبوت ، فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين ، إذ لو اقتصر على (رحمن) لظنّ ظان أنّ هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان ، ولو اقتصر على (رحيم) لظُنَّ أنّ هذه صفة ثابتة ، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها ، إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يُكرم فيها ، وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك . والله سبحانه متصف بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتى يعلم العبد أنّ صفته الثابتة هي الرحمة ، وأنّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع ، حتى لا يستبد به الوهم بأنّ رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه ـ سبحانه ـ فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه[٣٨٠] .

ولا يمتنع أخذ الصفة المشبهة بهذه الصيغة (رحيم) من الوصف المتعدي بحسب وضعه ؛ لأنه قد يُجعل لازماً بتضمينه معنى السجية والخُلق ، ومما يدل على أنّ لفظ (الرحيم) ضُمّن معنى غير المتعدي ، هو أنّ هذه الكلمة لم ترد في القرآن عند ذكر متعلقها إلا متعدية

---

(١) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) ، محمد رشيد رضا : ٤٤/١ .
(٢) تفسير القرآن الحكيم(المنار) : ٤٣/١ ـ ٤٤ ، وينظر : تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : ٢٨/١ .
(١) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٩٢ ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د.فاضل السامرائي : ٢٧.

بالباء على سنة غير المتعدي[٣٨١] . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : من الآية ١٤٣) وقال في سورة النساء :﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ (النساء : من الآية ٢٩) وقال في سورة التوبة : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : من الآية ١١٧) وقال في سورة الأحزاب : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ (الأحزاب : من الآية ٤٣) .

" فكأنها عند ذكر متعلقها انسلخت عن التعدية إلى اللزوم " [٣٨٢] .

أما صيغة (فعلان) فإنها تدل على العموم والشمول أي إنّ (رحمن) تدل على العموم والشمول أي عموم الرحمة وشمولها للكل ، قال ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) : " فبناء فعلان للسعة والشمول . ولهذا يُقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ فاستوى على عرشه باسم (الرحمن) ؛ لأنّ العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها . والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم ، كما قال تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات " [٣٨٣] ففي (الرحمن) معاني السعة والشمول والإحاطة [٣٨٤].

ووردت كلمة (الرحمن) في جميع موارد استعمالها محذوفة المُتعلق مع اشتقاقها من المتعدي ليدل على عموم هذه الرحمة وشمولها لكل محتاج إليها ، وأنّ رحمته وسعت كلّ سيء ، ومما يدل على ذلك أنه لا يُقال : إنّ الله بالناس أو بالمؤمنين لرحمن ، كما يُقال : إنّ الله بالناس أو بالمؤمنين لرحيم [٣٨٥].

والرأي الثاني : أنّ (الرحمن) اسم خاص بالله تعالى ، و(الرحيم) صفة جاء في (جمهرة اللغة) لابن دُريد : " قال أبو بكر : خبرني عمي الحسين بن دريد (ت٣٢١هـ) ، عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : الرحمن اسم لله تبارك وتعالى لا يُدعى به غيره ، والرحيم صفة ؛

---

(٢) ينظر : آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي : ١/ ٥٣ ـ ٥٤ ، البيان في تفسير القرآن ، السيد أبو القاسم الخوئي : ٤٣١ .
(٣) البيان في تفسير القرآن : ٤٣١ .
(١) التفسير القيم ، ابن القيم الجوزية : ٣٣ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤/٣ ، والشاهد القرآني الأول من (طه : ٥) والثاني من (الفرقان ، من الآية ٥٩) والثالث من (الأعراف ، من الآية ١٥٦) .
(٢) ينظر : صفوة الأقوال في تفسير سورة الفاتحة ، عبد الرحمن خضر : ١٣ .
(٣) ينظر : آلاء الرحمن في تفسير القرآن : ٥٣/١ ، البيان في تفسير القرآن : ٤٣٠ .

لأنّ العرب تقول : كن بي رحيماً، ولم تقل كن بي رحماناً وفي القرآن دليل على هذا قوله عزّ وجل : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ فالله اسم ليس لأحد فيه شركة وكذلك الرحمن " [٣٨٦] .

فالرحمن اسم خاص بالله تعالى ، لا يُطلق إلا عليه ، فلا يجوز أنْ يقال لغير الله (رحمن) ، وأما (الرحيم) فيُطلق عليه وعلى غيره[٣٨٧] كما أطلقه الله تعالى على رسوله الكريم محمد ـ ﷺ ـ إذ قال : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) وذكر الماتريدي إنّ اسم (الرحمن) هو المخصوص به الله ، لا يُسمّى به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره به ، فلذلك يوصف الرحمن بأنه اسم ذاتي والرحيم فعلي، [٣٨٨] ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ﴾ (الإسراء : ١١٠) إذ وُضع (الرحمن) إزاء لفظ الجلالة . وأشار الراغب الأصفهاني إلى ذلك قائلاً : " ولا يُطلق الرحمن إلا على الله تعالى ، من حيث أنّ معناه لا يصحّ إلا له إذ هو الذي وسع كلّ شيءٍ رحمةً ، والرحيم يُستعمل في غيره ، وهو الذي كَثُرت رحمته " [٣٨٩] .

وذكر ابن منظور(ت٧١١هـ) أنّ " الرحمن اسم مختص بالله تعالى لا يجوز أنْ يسمّى به غيره ولا يُوصف ، ألا ترى أنه قال : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ ﴾ فعادل به الاسم الذي لا يُشركه فيه غيره " [٣٩٠].

فالرحمن بمنزلة اللقب من الله تعالى ، فلا يُطلق على غيره [٣٩١] .

---

(٤) جمهرة اللغة : ١٤٤/٢ (رحم) ، وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، عودة خليل أبو عودة : ١٠٨ ، والشاهد القرآني من سورة الإسراء : من الآية ١١٠ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠٢/١ .

(٢) ينظر : تأويلات أهل السنة ، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي : ٣٦١/١ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٣٤٧ (رحم) ، بصائر ذوي التمييز : ٥٣/٣ ، اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي الدمشقي : ١٤٩/١ .

(٤) لسان العرب ، محمد بن مكرم المعروف بـ(ابن منظور) : ٢٣١/١٢ (رحم) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي : ٢٧٨/١٦ (رحم) ، صفوة الأقوال في تفسير سورة الفاتحة : ١٢ ـ ١٣ والشاهد القرآني من سورة الإسراء : من الآية ١١٠.

(٥) ينظر : البيان في تفسير القرآن : ٤٣٠ .

وقد ورد في القرآن الكريم استعمال (الرحمن) علماً للدلالة على الذات الإلهية بدلاً من لفظ الجلالة (الله) ، واستعمل اسم علم وليس صفة مشبهة أو صيغة مبالغة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ولم يستعمل أي صفة أو صيغة أُخرى غير الرحمن لتكون علماً بدلاً من لفظ الجلالة (الله) كالسميع والعليم والغفور والحليم والشكور ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ (مريم : ١٨).

وقال أيضاً على لسان مريم ـ عليها السلام ـ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾ (مريم : من الآية ٢٦) وقال أيضاً: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴾ (مريم: ٦١) وقال أيضاً : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ (مريم : ٨٥) وقال : ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ (مريم : ٨٧) وقال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ (مريم : ٩٣) وقال : ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ (يس : ١٥) .

وقال : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس : من الآية ٥٢) وقال في سورة الرحمن : ﴿ الرَّحْمَنُ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (الرحمن : ١، ٢) وقال أيضاً : ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (الملك : من الآية ٣) وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الملك : ١٩).

وذلك يدل على أنّ رحمته تعالى ملازمة للذات الإلهية ، لا تنفك عنها أبداً في أي حال من الأحوال .

فـ (الرحمن) صفة ذاتية هي مبدأ الرحمة والإحسان ، وقد كثر استعمالها في القرآن الكريم اسماً للذات الإلهية ، و(الرحيم) صفة تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المُنعَم عليه ، وكثر استعمالها في القرآن الكريم وصفاً فعلياً[٣٩٢] .

والرأي الثالث : الرحمن (فعلان) صيغة مبالغة تدل على الكثرة ، والرحيم (فعيل) صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء .

قال السيد الطباطبائي (رحمه الله) : " الرحمن (فعلان) صيغة مبالغة تدل على الكثرة والرحيم (فعيل) صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء ؛ ولذلك ناسب الرحمن أنْ يدل على الرحمة الكثيرة المُفاضة على المؤمن والكافر ، وهي الرحمة العامة ، (....) ولذلك أيضاً ناسب الرحيم أنْ يدل على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تفاض على المؤمن " [٣٩٣] في الدنيا والآخرة .

ويتضح من ذلك أنّ رحمة الله تعالى تتصف بكلا الوصفين ، فهي واسعة ومنتشرة من ناحية ، وثابتة ومستقرة وغير قابلة للزوال من ناحية أُخرى ، فرحمة الله تعالى واسعة وثابتة ، فكأن (الرحمن) و(الرحيم) صفتان لشيء واحد وهي مادة الرحمة[٣٩٤] .

والرأي الرابع : قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة ، فالرحمن الرقيق ، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق [٣٩٥]. " وقال الخطابي : وهذا مشكل ؛ لأنّ الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى ، وقال الحسين بن الفضل البَجَلي : هذا وهم من الراوي ؛ لأنّ الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء ، وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر ، والرفق من صفات الله عز وجل " [٣٩٦] قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " إنّ الله رفيق يُحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف " [٣٩٧].

والرأي الخامس : أنّ الرحمن صفة مشبهة مثل غضبان ، والرحيم صيغة مبالغة فالرحمن يدل على أنّ الرحمة صفة ذاتية لله تعالى ، فتقتضي أنها تتعلق بالمخلوقات من دون مراعاة

---

(١) ينظر : تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت : ٢٦ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٢١/١ ، ومنة المنان في الدفاع عن القرآن ، الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر : ٤٥ .
(٣) ينظر : منة المنان في الدفاع عن القرآن : ٤٥ .
(٤) ينظر : معاني القرآن ، النحاس : ٥٣/١ ، تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الأزهري : ٣٤/٥ (رحم) ، الجامع لأحكام القرآن : ٨٣/١ ، لسان العرب : ١٢ /٢٣١ (رحم) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٨٣/١ ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي : ٦٠/١ اللباب في علوم الكتاب: ١٤٧/١ .
(١) مُسند الإمام أحمد بن حنبل : ١٢/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٨٣/١ .

جزاء عن عمل ، والرحيم تدل على كثرة تعلق الصفة بأصناف المرحومين ، في الدنيا باطّراد ، وفي الآخرة على حسب الاستعداد[٣٩٨] .

والرأي السادس : أنّ الله عز وجل هو الرحمن في الدنيا ، وأنه سبحانه هو رحيم الدنيا والآخرة ، وهذا رأي الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتابه (الرحمن الرحيم) حيث قال : " ومما يؤيد هذا الرأي أنّ لفظ الرحيم قد ورد في القرآن الكريم ضعف لفظ الرحمن تماماً فقد تكرر ١١٤ مرة ، بينما ورد لفظ الرحمن ٥٧ مرة ، أي إنّ لفظ الرحمن إنْ كان يختص بالرحمة في الحياة ، فإنّ لفظ الرحيم إنما يختص بالرحمة في الحياتين : الدنيا والآخرة "[٣٩٩] ثم يُورد بعد ذلك الآيات التي تشهد على أنّ لفظ الرحمن لم يرد إلا في الآيات التي تتحدث عن الحياة الدنيا [٤٠٠].

لكن الحقيقة خلاف ذلك ، فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة ورد فيها ذكر الرحمن مع الآخرة ويوم القيامة [٤٠١]. فقد ورد ذكر الرحمن مع الآخرة ويوم القيامة في ثمانية مواضع[٤٠٢] ، منها قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ﴾ (مريم : ٦١) وقال : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ۞ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً ﴾ (مريم : ٦٨ ، ٦٩) وقال في سورة طه : ﴿ يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ (طه : ١٠٩) وقال أيضاً : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ (النبأ : ٣٨) .

والرأي السابع : (الرحمن) اسم خاص ومعناه عام ، وأما لفظ (الرحيم) فهو اسم عام ومعناه خاص مختص بالآخرة أو بالمؤمنين [٤٠٣].

---

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (المقدمات وتفسير سورة الحمد وجزء عم) ، محمد الطاهر ابن عاشور : ١٠٩ .
(٣) الرحمن الرحيم ، عبد الرزاق نوفل : ١٨ ـ١٩ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٩ .
(٥) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن : ١٠٩ .
(٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، وينظر غير ما سأذكر : مريم : ٨٥ ٩٣ ، الفرقان : ٢٦ ، يس : ٥٢ .
(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري : ٦٥/١ ـ ٦٦ .

قال الطبري في تفسيره : " حدثني السري بن يحيى التميمي ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ، قال : سمعت العرزمي يقول : (الرحمن الرحيم) قال : الرحمن بجميع الخلق . و(الرحيم) قال : بالمؤمنين " [٤٠٤] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " إنّ عيسى ابن مريم قال : الرحمن : رحمن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة " [٤٠٥].

وذكر السيد أبو القاسم الخوئي (رحمه الله): " أنه لا مناص من تأويل هذه الروايات أو طرحها ؛ لمخالفتها الكتاب العزيز، فإنه قد استعمل فيه لفظ (الرحيم) من غير اختصاص بالمؤمنين أو بالآخرة " [٤٠٦] قال تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (إبراهيم : من الآية ٣٦) وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج :من الآية ٦٥) وقال : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الأحزاب : ٢٤) وقال ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩) إلى غير ذلك من الآيات الكريمات . وورد في بعض الأدعية والروايات : رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما[٤٠٧] .

ويُمكن أن يُوجه هذا الاختصاص بأنّ "الرحمة الإلهية إذا لم تنته إلى الرحمة في الآخرة ، فكأنها لم تكن رحمة . وما جدوى رحمة تكون عاقبتها العذاب والخسران ؟ فإنّ الرحمة الزائلة تندك أمام العذاب الدائم لا محالة ، وبلحاظ ذلك صح أنْ يقال : الرحمة مختصة بالمؤمنين أو بالآخرة " [٤٠٨]

والرأي الثامن : جاء في تفسير الكشاف : " وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ؛ ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، ويقولون : إنّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى " [٤٠٩] وذلك " إنما يُؤخذ تارة باعتبار الكمية وأُخرى باعتبار الكيفية ، فعلى الأول قيل : يا رحمن الدنيا ؛ لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة ؛ لأنه يخص المؤمن ، وعلى

---

(٢) ينظر : تفسير الفاتحة ، ابن جرير الطبري : ٣٢ ـ٣٣ ، تفسير جوامع الجامع ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي : ٥٣/١ .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٥/١ ، وينظر : تفسير الفاتحة : ٣٣ .
(٤) البيان في تفسير القرآن : ٤٣٢ .
(١) ينظر : الصحيفة السجادية ، الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ : ٣٩٣ في دعائه ـ عليه السلام ـ في استكشاف الهموم .
(٢) البيان في تفسير القرآن : ٤٣٢ .
(٣) تفسير الكشاف : ١٦/١ ، إرشاد العقل السليم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي المعروف بـ (ابي السعود) : ١١/١ ، تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور : ١٧١/١ .

الثاني قيل : يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ؛ لأنّ النعم الآخروية كلها جِسام ، وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة"[٤١٠] .

ولكن " لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الأمثلة أقصر من (فاعل) الذي لا مبالغة فيه البتة . وأما قولهم : رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ، فلا دلالة فيه أيضاً على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم ، فإنّ حاصله أنّ الرحمة منه بالدلالة على إتمامها ألا ترى أنّ (ضارباً) لما كان أعم من (ضراب) ، كان (ضراب) أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم إذاً من خصوص (رحيم) أنْ يكون أقصر مبالغة من (رحمن) لعمومه " [٤١١] قال السيد الخوئي ـ رحمه الله ـ : " خفي الأمر على جملة من المفسرين ، فتخيلوا أنّ كلمة (الرحمن) أوسع معنىً من كلمة (الرحيم) بتوهم أنّ زيادة المباني تدل على زيادة المعاني . وهذا التعليل ينبغي أنْ يُعد من المضحكات ، فإنّ دلالة الألفاظ تتبع كيفية وضعها ، ولا صلة لها بكثرة الحروف وقلتها ، ورُبّ لفظ قليل الحروف كثير المعنى ، وبخلافه لفظ آخر ، فكلمة (حُذِر) تدل على المبالغة دون كلمة (حاذ) ، وإنّ كثيراً ما يكون الفعل المجرد والمزيد فيه بمعنىً واحد ، كضَرَّ وأَضرَّ " [٤١٢].

ويتضح من ذلك أنّ كلا الصيغتين تدلان على المبالغة ، ولا دليل على مبالغة (رحمن) بالنسبة إلى (رحيم) ، ولكن ثمة فرق دقيق في دلالة المبالغة فيهما إذ "تدل صيغة (الرحمن) على المبالغة والكثرة في (الرحمة) مع السعة والشمول ،وأما صيغة (الرحيم) فهي تدل على المبالغة والكثرة في (الرحمة) لكن دون هذه السعة والشمول ، أي دلالتها على الكثرة في جانب الكم فقط ، لا الكم والكيف " [٤١٣].

فقد لُوحِظ جانب المبالغة في السعة والشمول للرحمة في لفظ (الرحمن) وهو ما نُعبر عنه بـ(البعد الأفقي) لها ، بينما الملحوظ في صيغة (الرحيم) جانب المبالغة في الثبات والاستقرار للرحمة وهو ما نُعبِر عنه بـ(البعد العمودي) لها فقد تكون الرحمة واسعة وشاملة ولكنها لا تكون مستقرة وثابتة إلى الأبد ، بل يمكن أن تتبدل وتتغير وتُرفع لأي سبب من الأسباب ، وتتحول حينئذٍ إلى عذاب ونقمة[٤١٤] .

" ويؤيد هذا ما نراه من استخدام القرآن الكريم لصيغة (الرحيم) بعد وصف (المغفرة) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء : من الآية ٢٣) تأكيداً منه أنّ صفة المغفرة صفة باقية وثابتة ، ويفسر لنا هذا اختصاص صيغة الرحيم ـ على رأي بعض

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التنزيل ، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي : ٧/١ .
(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (طُبِع في حاشية تفسير الكشاف) ، أحمد بن منير الاسكندري : ١٦/١ .
(٢) البيان في تفسير القرآن : ٤٤٠ .
(٣) تفسير سورة الحمد ، الشهيد محمد باقر الحكيم : ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١٥٧ .

المفسرين ـ بالمؤمن دون الكافر ، باعتبار أنّ الرحمة التي تشمل المؤمن يكون له نوع من الثبات والاستقرار ، بينما قد تشمل الرحمة الكافر ، ولكن ما يؤول إليه حاله هو العذاب ، ولعل ادّعاء من أثبت هذه الصيغة للدار الآخرة دون الدنيا ، باعتبار ما في تلك النشأة من ثبات واستقرار " [٤١٥].

والرأي التاسع : رأي الأستاذ أحمد الشرباصي الذي قاله في إحدى حلقات برنامج (نور على نور) ، ذكر فيه أنّ " الرحمن معناه الذي يُوصل آثار نعمته ورحمته وفضله بالفعل إلى عباده . أما الرحيم فهي كلمة تدل على أن إيصال هذه الألوان من الرحمة والنعم ليس شيئاً عارضاً يصدق في زمان دون زمان ؛ لأنه شيء ناشيء عن صفة دائمة مستمرة لله ، فالرحمن تدل على أنه يفعل الرحمة ، والرحيم تدل على أنه يتصف بهذه الصفة " [٤١٦]

وهذا الرأي قريب من الرأي الأول ، وأحسب الباحث أنّ الرأيين الأول والثاني من أقرب الآراء إلى الصحة والصواب .

ومما ورد صفة مشبهة في سياق والغفران قوله تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ (غافر : من الآية ٣) .

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : " فإن قلت : كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً ، والموصوف معرفة يقتضي أنْ يكون مثله معارف ؟ قلت : أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان ؛ لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين ، وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال ، فتكون إضافتهما غير حقيقية ، وإنما أُريد ثبوت ذلك ودوامه ، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش " [٤١٧] .

وإنما جُعل (غافر) و(قابل) صفتين ، وإنْ كانا اسمي فاعل ؛ لأنه فُهم من ذلك أنه لا يُراد بهما التجدد ولا التقيد بزمان ، بل أُريد بهما الاستمرار والثبوت[٤١٨] .

وقال أبو عبد الله الرازي : " ولا نزاع في جعل (غافر) و(قابل) صفة ، وإنما كانا كذلك ؛ لأنهما يُفيدان معنى الدوام والاستمرار (...) ؛ لأنّ صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد " [٤١٩].

---

(١) تفسير سورة الحمد : ١٥٧ .
(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن : ١١٠ .
(٣) تفسير الكشاف : ١٤٤/٤ .
(٤) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٥٩٥/٧ .
(١) تفسير البحر المحيط : ٥٩٦/٧ .

فالإتيان بصيغة اسم الفاعل في (غافر) و(قابل) " للدلالة على الاستمرار التجددي ، فإنّ المغفرة وقبول التوب من صفاته الفعلية ولا يزال تعالى يغفر الذنب ثم يغفر ، ويقبل التوب ثم يقبل " [٤٢٠].

جاء في (موسوعة النحو والصرف والإعراب) : " إذا أُضيف اسم الفاعل إلى مرفوعه ، ودلّ على الثبوت صار (صفة مشبهة) يجري عليه كل أحكامها " [٤٢١] وكذلك الحال بالنسبة إلى اسم الفاعل إذا أُضيف إلى منصوبه . وجاء التعبير باسم الفاعل الذي صار صفة مشبهة ؛ لأنّ الله تعالى أراد أنْ يبين أنه قد اتصف بصفة المغفرة في الماضي ، وأنه متصف بها الآن في الوقت الحاضر وسيكون مُتصفاً بها في المستقبل ، في آنٍ واحد . قال الدكتور فاضل السامرائي : " تقول (هو كريم) أي هو متصف بالكرم على وجه الاستمرار ، فإذا أردت أنه سيقع منه كرم في الغد قلت (هو كارمٌ غداً) ، ولا تقول (هو كريمٌ غداً) ، وكذلك إذا وقع منه كرم في الماضي قلت (هو كارمٌ أمس) ولا تقول (هو كريمٌ أمس) "[٤٢٢].

لاسيما أنّ اسم الفاعل في الآية لم يتقيّد بزمان كما تقيّد اسم الفاعل في الأمثلة التي ذكرها الدكتور السامرائي وهذا ـ زيادة على كون اسم الفاعل في الآية صفة مشبهة ـ يقوي معنى استمرارية المغفرة وقوبل التوبة .

وقد جيء بالواو في قوله : " ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ لفائدة جليلة ، وهي " إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين : بين أنْ يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها مَحّاءة للذنوب كأن لم يذنب ، كأنه قال : جامع المغفرة والقبول " [٤٢٣] .

ب ـ صيغ المبالغة :

هي ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل ، ولكن بزيادة في المعنى ، فهي في الحقيقة أسماء فاعل تحولت إلى صيغ المبالغة بهدف المبالغة والتكثير في معنى الفعل ، فاسم الفاعل (عالم) يعني الذي يعلم ، وأما صيغة المبالغة (علام) فتعني : كثير العلم[٤٢٤] .

فإذا أُريد الدلالة على الكثرة والمبالغة في اتصاف الذات بالحدث حُوّل بناء اسم الفاعل إلى أبنية متعددة هي (صيغ المبالغة)[٤٢٥] .

---

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٣٠٤/١٧ .
(٣) موسوعة النحو والصرف والإعراب ، د. أميل بديع يعقوب : ٦٩ ـ٧٠ .
(٤) معاني الأبنية : ٧٤ .
(١) تفسير الكشاف : ١٤٥/٤ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : ٤٦٩/٢ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٤٧٦/١ .
(٢) ينظر : الصيغ الإفرادية العربية : ١٦٥ ، موسوعة النحو والصرف والإعراب : ٤٢٢ .

وأوزان المبالغة القياسية خمسة هي : (فَعّال) ، و(مِفْعال) و(فَعُول) ،و(فَعيل) ،و(فَعِل)[٤٢٦] .

ولهذه الصيغ المختلفة معانٍ مختلفة في الدلالة على المبالغة ، فدلالة (عَلام) على المبالغة أكثر من دلالة (عليم) على المبالغة ، أي إنّ دلالة (غفّار) على المبالغة أكثر من دلالة (غفور) على المبالغة ، ودلالة (صبّار) على المبالغة أكثر من (صَبُور) ، قال أبو هلال العسكري(ت بعد٤٠٠هـ) : " فأما في لغة واحدة فمحال أنْ يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما ظَنّ كثير من النحويين واللغويين"[٤٢٧].

وأبنية المبالغة على ضربين كما يرى الدكتور فاضل السامرائي[٤٢٨] :

١ ـ منها ما يختلف عن الآخر لتأدية معنى جديد نحو قولهم : الضَحَّاك والضُحَكة فالضَحَّاك مدح والضُحَكة ذم .

٢ ـ ومنها ما تدل صيغته على معنى في المبالغة يختلف عن الصيغة الأخرى فمعنى (فعّال) يختلف عن (فَعُول) في المبالغة وهما يختلفان عن (مِفْعال) .

فاللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أكثر منه فلابدّ أنْ يتضمن من المعنى أكثر مما تضمّنه أولاً[٤٢٩] .

أما صفات الله التي هي صيغة مبالغة كغفّار ورحيم وغفور ومنان كلها مجاز إذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ؛ لأنّ المبالغة هي أنْ تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفات الله تعالى متناهية في الكمال ، لا يمكن المبالغة فيها ، والمبالغة أيضاً تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى مُنزهة عن ذلك[٤٣٠].

جاء في البرهان : " التحقيق أنّ صيغ المبالغة قسمان : أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

الثاني : ما تحصل المبالغة فيه بحسب تعدد المفعولات ، ولا شك أنْ تعددها لا يُوجب للفعل زيادة ، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تُنزل صفاته تعالى

---

(٣) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري : ٢١٩/٣ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٦٩ دراسات في علم الصرف ، عبد الله درويش : ١٨ ـ١٩ ، تهذيب المقدمة اللغوية ، د. أسعد أحمد علي العلايلي : ٢١٠ .
(٤) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ، الرماني : ٩٦ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، المقرب ، ابن عصفور : ١٤١ ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري : ٣٠٤،اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي: ١٧١ .
(٥) الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري : ١٥ .
(١) ينظر : معاني الأبنية : ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٢) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير : ٢٥٠/٢ .
(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٥٠٧/٢ .

ويرتفع الإشكال ولهذا قال بعضهم في (حكيم) : معنى المبالغة فيه تكرار حُكمه بالنسبة إلى الشرائع " [٤٣١] فالمبالغة في أسماء الله تعالى ليست على حقيقتها وأنها ليست لتكثير الفعل في ذاته ، وإنما لتكثير المواقع التي يقع عليها الفعل ويُصيبها[٤٣٢] .

١ ـ فعَّال :

تدل هذه الصيغة على كثرة القيام بالفعل ، فإذا " فُعِل الفعلُ وقتاً بعد وقت قيل (فَعَّال) مثل : علاَّم وصبّار " [٤٣٣] . .

ويطلق هذا البناء أيضاً على الذي صارت مزاولته للشيء كالحرفة والصناعة له لكثرة مزاولته له ، فالعرب تنسب إلى الحرفة والصنعة بصيغة (فَعَّال) كالفرآء والخيّاط والنسّاج والحداد والقصّاب والنجّار والطيّار[٤٣٤] .

ويرى بعض العلماء أنّ (فعّال) لمن صار له صناعة أو حرفة ثم نُقلت إلى المبالغة ، وقيل العكس هو أنّ (فَعَّال) في المبالغة أصل لـ(فَعَّال) في الصناعة[٤٣٥] .

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أنّ (فَعّال) في المبالغة منقول عن (فَعّال) في الصنعة ؛ لأنّ الأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر ، فعند ذلك تحصل المبالغة[٤٣٦] .

وهذا البناء لا يكون " إلا في صاحب شيء يُزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه " [٤٣٧].

فهذا البناء يقتضي المزاولة والتجدد ؛ لأنّ صاحب الصنعة مداوم على صنعته ملازم لها[٤٣٨] .

فوزن (فَعّال) يدل على كثرة صدور الفعل[٤٣٩] .

---

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٥٠٧/٢ ـ ٥٠٨ ، ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٤١٣/١ .
(٥) ينظر : إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب : ٢٥٢/٢ .
(١) الفروق في اللغة : ١٥ .
(٢) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي : ٣٠٠/٢ .
(٣) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٥٩/٢ ، معاني الأبنية : ١٠٨ .
(٤) ينظر : معاني الأبنية : ١٠٨ .
(٥) شرح شافية ابن الحاجب : ٢٥٩/٢ .
(٦) ينظر : معاني الأبنية : ١٠٩ .
(٧) ينظر : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د. عبد الحميد هنداوي : ٣٩ .

ومما ورد على زنة (فَعّال) دالاً على الغفران (غفّار) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه : ٨٢) .

ولما كان العبد له أسماء ثلاثة هي الظالم والظلوم والظلام .

فمن الظالم ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ (فاطر : من الآية ٣٢) ومن الظلوم ما جاء في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (الأحزاب : من الآية ٧٢) ، والظلام : إذا كثر ذلك منه ، فإن لله في مقابلة كل واحد من هذه الأسماء اسماً ، فقد قابل ظالم لغافر ، وقابل ظلوم بغفور ، وقابل ظلام بغفار ، فإن كنت أيها الإنسان ظالماً فأنا غافر ، وإنْ كنت ظلوماً فأنا غفور ، وإن كنت ظلاماً فأنا غفار[٤٤٠].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (نوح :١٠) .

فلِمَ قال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ ولم يقل : إنّه غفّار أو إنه كان غافراً ؟

والجواب هو أنّ : " المراد : أنه كان غفّاراً في حق كلِّ من استغفروه ، كأنه يقول : لا تظنوا أنّ غفاريته إنما حدثت الآن ، بل هو أبداً هكذا كان ، فكأنما هذا هو حرفته وصنعته " [٤٤١] فضلاً عن ذلك فإنّ " غفاراً أبلغ في المغفرة من (غافر) ؛ لأنّ (فعّالاً) يدل على كثرة صدور الفعل و(فاعلاً) لا يدل على الكثرة " [٤٤٢]

وقد ورد لفظ (غفّار) في القرآن الكريم في خمسة مواضع [٤٤٣].

ومما ورد على زنة (فعّال) في سياق الرحمة صيغة (توّاب) في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة : ٣٧) .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٨٤/٢٢ .
(٢) التفسير الكبير : ٦٥٢/٣٠ .
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢٥١/٢ .
(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٧ ، وينظر : غير ما ذكر : ص : ٦٦ ، الزمر : ٥ ، غافر : ٤٢ .

فـ(تَوَّاب) من التوبة و" التوب : ترك الذنب على أجمل الوجوه" [٤٤٤] ، ومعناه " كثير القبول للتوبة يقبل التوبة مرة بعد مرة ، وهو في صفة العباد الكثير التوبة ، وقيل : إنّ معناه أنه يقبل التوبة وإنْ عظمت الذنوب فيسقط عقابها " [٤٤٥] . وقيل : هو الكثير الإعانة عليها[٤٤٦] .

وأصل التوبة : الرجوع كالأوبة ، والتوّاب لفظ يشترك فيه الرّب والعبد وفرق بين إطلاقه على الله تعالى وعلى العبد ؛ وذلك لاختلاف صلتيهما فقيل في العبد : تاب إلى ربه ، وفي الرب تاب على عبده ، فالتوبة من الله تعالى على العبد هي الرجوع إلى العبد بالرحمة والفضل ، والتوبة من العبد هي الرجوع عن المعصية إلى طاعته تعالى لطلب ثواب أو خشية عقاب أو رفع درجات[٤٤٧] . فالتوبة توبتان : توبة من الله تعالى وهي الرجوع إلى العبد بالرحمة والتوبة من العبد وهي إلى الرجوع إلى الله بالاستغفار والانقلاع عن المعصية[٤٤٨] . وقيل : إنّ التواب إذا وُصِف به الله عز وجل أُريد به الرجوع عن العقاب إلى المغفرة [٤٤٩].

جاء في التفسير الكبير : " إنّ الذين يتوبون إلى الله تعالى فإنه يكثر عددهم فإذا قَبِل توبة الجميع استحق المبالغة في ذلك " [٤٥٠] .

" وإنما قيل لله عز وجل : توّاب ؛ لمبالغة الفعل ، وكثرة قبوله توبة عباده لكثرة من يتوب إليه " [٤٥١] " وعبد توّاب : كثير الرجوع إلى الطاعة " [٤٥٢].

واقتران الرحيم بالتواب للتنبيه على أنّ السبب في قبول التوبة عمن أساء هو رحمته تعالى بعباده [٤٥٣].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات : من الآية ١٢) .

---

(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ١٦٩ (توب) .
(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي : ٢٠٠/١ .
(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٢٤٣/١ ، وإرشاد العقل السليم : ٩٢/١ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٤٦٨/٣ ، وتفسير البحر المحيط : ٢٤٣/١ .
(٤) ينظر : الميزان : ١٣٤/١ ، تاريخ الأنبياء ، السيد محمد حسين الطباطبائي : ٣٠ .
(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٩٢/١ .
(٦) التفسير الكبير : ٤٦٨/٣ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٩/١ .
(٨) المصدر نفسه : ٢٢٨/١ .
(٩) ينظر : التفسير الكاشف : ٢٤٨/١ .

جاء في تفسير الكشاف : " والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده ، أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفواً عنه بالتوبة . أو لأنه بليغ في قبول التوبة مُنزِلٌ صاحبها منزلة من لم يذنب قط ، لسعة كرمه"(٤٥٤)

وقال الآلوسي: " المبالغة إما باعتبار الكيف إذ يجعل سبحانه التائب كمن لم يذنب ، أو باعتبار الكم لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم " (٤٥٥).

وقد ورد لفظ (تواب) في القرآن الكريم جمع مذكر سالماً وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٢٢) .

فالتواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرّة بعد مرة ، وهو (فعّال) ، وذلك أبلغ من (التائب) الذي هو (فاعل) ، فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب ، فهو تائب ، أي : صدرت منه التوبة مرة واحدة ، فإذا قيل (توّاب) كان صدور التوبة منه مراراً كثيرة (٤٥٦).

وقد ورد لفظ (توّاب) في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً(٤٥٧) ، منها قوله تعالى : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : من الآية ١٢٨) وقال : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : من الآية ١١٨) .

ومما ورد على زنة (فعّال) في سياق الغفران قوله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (الإسراء : ٢٥) .

فـ(الأوّاب) : " هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ومما يكرهه إلى ما يرضاه ؛ لأنّ الأوّاب إنما هو (فعّال) ، من قول القائل : آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال " (٤٥٨). قال الشاعر عَبيد بن الأبرص :

---

(١) تفسير الكشاف : ٣٦٤/٤ .
(٢) روح المعاني : ١٣ / ٣١٠ .
(٣) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : /٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٢٠٠ ، وينظر : غير ما ذُكر : البقرة : ٥٤ ، ١٦٠ ، التوبة : ١٠٤ ، النور : ١٠، النساء : ١٦ ، ٦٤ ، النصر : ٣ .
(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥ / ٨٣ .

وكلُّ ذي غيبةٍ يَئوبُ وغائبُ الموتِ لا يئوبُ [٤٥٩] .

يقول : كلُّ غائب تُنتظر أوبته أي رجعته إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا أي فلا رجعة له إلى الدنيا[٤٦٠] .

" وعند سعيد بن المسيب : الأوّاب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة "[٤٦١] فـ" الأوّاب هو الذي من عادته وديدنه الرجوع إلى أمر الله تعالى ، والالتجاء إلى فضله (...) ولفظ الأواب على وزن (فعّال) ، وهو يفيد المداومة والكثرة كقولهم : قتّال وضرّاب " [٤٦٢] لمن يكثر منه القتل والضرب .

٢ ـ فَعُول :

اختلف العلماء في دلالة هذه الصيغة ، فقيل : إنها تدل على من دام منه الفعل وقيل إنها تدل على من كثُر منه الفعل ، وقال آخرون: إنها تدل على من كان قوياً على الفعل[٤٦٣] .

ويبدو لي أنّ دلالات هذه الصيغة متقاربة ؛ لأنّ من دام منه الفعل فقد كثر منه ذلك الفعل ، ولا يكثر من الفعل إلا من كان قوياً عليه .

ومما جاء على زنة (فَعُول) ، دالاً على الغفران لفظة (غفور) . في كثير من الآيات القرآنية بلغت (٩١) آية[٤٦٤]. منها قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ

(٢) ديوان عَبيد بن الأبرص : ٢٦ .
(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٨٣/١٥ .
(٤) تفسير الكشاف : ٦٣٥/٢ .
(٥) التفسير الكبير : ٢٠ / ٣٢٨ .
(٦) ينظر : الفروق في اللغة : ١٥ ، معاني الأبنية : ١١٤ ـ ١١٥ .
(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٣٦ ـ٦٣٧ ، وينظر : غير ما ذُكر : البقرة : ١٧٣ ، ١٩٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، آل عمران : ٨٩ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ، النساء :٢٥ ، المائدة : ٣، ٣٤ ، ٩٨ ، ١٠١ ، الأنعام : ٥٤ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، الأعراف : ١٥٣ ، ١٦٧ ، الأنفال : ٦٩ ، ٧٠ ، التوبة : ٥، ٢٧ ، ٩١، ٩٩ ، ١٠٢ ، يونس : ١٠٧ ، هود : ٤١ ، يوسف : ٩٨ ، إبراهيم : ٣٦ ، الحجر : ٤٩ ، النحل : ١٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٩ ، الحج : ٦٠ ، النور : ٥ ، النمل : ١١ ، سبأ : ٢ ، فاطر : ٢٨ ، ٣٠ ، فصلت : ٣٢ ، الشورى : ٥ ، الأحقاف : ٨ ، الحديد : ٢٨ ، المجادلة : ٢ ، الممتحنة : ١٢ ، التحريم : ١ ، الملك : ٢ ، البروج : ١٤ .

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران :٣١) وقال : ﴿ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٤) وقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (القصص : ١٦) وقال : ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (الأحزاب : من الآية ٧٣) وقال : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل : من الآية ٢٠) .

ذكر الطبرسي ـ رحمه الله ـ الفرق بين غفور وغفار قائلاً : " إنّ في (غفور) مبالغة لكثرة المغفرة فأما (غافر) فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران " [٤٦٥] .

والغفور من أسماء الله عز وجل ، وهو من قولك : غفرت الشيء : إذا غطيته وسترته ، فكأن الغفور هو الساتر لعبده برحمته ، أو الساتر لذنوب عباده والغفور : هو الذي يكثر من المغفرة ؛ لأنّ بناء (فعول) للمبالغة من الكثرة ،كقولك : صبور وضروب وأكول ، أي كثير الصبر وكثير الضرب وكثير الأكل[٤٦٦] .

فوصف الله تعالى نفسه بأنه كثير الغفران ، واسع المغفرة[٤٦٧] ، وذلك من خلال استعماله صيغة المبالغة (الغفور) التي تدل على كثرة المغفرة[٤٦٨] .

ولربَّ سائل يسأل ، إذا كانت (غفور) صيغة مبالغة تدل على كثرة المغفرة و(غَفّار) كذلك ، فما الفرق بينهما وكلتاهما صيغة مبالغة من المغفرة ؟ والجواب عن ذلك هو : أنّ (غفّاراً) صيغة مبالغة من المغفرة ، تدل على المبالغة أكثر مما تدل عليه صيغة (غفور) ، وذلك لأنّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى ،فبناء (غفار) أكثر من بناء (غفور) في المبنى ، فيقتضي ذلك زيادة في المعنى، ومما يدل على أنّ (غفّاراً) أبلغ من (غفور) في المبالغة أنّ (غفّاراً) لم ترد في القرآن الكريم إلا في سياق خطاب الكافرين والمشركين أو في سياق الحديث عنهم وذكر أخبارهم وقصصهم ، وهم ـ من دون شك ـ أكثر ذنوباً وآثاماً من المؤمنين ، فلا بُدَّ من أنْ تكون المغفرة التي تنالهم عظيمة وواسعة تتناسب وذنوبَهم التي اقترفوها من الإشراك بالله ، وارتكاب الكبائر ، وتكذيب الرسل والإساءة إليهم ، فيجب أنْ تكون المغفرة التي تنال هؤلاء الكافرين أوسع وأعظم من المغفرة التي تنال المؤمنين ، وإنما

---

(٢) مجمع البيان : ٢ / ٥٢٧ .
(٣) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : ٢١٤/١ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٢/ ٦٧٧ .
(١) ينظر : التفسير الكبير : ٣٣٢/٥ .
(٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٣٣٠ .

يكون ذلك بعد تحقق توبتهم من الشرك والإيمان بالله تعالى وحده أما إذا أصرّوا على شركهم فلا مغفرة لهم ؛ لأنّ الله تعالى لا يغفر لمن أشرك به . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه : ٨٢) . وقال في سورة ص : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ۞ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ (ص : ٦٥، ٦٦) وقال أيضاً : ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (غافر : ٤٢) ، وقال تعالى على لسان نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ عندما أنذر قومه ودعاهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (نوح : ٩ ، ١٠) .

وأما (غفور) فقد وردت في القرآن الكريم في أكثر المواضع في سياق خطاب المؤمنين أو الحديث عنهم ، وهم ـ من دون شك ـ أقل ذنوباً من الكافرين والمشركين ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢١٨) وقال : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة :١٠١،٩) وقال أيضاً : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٦٩) وقال أيضاً : ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (هود : ٤١) وقال أيضاً : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يوسف : ٩٨) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن

ثَبُورَ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٩ ، ٣٠) وقال أيضاً : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات : ٥) .

فضلاً عن ذلك فإنّ (غفوراً) تختلف عن (غفّار) ، إذ لكل منهما دلالة خاصة فـ(غفار) تنبئ عن كثرة فعل الغفران وتكراره ، بينما (غفور) تدل على نوعية الغفران[٤٦٩] قال أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) : " الغفور هو بمعنى الغفّار ولكنه يُنبئ عن نوع مبالغة لا يُنبئ عنه الغفّار ، فإنّ الغفّار مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى ، فالفعّال ينبئ عن كثرة الفعل ، والفعول يُنبئ عن جودته وكماله وشموله ، فهو غفور بمعنى تام الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة " [٤٧٠].

فدلالة (غفور) تُنبئ عن شمول المغفرة إلى أقصى درجاتها وتمامها وليس فيها معنى الكثرة التي تنبئ عنها دلالة (غفّار) ، بل فيها معنى النوع والقوة [٤٧١].

ولعل في ذلك إشارة إلى أنّ صيغة (غفّار) لما جاءت في سياق ذكر الكافرين والمشركين ناسبت كثرة كبائرهم ومقترفاتهم إن أصابتهم المغفرة بعد تركهم الشرك بالله تعالى ، وأنّ صيغة (غفور) لما وردت في سياق ذكر المؤمنين دلت على أنّ المغفرة التي تنالهم تبلغ أعلى درجاتها وأقصاها فتخلصهم من كل ذنب فيستحقون بذلك الجنة التي وعدها الله المتقين من عباده المخلصين ، وهذا معنى بلوغ المغفرة أعلى درجاتها وأقصاها .

٣ ـ مِفْعال :

تكون صيغة مِفْعال " لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه ، تقول : رجل مِضْحاك ومِهذار ومِطلاق ، إذا كان مديماً للضحك والهذر والطلاق " [٤٧٢].

قال أبو هلال العسكري : " وإذا كان ذلك عادة له قيل : مِفْعال مثل مِعوان"[٤٧٣].

وجاء في (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي (ت ٤٣٠هـ) : " أكثر العادات في الاستكثار على (مِفْعال) نحو : مِطعان ومِطْعام ومِضراب ومضياف " [٤٧٤].

---

(١) ينظر : الصرف الوافي (دراسة تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية) ، د. هادي نهر : ٩٤ ..
(١) شرح أسماء الله الحسنى ، أبو حامد الغزالي : ٩٦ .
(٢) ينظر : الظواهر اللغوية في كتب إعجاز القرآن ، عادل عباس هويدي النصراوي (رسالة ماجستير) : ٨٩ .
(٣) أدب الكاتب ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ٢٥٥ .
(٤) الفروق في اللغة : ١٥ .
(٥) فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي : ٣٧٣ .

فهذا الوزن لمن اعتاد الفعل أو دام منه الفعل حتى صار له كالآلة[٤٧٥] . فالأصل في (مِفْعال) أنْ يكون للآلة ثم نُقل إلى المبالغة ؛ لأنّ الأصل في المبالغة النقل ، فاستُعير إلى المبالغة ، فعندما نقول : هو مِضحاك ، كأنّ المعنى أنه آلة للضحك[٤٧٦] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴾ (هود : من الآية ٥٢) .

(مِدْراراً) فيه معنى التكثير ، أي يُرسل السماء بالمطر متتابعاً يتبع بعضه بعضاً ، ويتلو بعضه البعض الآخر[٤٧٧] .

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : " المِدْرار : الكثير الدور ، كالمِغزار، وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان ، وترغيبهم فيه بكثرة المطر ؛ لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات ، حُرّاصاً عليها أشد الحرص ، فكانوا أحوج شيء إلى الماء"[٤٧٨].

وأشار الطبرسي(ت ٥٤٨هـ) ـ رحمه الله ـ إلى ذلك قائلاً : " المِدرار : الدارّ الكثير المُتتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد المُفسد المُضِر ، ومِفعال للمبالغة ،كقولهم : مِعطار ومِقدام " [٤٧٩] .

فالمِدرار بمعنى : كثير الدور ، وأصله كثرة دَرّ اللبن ، يُقال : دَرّت الشاة تَدُّر دَرّاً ودروراً فهي دارّ ، أي : كثُر فيضُ لبنها ، ثم استُعير للمطر ؛ وذلك للإشارة إلى الكثرة النافعة فإنّ بعضه قد يكون ضاراً ، وقد يكون عذاباً [٤٨٠].

فالمِدْرار : الكثير المُتتابع من دَرَّت السماء تَدُّر ، إذا سكبت المطر بسخاء[٤٨١].

وفي الآية الكريمة دليل على أنّ التوبة والاستغفار سبب لنزول المطر [٤٨٢] .

---

(١) ينظر : معاني الأبنية : ١١٢ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢ / ٧٠ ، معاني القرآن ، النحاس : ٣ /٣٥٧ ، الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٣٧ .
(٤) تفسير الكشاف : ٢ / ٣٨٧ .
(٥) مجمع البيان : ٥ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، روح المعاني : ٦ / ٢٧٩ .
(٦) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١٢ / ٩١ ، الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٨٨ .
(٧) ينظر : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني : ٢٠/٢ .
(١) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٢ /٥٣٩ .

ودلالة المبالغة في (مدرار) في سياق الغفران هي الترغيب في استغفار الله تعالى ؛ إذ إنّ هذا الاستغفار يتسبب في إكثار ما تدره السماء على العباد من المطر الذي هو مصدر الخيرات ، لاسيما أنّ التعبير جاء بأسلوب الشرط ، بمعنى أنّ الاستغفار شرط كثرة المطر أو أنّ كثرة المطر جزاء لاستغفارهم .

ثالثاً: دلالة صيغة الاسم وصيغة الفعل في الجملة

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : " إنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء . فإذا قلت : زيد منطلق ، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أنْ تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيد طويل وعمرو قصير ، فكما لا تقصد ههنا إلى أنْ تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث ، بل توجبهما وتثبتهما فقط ، وتقضي بوجودهما على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد .

وأما الفعل فإنه يُقصد فيه إلى ذلك ، فإذا قلت : زيد هو ذا ينطلق ، فقد زعمت أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاوله ويُزَجِّيه " [٤٨٣].

وذكر الرازي الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية بقوله : " والاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها ، فإذا قلت : زيد منطلق ، لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد ، وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها ، فإذا قلت : انطلق زيدٌ أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد ، وكل ما كان زمانياً فهو متغير ، والتغير مشعر بالتجدد ، فإذاً الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك " [٤٨٤].

ويتضح من ذلك أنّ الاسم يدل على الثبوت والرسوخ بخلاف الفعل فإنه يدل على الحدوث والتجدد[٤٨٥] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٤٧) .

فقد جاءت الجملة الأولى اسمية (ربكم ذو رحمة) ؛ " لأنها أبلغ في الإخبار من الفعلية ، فناسبت وصفه تعالى بالرحمة الواسعة ، وجاءت الجملة الثانية فعلية (ولا يُرَدُّ) ؛ لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين ، وباب الرحمة أوسع " [٤٨٦].

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١٧٤ .
(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي : ٧٥ .
(٣) ينظر : معاني الأبنية : ١١ .
(١) صفوة التفاسير : ٤٢٧/١ .

فذكر الحالة الثابتة بالجملة الاسمية ، وهي اتصاف الله تعالى بالرحمة الواسعة على وجه الثبوت والدوام ، بينما ذكر الحالة المؤقتة بالجملة الفعلية (ولا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين) .

ومما جاء من ذلك في سياق الغفران قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٣) .

فقد جاء في صدر الآية بالفعل (ليُعذبهم) ، وجاء بعده بالاسم (مُعذبهم) ؛ وذلك لأنه جعل استغفارهم مانعاً ثابتاً من العذاب ، بخلاف بقاء الرسول ـ ﷺ ـ بينهم ، فإنّ العذاب موقوت ببقائه بينهم . فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية ، والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية[٤٨٧] .

ومن ذلك أيضاً استعماله للاستغفار ، فقد ورد الاستغفار بالصيغة الفعلية في القرآن الكريم كثيراً ، فلما كان الاستغفار يحدث ويتجدد جاء به بالصيغة الفعلية التي تدل على التجدد والحدوث [٤٨٨].

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (غافر: من الآية ٧) ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى : من الآية ٥) .

ولم يرد الاستغفار بالصيغ الاسمية في القرآن الكريم إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران : ١٧) .

وأحسب أنّ الاستغفار هنا لما كان بمعنى : الصلاة[٤٨٩] ، فـ(المستغفرون) بمعنى المُصلين ؛ ولأنّ الصلاة صفة ثابتة مُستقرة عند هؤلاء المؤمنين ، فهم مداومون على الحفاظ عليها ، عبّر عنها بالصيغة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام .

---

(٢) ينظر : التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي : ٢٧ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه : ٣١ .
(١) ينظر : الوجوه والنظائر ، هارون بن موسى القارئ : ١١٩ ، إصلاح الوجوه والنظائر ، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني : ٣٤١ ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي : ٨٩ .

وإذا حملنا الاستغفار الوارد في الآية على معناه الحقيقي فإنّ الأمر لا يختلف؛لأنّ الآية في مقام تعداد صفات المؤمنين التي اتصفوا بها مما ينبغي لكل مؤمن أن يتصف به على جهة الدوام والاستمرار ، فجاء التعبير عن الاستغفار بصيغة الاسم دلالة على استمرار استغفارهم ودوامه .

رابعاً : دلالة استعمال صيغة فعلية محل صيغة فعلية أُخرى :

يستعمل القرآن الكريم إحدى الصيغتين ، صيغة المضي وصيغة المضارعة محل صاحبتها ، فيأتي بصيغة المضارع مكان صيغة الماضي ؛ لإحضار صورة الفعل أمام السامع ، حتى كأنه يشاهده ، وليس ذلك مما تثيره صيغة المضي ؛لأنّ السامع قد يكتفي بأنْ يتخيل فعلاً قد مضى ، وربما لا يستحضر صورته(٤٩٠) .

وتستخدم صيغة المضي مكان صيغة المضارعة تأكيداً وتحقيقاً لوقوع الفعل حتى كأنه قد وقع ، ويكون ذلك فيما يُستعظم من الأمور الهائلة (٤٩١).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاء ﴾ (الأعراف : من الآية ٥٧) بينما قال في سورة الفرقان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الفرقان : من الآية ٤٨) وقال في سورة الروم : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (الروم : من الآية : ٤٨) بينما قال في سورة فاطر : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ (فاطر : من الآية ٩)

فقد ورد في هذه الآيات الأربع الفعل (يرسل) مرتين على لفظ المستقبل ومرتين على لفظ الماضي ، فهل في السياق الذي ورد فيه كل فعل ما يقتضي ورود الفعل الذي خُصّ به أم كلّ جائز لو جاء عليه ؟

(١) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٨٥/٢ ، من بلاغة القرآن : ١١١ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

الجواب : لكل مكان فعل خاص به ، ولا يمكن للفعل الآخر أن يحل محله ، فالآية الأُولى جاء فيها (يُرسل) بلفظ المستقبل ؛ لأنّ ما قبلها ذكر الخوف والطمع وهو قوله : ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف : من الآية ٥٦) وهما لا يكونان إلا في المستقبل ، وفي ذلك بعث على التضرع والدعاء

وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعمة ، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين وأدعى لهم إلى الدعاء[٤٩٢] .

وأما في سورة الفرقان فقد جاء هذا اللفظ بصيغة الماضي (أرسل) ؛ لأنّ ما قبله قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ (الفرقان : ٤٥ ـ ٤٧) فلمّا عدّد أنواع ما أنعم به وكان إرسال الرياح من جملة ذلك ذكره باستعمال صيغة الماضي إخباراً منه عما فعله وأوجده ، وأما في سورة الروم فقد استعمل صيغة المضارعة ؛ لأنّ ما قبله الآية ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ (الروم : من الآية ٤٦) فبنى قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾ على البناء الذي قبله ، الذي جعل عليه ما هو من آياته ، فحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله تبارك الله سبحانه[٤٩٣] .

وأما في سورة فاطر فاختار صيغة الماضي فيها على المستقبل ؛ لأنّ أولها﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً ﴾ (فاطر : من الآية ١) بمعنى فطر وجعل ، فلما افتتح أول السورة بالتمدح بما صنع أتبعه ما كان من جنسه مما فعل ، فأخبر عنه بصيغة الماضي أيضاً كذلك[٤٩٤] . ومن ذلك أيضاً استعمال صيغة الفعل الماضي في قوله تعالى : ﴿ قَالَ

(١) ينظر : درة التنزيل وغُرة التأويل ، الخطيب الاسكافي : ١٤٨ ، وينظر : أسرار التكرار في القرآن ، محمود بن حمزة الكرماني : ٨١ .
(٢) ينظر : درة التنزيل وغُرة التأويل : ١٤٨ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : من الآية ١٥٦) .

قال أبو السعود : " وفي نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ، ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأنّ الرحمة مُقتضى الذات ، وأما العذاب فبمقتضى معاصي العباد " [٤٩٥] .

وقد قيّد الله سبحانه إصابة عذابه بقوله ﴿ مَنْ أَشَاء ﴾ من دون تقييد رحمته ؛ لأنّ العذاب إنما ينشأ بمقتضى أعمال المعذبين لا بمقتضاه هو سبحانه ، فلا يعذب الله سبحانه باقتضاء من ربوبيته ، وإنما يُعذب بعض من تعلقت به مشيئته ، فلا تتعلق مشيئته إلا بعذاب من كفروا نعمه [٤٩٦].

ومن ذلك أيضاً استعمال صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف : ٩٢) .

يُقال : غفر الله لك ، ويغفر الله لك ، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً ، و(اليوم يغفر الله لكم) بشارة بعاجل غفران الله لإخوة يوسف ـ عليه السلام ـ لما تجدَّد يومئذٍ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم [٤٩٧] ، فاستعمال صيغة المضارع يستحضر الغفران الذي يصيب المبشرين به حال تبشيرهم به .

ومن ذلك أيضاً استعمال صيغة الفعل الماضي في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ (العنكبوت : من الآية ٢٣) .

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٣/ ٢٧٨ ، صفوة التفاسير : ١/ ٤٧٥ .
(٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٢٧٩ .
(٣) ينظر : تفسير الكشاف : ٢ / ٤٨٣ ، تفسير البحر المحيط : ٥ / ٤٤٢ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١ / ٦٢٢ .

فمعنى﴿ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ ييأسوا منها يوم القيامة ، وجاءت صيغة الماضي للدلالة على تحقيق وقوعه ، أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء ، وأضاف الرحمة إلى نفسه ولم يضف العذاب إليها لسبق رحمته غضبه ، وإعلاماً لعباده بعمومها لهم(٤٩٨) .

ومن استخدام صيغة المضي قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (ص : من الآيتين ٢٤، ٢٥) .

فالمعنى : إنا قبلنا الاستغفار منه وأثبناه عليه ، فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه (غفرنا) ، وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم(٤٩٩) ، ودلالة صيغة الماضي في الآية أنّ فيها إشعاراً بسرعة قبول التوبة وبسرعة أثر الاستغفار الذي توجه به داود ـ عليه السلام ـ إذ أخبر عنه بالماضي دلالة على تحققه .

وقد تأتي (كان) بصيغة الماضي وفيها معنى الماضي والحال والاستقبال كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء : من الآيات ٩٦، ١٠٠، ١٥٢) و(الفرقان : من الآية ٧٠) و(الأحزاب : من الآيات٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣) و(الفتح : من الآية ١٤) .

" أي كان ويكون وهو كائن الآن جل ثناؤه" (٥٠٠).

وجاء في نظم الدرر في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (النساء : من الآية ٩٦) .

أي " أزلاً وأبداً ، لم يتجدد له ما لم يكن " (٥٠١)،وفي ذلك دلالة على استمرار مغفرته تعالى ورحمته وأنهما لا يتقيدان بزمان دون زمان .

---

(٤) ينظر : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، الشيخ الجمل : ٣ / ٣٧٢ .
(١) ينظر : مجمع البيان : ٨ / ٧٣٥ .
(٢) فقه اللغة وسر العربية : ٣٤٠ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي : ٢ / ٣٠٢ .

خامساً : الإفراد والجمع

كلما أنعمنا الفكر في أسرار الألفاظ عند استعمالها في أساليب القرآن الكريم ودققنا النظر فيها حينما ترد في آيات الذكر الحكيم ، واستوفينا الكشف عنها في التعبير القرآني ، وجدنا أسراراً عظيمة ، ولطائف عجيبة ، ورأينا أنه يُذكر في كلّ موضع ما يُلائمه منها ويُوضَع كل لفظ في محله الذي يليق به ، فنشاهد في تعبيرات القرآن الكريم أنه تارةً يستعمل المفرد من دون جمعه ، وتارة أُخرى يستعمل الجمع من دون مفرده ، ولو حاولنا التغيير والتبديل ، أو إحلال أحدهما محل الآخر فسد التعبير ، وذهبت حلاوته وفاتته طلاوته[٥٠٢] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤)

فـ(الرياح) جمع ريح ، وجاءت في القرآن الكريم مجموعة مع الرحمة ، مفردة مع العذاب إلا في سورة يونس : الآية : ٢٢ [٥٠٣].

" وذلك لأنّ ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد ، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح " [٥٠٤].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الأعراف : من الآية ٥٧) .

قال ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) : " من جمع (الريح) في هذه الآية فهو أسعد ، وذلك أنّ الرياح حيث وقعت في القرآن فهي مقترنة بالرحمة ، كقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ

(١) ينظر : من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة) ، عبد الفتاح لاشين : ١٢١ .
(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطيةالأندلسي : ٢٣٣/١ ، تفسير البحر المحيط : ٦٦٤/١ .
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١/ ٢٣٣ .

الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ ، وأكثر ذكر الريح مفردة إنما هو بقرينة عذاب كقوله : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ وقوله : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ وقوله : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ " (٥٠٥).

والمعنى في هذا كلّه بَيِّن ، وذلك أنّ ريح السقيا والمطر منتشرة لينة تجيء من ها هنا وها هنا وتتفرق فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء مُتغايرة المهب أنْ يُقال لها رياح ، وتُوصف بالكثرة ، أما ريح العذاب ، فهي عاصفة صرصر شديدة المرور مهلكة بقوتها ، فيحسن من حيث هي شديدة الاتصال أنْ تُسمى ريحاً مفردة (٥٠٦).

وعن ابن عمر : " أنّ الرياح ثمان ، أربع منها عذاب : وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم ، وأربع منها رحمة : الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات " (٥٠٧) ، ويلاحظ في هذا النص أنّ ريح العذاب تسمى بالمفرد ورياح الرحمة تسمى بالجمع .

ومنذ لك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (الحجر : ٢٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ (الفرقان : ٤٨)

قرأ الجمهور (الرياح) ؛ لأنها رياح المطر ، وقرأ الأعمش وابن كثير وحمزة والكسائي (الريح) بالإفراد والتوحيد على إرادة الجنس فهو في معنى الجمع(٥٠٨) .

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز : ٤١٢/٢ ، والشاهد القرآني من (الروم ، من الآية : ٤٦) والثاني من (الحجر ، من الآية : ٢٢) ، والثالث من (الروم ، من الآية ٤٨) ، والرابع من (الذاريات :٤١) والخامس من(الحاقة :٦) والسابع من (الأحقاف ، من الآية ٢٤) .
(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٤/ ٤٠٨ .

فقراءة الجمع أوجه ؛ لأنّ الريح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب ، ومتى كانت للمطر والرحمة جاءت مجموعة ؛ لأنّ ريح المطر تتشعب وتتدَأب[٥٠٩] وتتفرق ، وتأتي لينة من ها هنا وها هنا ، وشيئاً إثر شيء ، وريح العذاب لا تتدأب وإنما تأتي جسداً واحداً ، ألا ترى أنها تحطم ما تجد وتهدمه [٥١٠].

وقال الرماني : جُمعت رياح الرحمة لأنها ثلاثة لواقح ، الجنوب والصبا والشمال ، وأُفردت ريح العذاب ؛ لأنها واحدة لا تلقح وهي الدَّبور[٥١١] .

وجاء في فقه اللغة للثعالبي : " لم يأتِ لفظ الريح في القرآن إلا في الشر والرياح إلا في الخير " [٥١٢]. فـ " عامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب ، وكل موضع ذُكِر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة " [٥١٣].

" وكان عاصم يقرأ ما كان من رحمة (الرياح) ، وما كان من عذاب قرأه (ريح) ، واختلف القُراء في الرحمة فمنهم من قرأ (الريح) ، ومنهم من قرأ (الرياح) ، ولم يختلفوا في العذاب بـ(الريح) ، ونرى أنهم اختاروا الرياح للرحمة؛ لأنّ رياح الرحمة تكون من الصبا والجنوب والشمأل من الثلاث المعروفة. وأكثر ما تأتي بالعذاب وما لا مطر فيه الدَّبور؛ لأنّ الدبور لا تكاد تُلْقح فسُميّت ريحاً مُوحدة ؛ لأنها لا تدور كما تدور اللواقح " [٥١٤].

ومما يدلّ على أنّ مواضع الرحمة بالجمع أولى ومواضع العذاب بالإفراد أنسب قول الرسول الكريم ـ ﷺ ـ إذا هبَّت ريح : " اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً " [٥١٥].

فقد كان النبي محمد ـ ﷺ ـ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ومدّ يديه وقال : " اللهم إني أسالك خير هذه الريح وخير ما أُرسلتْ به ، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما أُرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً " [٥١٦].

---

(١) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ٢١٧/٣ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٤٣/٢ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٥/٢ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢١ ، روح المعاني : ١٠/ ٣٠ ، من بديع لغة التنزيل ، د. إبراهيم السامرائي : ٢٤١ .
(٢) تتدأب : أي تستمر ، والدأب : العادة المستمرة دائماً على حالة . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢١ (دأب) .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢١٣ ، روح المعاني : ١٠ / ٣٠ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢١٣ .
(٥) فقه اللغة وسر العربية : ٣٨٢ .
(٦) مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٠ (روح) .
(٧) معاني القرآن ، الفراء : ٢٦٩/٢ .
(١) ينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه ، أبو العباس المبرد : ١٩ ، الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس المبرد : ٧٩١/٢ ، الحجة للقراء السبعة : ٤٠٢/١ .
(٢) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني : ١١ / ١٧٠ ـ ١٧١ (١١٥٣) ، وينظر : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي : ٥٧ / ٤ .

إنّ لفظ (الريح) مفرداً أو جمعاً كلٌّ منهما يستخدم في موضعه اللائق به ولكل واحد منهما مقام ، فحيث ذُكرت (الرياح) في سياق الخير والرحمة والغيث جاءت مجموعة ، وحيث ذُكرت في سياق العذاب والشر والعقوبات أتت مُفردة[٥١٧].

ومن المواضع الأخرى التي جاءت فيها (الرياح) جمعاً لتدل على الخير والرحمة قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل : ٦٣) .

وقال أيضاً ﷻ وتمّ كماله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الروم : ٤٨) .

وقد استعملت (الرياح) جمعاً في غير الخير والرحمة في موضع واحد وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (الكهف : ٤٥) .

وذكر الزمخشري في تفسيره أنّ " الهشيم : ما تهشم وتحطم والواحدة هشيمة. وقُرئ : تذروه الريح . وعن ابن عباس : تذريه الرياح ، من أذرى : شبه حال الدنيا في نظرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأنْ لم يكن " [٥١٨].

جاءت (الرياح) هنا جمعاً مع المثَل للدلالة على أنّ هذا النبات الذي صار هشيماً متكسراً لا يحتاج أنْ يُذرى في الهواء إلى ريح بما تدل هذه الكلمة على معنى الشدة والقوة والسرعة ، بل تحتاج إلى رياح بما تدل عليه من معنى اللطافة وعدم الشدة ، فهذا النبات المتحطم يحتاج لإزالته إلى رياح بسيطة وليس إلى ريح قوية عاصفة ، وذلك ليدل على سرعة زوال

(٣) ينظر : البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ٢٠/١ ـ ٢١ ، والبرهان في علوم القرآن : ٩/٤ ، الإتقان في علوم القرآن : ٣٠٠/٢ ، من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة) : ١٤١ ، والتعبير القرآني : ١٧ .
(١) تفسير الكشاف : ٢/ ٦٩٧ .

الدنيا فهي كالنبات المتهشم الذي لا يحتاج لإزالته إلى ريح قوية شديدة ، وإنما يحتاج إلى رياح يسيرة ، " فالدنيا سريعة الزوال وشيكة الارتحال ، مع كثرة الأنكاد ودوام الأكدار من الكد والتعب والخوف والنصب ، كالزرع سواء ، تُقبل أولاً في غاية النضرة والبهجة ، تتزايد نضرتها وبهجتها شيئاً فشيئاً ، ثم تأخذ في الانتقاص والانحطاط إلى أنْ تنتهي إلى الفناء فهي جديرة لذلك بالزهد فيها والرغبة عنها ، وأنْ لا يفتخر بها عاقل " [٥١٩].

فهذه الرياح وردت في سياق ضرب المثَل ، وذلك من بديع استعمال القرآن إذ أنه لو استعمل (الريح) التي تدل على العذاب ؛ بسبب شدتها وسرعتها لما كان ذلك مناسباً لضرب المثل في سرعة زوال الدنيا ، إذ لو شبهها بما يحمل من القوة والشدة ، لما دلّ ضرب المثل على وهن حال الدنيا وسرعة زوالها ، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لما ضرب مثلاً في الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، شبههم ببيت العنكبوت الذي هو أوهن البيوت ، ليدل على ضعفهم وعجزهم عن نصرتهم ، وأنهم لا يُغنون عنهم شيئاً ، فهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فكيف يستطيعون نصرهم ؟ قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤١) .

فقد اختار أضعف الحيوانات لتشبيه ضعف معتقداتهم ووهنها وهو العنكبوت ، فهؤلاء العاكفون على أصنامهم والسادرون بأهوائهم يسيئون صنعاً ويحسبون أنهم محسنون ، ويبذلون جهودهم في بناء الأوهام واتخاذ الأنداد لله تعالى ، فهم في عمل لا جدوى معه ، وجهد لا تعويض عنه ، فيبرز تشبيههم بالعنكبوت التي تجهد نفسها ، وتشغل بيتها ، باتخاذ بيت ليست له مقومات البيوت ولا إحكام البناء ، فهو نتاج واهن ضعيف ، وكذلك عبادتهم في الضعة الضعف[٥٢٠] .

أما لفظ (الريح) فقد وردت في القرآن الكريم مفردة ، لتدل على العذاب والشر والعقوبة والهلاك في أربعة عشر موضعاً[٥٢١] ، منها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ (آل عمران :من الآية ١١٧) وقال أيضاً : ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ (الإسراء : من

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٤ / ٤٧٢ .
(١) ينظر : أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، د. محمد حسين الصغير : ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٤١٤ ، وينظر غير ما سأذكر : يونس : ٢٢ ، إبراهيم : ١٨ ، الأنبياء : ٨١ ، الحج : ٣١ ، الروم : ٥١ ، الأحزاب : ٩ ، فصلت: ١٦ ، الشورى : ٣٣ ، القمر : ١٩ .

الآية ٦٩) وقال أيضاً : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف : من الآية ٢٤) وقال في سورة الذاريات : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾(الذاريات : ٤١) وقال : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ٦) .

" ولعل السبب في ذلك أن ريح الشر تهب مدمرة عاصفة لا تهدأ ، ولا تدع الناس يهدءون ، فهي لاستمرارها ريح واحدة ، لا يشعر الناس فيها بتحول ولا تغير ، ولا يحسون بهدوء يلم بها ، فهي متصلة في عصفها وشدة تحطيمها ،وذلك مصدر الرهبة منها والفزع ، وأما الرياح التي تحمل الخير فتهب حيناً وتهدأ حيناً؛ لتسمح للسحب أنْ تمطر ، فهي متقطعة تهب في هدوء ، ويشعر المرء فيها بفترات سكون ، وأنها رياح متتابعة " [٥٢٢].

ولم تأت (الريح) في القرآن الكريم مفردة لتدل على الرحمة والخير إلا في موضع واحد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (يونس : من الآية ٢٢) .

فقد وردت بلفظ الإفراد في هذا الموضع وذلك لوجهين[٥٢٣] :

الأول : لفظي : وهو المقابلة ، فإنها ذكرت مقابل ريح العذاب التي لا تكون إلا مفردة .

والثاني : معنوي : وهو أنّ تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها فإنّ السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد ، فإنْ اختلفت عليها الرياح وتصادمت كان سبب الهلاك والغرق . فالمطلوب هناك ريح واحدة ، ولهذا أكد هذا المعنى فوصفها بالطيبة ؛ لإزالة الاشتراك بينها وبين الريح المكروهة ، ودفعاً لتوهم أنْ تكون عاصفة بل هي ريح يُفرح بطيبها .

فضلاً عن ذلك فإنّ ما آلت إليه هذه الريح هو العذاب والهلاك والدمار فكانت هذه الخاتمة خاتمة غير حميدة [٥٢٤] .

(١) من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي : ١٣٩ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١١/٤ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٣٠٠ .

وقد وردت (الريح) مفردة في سياقات أخر، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (يوسف: ٩٤) .

قال يعقوب ـ عليه السلام ـ : إني لأشمُّ رائحة يوسف ، قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف وبينهما مسيرة ثمان ليال[٥٢٥] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨١) .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : إنّ سليمان ـ عليه السلام ـ إذا أراد أن تعصف الريح عصفت ، وإذا أراد أن ترخي أرخيت[٥٢٦] . وذلك قوله تعالى :﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (ص: ٣٦) .

فهذه الريح تجري بأمر سليمان ، مع طاعتها له ، ويكون هبوبها على حسب ما يريد ويحكم : آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة[٥٢٧] .

---

(٣) ينظر : التعبير القرآني : ١٧
(١) ينظر : صفوة التفاسير : ٦٧/٢ .
(٢) ينظر : مجمع البيان : ٩٣/٧ .
(٣) ينظر : تفسير الكشاف : ١٢٧/٣ .

سادساً : الجموع :

يأتي الجمع في العربية على نوعين : جمع سالم ، وجمع تكسير ، فالجمع السالم للمذكر يكون بإلحاق واو ونون في حالة الرفع ، وياء ونون في حالتي النصب والجر على آخر مفرده ، وللمؤنث يكون بإلحاق ألف وتاء على آخر مفرده [٥٢٨] .

وجمع التكسير له أبنية كثيرة تبلغ سبعة وعشرين بناءً[٥٢٩] . وهذه الأبنية تنقسم على نوعين : أبنية تدل على القلة ، وأبنية تدل على الكثرة . وأما أبنية القلة فهي أربعة أبنية قياسية هي : (أَفْعُل) و(أَفْعَال) و(أَفْعِلَة) و(فِعْلَة)[٥٣٠] . أما أبنية الكثرة فأشهرها ثلاثة وعشرون وزناً[٥٣١] .

وقيل : الجمعان مختلفان مبدأ وغاية ، فالقلة من ثلاثة إلى عشرة والكثرة من أحد عشر إلى ما لا نهاية ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه[٥٣٢] . وقيل : إنهما متفقان مبدأً لا غاية ، فالقلة : من ثلاثة إلى عشرة . والكثرة : من ثلاثة إلى ما لا نهاية له[٥٣٣] .

ومما ورد من أبنية القلة في سياق الرحمة وزن (أفعال):

وقد ورد على هذا الوزن دالاً على الرحمة في القرآن الكريم في موضع واحد وهو (أرحام) : جمع (رحم) وهو مستودع الجنين من المرأة[٥٣٤] . قال تعالى :﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ ﴾ (الأنفال : من الآية : ٧٥).

وأما الأبنية الدالة على الكثرة فمنها أبنية قياسية تصل إلى ثلاثة وعشرين بناءً وأُخر سماعية[٥٣٥] . ومما ورد من الأبنية الدالة على الكثرة :

---

(١) ينظر : اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان ابن جني : ٧١ ـ ٧٦ ، شذا العرف في فن الصرف : ١٠٩ ـ ١١٠ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٩٢ ، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، د. عبد المنعم سيد عبد العال : ٧ ، ٢٠ ، صيغ الجموع في اللغة العربية ، باكيزة رفيق : ٧٧ ، ١٥٠ ، معاني الأبنية : ١٢٩ ، الصيغ الإفرادية العربية : ١٩٨ ـ ٢٠٠ .

(٢) ينظر : معاني الأبنية : ١٢٩ .

(٣) ينظر : كتاب سيبويه : ٥٦٧/٣ ، ٦٠٢ـ ٦٠٤ ، كتاب التكملة : ٣٩٩ شرح ابن عقيل : ٥٣٧/١ أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٩٣ ، جموع التصحيح والتكسير : ٤٠ ـ ٤٣ الصيغ الإفرادية العربية : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي : ١١٤ ـ ١١٥ ، الواضح في علم الصرف : ٢٥٤ ـ ٢٥٨ .

(٤) ينظر : التطبيق الصرفي : ١١٥ ـ ١٢٦ .

(٥) كتاب التكملة : ٣٩٩ ، شذا العرف : ١١٢ ، أبنية الصرف : ٢٩٤ .

(٦) ينظر : شذا العرف : ١١٢ .

(١) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١٣٤/٣ .

ـ فُعَلاء : " بضم ففتح ممدوداً ، ويطرد في وصف مذكر عاقل ، على زنة فعيل بمعنى فاعل ، غير مُضعّف ولا معتل اللام ، ولا واويّ العين : نحو كريم وكُرَماء، وظريف وظُرَفاء ، وشذّ أسير وأُسراء ، وقتيل وقُتلاء ؛ لأنهما بمعنى مفعول " [٥٣٦] أي مأسور ومقتول .

أو يأتي هذا البناء جمعاً لما دلّ على سجية مدح أو ذم من (فُعال) بالضم أو (فاعل) كشُجاع وشُجعاء وصالح وصُلحاء وشاعر وشُعراء[٥٣٧] . فهذا الوزن " يدل على السجايا ما كان منها غريزة أو كالغريزة ذلك ؛ لأنه جمع (فعيل) ، و(فعيل) (...) يدل على السجايا والطباع ، ويدخل في هذا الوزن من (فاعل) أو غيره ما دلّ على ذلك " [٥٣٨] .

ومما ورد على زنة (فُعَلاء) دالاً على الرحمة في القرآن الكريم هو (رُحَماء) جمع (رحيم)[٥٣٩] . وذلك في قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : من الآية ٢٩) .

فقد دلّ هذا الجمع (رُحَماء) على سجية غريزية اتصف بها الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه الذين معه من المؤمنين وهي سجية الرحمة والتراحم والتعاطف والتواد فيما بينهم ؛ لأنّ هذه الصفة هي الكفيلة بنصرة الدين الإسلامي .

---

(٢) ينظر : شذا العرف : ١١٦ ـ ١٢٥ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٣١٩ ـ ٣٢٨ ، صيغ الجموع في العربية : ١٣٣ ـ ١٦٠ ، الصيغ الإفرادية العربية : ٢٠٣ ـ ٢١٢ ، التطبيق الصرفي : ١١٥ ـ١٢٦ ، الواضح في علم الصرف : ٢٥٨ ـ٢٧٨ .

(٣) شذا العرف : ١٢١ ، معاني الأبنية : ١٦٥ .

(٤) ينظر : معاني الأبنية : ١٦٥ .

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٦) ينظر : إعراب القرآن (النحاس) : ١١٧/١ ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني : ٢/ ٣٢٥ , روح المعاني : ١٣ /٢٧٦ .

المستوى النحوي

هو المستوى الذي يعتمد على نظام الجملة ، ومنه يُستمد المعنى ، وسماه ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) الدلالة المعنوية [٥٤٠] .

ويختص هذا المستوى بدراسة التراكيب ، وما يميّزها من خصائص ، فهو لا يقتصر على البحث في الإعراب ومشكلاته ، وإنما يتناول قضايا أُخرى تخصُّ التركيب ، كمواقع الألفاظ وعلاقاتها مع غيرها في السياق ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بنظم الكلام وتأليفه [٥٤١] .

وسأقصر الدراسة في هذا الفصل على أبرز ما يرد من دلالات نحوية تتعلق بما يظهر في سياق النظم القرآني المتضمن للرحمة والغفران ، وسأبدأ بالأساليب النحوية الواردة في ذلك السياق .

(١) ينظر : الخصائص : ١٠٠/٣ .
(٢) ينظر : دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ، د. كمال بشر : ١١ .

أولاً : الأساليب النحوية :

أ- أسلوب التوكيد :

التوكيد : " لفظ يُرادُ به تمكين المعنى في النفس ، أو إزالة الشك عن الحديث أو المُحدَّث عنه " [٥٤٢]. والغرض منه : إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك وإماطة ما خالجه من شبهات [٥٤٣].

وينقسم التوكيد على قسمين [٥٤٤]:

الأول : التوكيد اللفظي : ويكون بتكرار اللفظ المراد توكيده . والثاني التوكيد المعنوي : وهو على ضربين : الأول : ما يرفع توهُّم مضاف إلى المؤكد ، وله لفظان (نفس وعين) . والثاني : ما يرفع توهُّمَ عدم إرادة الشمول والمستعمل لذلك (كلّ ، وكلا ، وكلتا ، وجميع) .

وقد عُني النحاة بهذين النوعين عناية كبيرة ، في حين لم يولوا التوكيد بالحروف عناية تُذكر ضمن الباب المخصص للتوكيد[٥٤٥] .

وحروف التوكيد كثيرة ، منها ما هو مختص بالاسم نحو: (إنّ واللام) ، ومنها ما هو مختص بالفعل كـ(نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة) ، ومنها ما هو مشترك بينها كأدوات القصر نحو: (إنما) [٥٤٦].

ومما جاء مؤكداً بالحروف في وصفه تعالى بالرحمة والغفران قوله تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩)

---

(١) المقرب : ٢٦١ ، شرح جمل الزجاجي ، ابن عصفور الأشبيلي : ٢٦٢/١ .
(٢) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي : ٢٥٢ .
(٣) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤١٧/١-٤١٨.
(٤) ينظر : اللمع في العربية : ١٦٦-١٦٨ ، شرح قطر الندى وبل الصدى : ٣٢٢-٣٢٦ .
(٥) ينظر : شرح المقدمة المحسبة ، طاهر بن بابشاذ : ٢١٦/١ - ٢٤٢ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري : ٤٠٦/١ -٤٠٨ .

فلما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظٍ ثلاثة : أولها : قوله (أني) وثانيها : (أنا) ، وثالثها : إدخال حرف الألف واللام على قوله ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ولما ذكر العذاب ، لم يقل إني أنا المُعذِّب ، وما وصف نفسه بذلك بل قال : ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ ﴾ (الحجر : ٥٠) ، وكلُّ ذلك يدل على تغليب جانب المغفرة والرحمة من الله تعالى على جانب العذاب ، وهذا يدلُّ على أنّ الرحمة تغلب الغضب ؛ لأن رحمته تعالى سبقت غضبه(٥٤٧) ، وفي وصف ذاته تعالى بالمغفرة والرحمة على وجه القصر ﴿ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ من دون التعذيب إيذان بأنهما مما تقتضيهما الذات(٥٤٨) .

فتأكيد الجملتين بالاسمية و(إنّ وضمير الفصل) ، و(الألف واللام) في الخبر يدل على أنّ المغفرة والرحمة بالغتان في معناهما النهاية ، بحيث لا تُقدَّران بقدر ولا يُقاس بهما غيرهما ، فما من مغفرة أو رحمة إلا ويمكن أن يُفرض لها مانع يمنع من إرسالها أو مقدِّر يقدرها ويحدها ، لكنه سبحانه يحكم لا مُعقِّب لحكمه ولا مانع يقاومه ، فلا يمنع من إنجاز مغفرته ورحمته شيء ولا يحدّهما أمر ، إلا أنْ يشاء ذلك هو جلّ وعز ، فليس لأحد أنْ ييأس من مغفرته أو يقنط من رحمته (٥٤٩).

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ۞ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ۞ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ١٢٧ ـ ١٢٩) وقال أيضاً : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النساء : من الآية ٢٥) وقال أيضاً : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٤٩/١٩ ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن : ٥٨/٣ ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد محمد الصاوي : ٢٤٩/٢ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٨٠/٥ .
(٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧٨/١٢ .

كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة : ٧٣ - ٧٤) .

ففي الآيات السابقة لم يؤكد المغفرة بل قال : ﴿ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ في حين قال : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ۞ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : من الآية ١٩٨ والآية ١٩٩) وقال : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٨٢) بتوكيد المغفرة فيهما إذ قال : ﴿ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فما السر في ذلك ؟

الجواب : وذلك لأنّ المقام في آيات آل عمران هو إذلال الكافرين وكبتهم وقطع طرف منهم حتى قيل للرسول ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، فلا يناسب ذلك توكيد المغفرة. ومثله ما جاء في سورة النساء ، فهو في سياق إقامة الحد على من يأتي الفاحشة فهذا المقام ليس مقام توكيد المغفرة أيضاً بخلاف آية البقرة الواردة في سياق الحج وفي مناسكه وشعائره فقد قال : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة : من الآية ١٩٨)

فإنّ هذا المقام أولى المقامات بتوكيد المغفرة ، كيف لا وقد أخبر الصادق الأمين بأن من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، وأنّ الله تعالى يُباهي الملائكة بأهل عرفة ، ويُشهدهم على أنه قد غفر لهم [٥٥٠].

(١) ينظر : التعبير القرآني : ١٢٤ .

أما ما جاء في سورة المائدة فإنها في سياق التهديد للذين يقولون إنّ الله ثالث ثلاثة ، وقد توعدهم بأنهم إن لم ينتهوا عما يقولون فسيمسهم عذاب أليم ثم دعاهم إلى التوبة عن القول بذلك ، فالمقام مقام تهديد وتوعد وليس مقام توكيد المغفرة[٥٥١].

بخلاف قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٨٢) " فالمقام هنا مقام الإصلاح وحفظ الموصي من أن يقع في جنف أو إثم . أفترى أنّ الذي يسعى في هذا لا يستحق توكيد المغفرة ! " [٥٥٢] فالحق أنه يستحق توكيد المغفرة .

ومن ذلك أيضاً ما جاء مؤكداً بـ (إنّ واللام) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام : من الآية١٦٥) .

فـ" لما كانت جهة الرحمة أرجى ، أكّد ذلك بدخول اللام في الخبر" [٥٥٣] ترجيحاً للغفران والرحمة على العقاب[٥٥٤] ، بخلاف (سريع العقاب) ، فلم يؤكده باللام ؛ لئلا يتعادل الإخبار بالوصفين .

ففي الآية السابقة قد " وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه ، ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليها الوصف بالرحمة ، وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيهاً على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض ، كثير الرحمة مبالغ فيها ، كثير العقوبة مسامح فيها " [٥٥٥].

ب ـ أسلوب الشرط :

---

(١) ينظر : التعبير القرآني : ١٢٤ .
(٢) المرجع نفسه : ١٢٥ .
(٣) تفسير البحر المحيط : ٣٤٠/٤ .
(٤) ينظر : أسرار التكرار : ٧٧ .
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٣٠/١ ، وكان الأصوب أن يقول : سريع العقوبة مسامح فيها؛ ليناسب النص القرآني .

الشرط : " هو تعليق حصول مضمون جملة هي جملة جواب الشرط بحصول مضمون جملة أخرى هي جملة الشرط " [٥٥٦] .

فهو أسلوب لغوي يربط بين جملتين ، بأداة من أدوات الشرط ، وتُسمّى الأولى جملة الشرط ، وهي تنزل منزلة السبب ، والثانية جملة جواب الشرط أو جملة الجزاء ، وهي تنزل منزلة المُسبب ، ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول ، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول ؛ لأنّ وجود الثاني معلق على وجود الأول ، فجملة الشرط إذن تتألف من عبارتين ، لا استقلال لإحداهما عن الأخرى ، ولا يمكن عدُّ إحدى جملتي الشرط جملة ، كما يُراد من مفهوم الجملة ؛ لأنها لا تُعبر عن فكرة تامة ولا تفيد إفادة يحسن السكوت عليها [٥٥٧].

وأدوات الشرط تنقسم على ثلاثة أقسام هي[٥٥٨] : حروف وهما : (إن) و(إذما) وأسماء هي : (من ، وما ، ومهما ، وأي ، وأيّما ،) ، وظروف هي : (أيّ حين متى ، وأين ، وأنّى ، وحيثما ، وأينما) ، فضلاً عن أدوات الشرط غير الجازمة وهي : (إذا ، ولو ، ولولا ، وكلّما، وأمّا ، ولمّا) .

ومما ورد من أسلوب الشرط في سياق الرحمة قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (يونس : ٢١) .

قال الزجاج : (إذا) في قوله : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ للشرط ، و(إذا) في قوله ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ ﴾ جواب الشرط ، والمعنى : إذا أذقنا الناس رحمة مكروا واعلم أنّ (إذا) في قوله : ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ ﴾ تفيد المفاجأة ، وهي ظرف مكان ومعناه : أنهم في الحال أقدموا على المكر وسارعوا إليه[٥٥٩] . فما " كان منهم إلا أنهم بادروا إلى المكر ، وأسرعوا بالمفاجأة به في مقام الشكر ، فإذا كانت الرحمة مطراً أحيا الأرض ، وأنبت الزرع ، ودرّ به الضرع بعد

---

(١) شرح الحدود النحوية ، جمال الدين عبد الله أحمد بن علي الفاكهي : ١٩٥ .
(٢) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٠٧ ـ ٣١٠ ، ألفاظ السلوك الخلقي في القرآن الكريم : ١١٩ .
(٣) ينظر : كتاب سيبويه : ٥٦/٣ ـ٦٣ ، الكامل في اللغة والأدب : ٢٤٩/١ ، كتاب الواضح في النحو ، أبو بكر محمد بن الحسين : ١٠٦ ، اللمع في العربية : ٢٢٧ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري : ٣٨٠/١ ـ٣٨٧ ، شرح الحدود النحوية : ١٩٥ .
(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج : ٣/ ١١ ، مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب : ١/ ٣٤١ ، مجمع البيان : ١٥٢/٥ ، التفسير الكبير : ٢٣١/١٧ ـ٢٣٢ .

جدب وقحط أهلك الحرث والنسل ، قالوا : مطرنا بالأنواء ، وإذا كانت نجاة من هلكة وأعوزتهم أسبابها عللوها بالمصادفات ، وإذا كان سببها دعاء نبيهم أنكروا إكرام الله له وتأييده بها " [٥٦٠] .

ويدل تخصيص الإذاقة بجانب الرحمة على أنّ الكثير من الرحمة قليل بالنسبة إلى رحمة الله تعالى الواسعة [٥٦١] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (الروم : ٣٦) .

جاء في تفسير الميزان : " وإذا الأولى شرطية ، والثانية فُجائية ، والمقابلة بين (إذا) في إذاقة الرحمة و(إنْ) في إصابة السيئة ؛ لأنّ الرحمة كثيرة قطعية ، والسيئة قليلة احتمالية ، ونسبة الرحمة إليه تعالى دون السيئة ؛ لأنّ الرحمة وجودية مفاضة منه تعالى ، والسيئة عدمية هي عدم الإفاضة ، ولذا عللها بقوله ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وفي تعليل السيئة بذلك ، وعدم التعليل في جانب الرحمة بشيء إشارة إلى أنّ الرحمة تفضل " [٥٦٢] ، والمعنى أنّ الله تعالى متفضّل على عباده برحمته الكثيرة المقطوع بها في مقابل ما يصيب العباد من سيئة محتملة لا قطعية لاسيما أنه تعالى عبّر عن الرحمة بـ(أذقنا) فأسند الفعل إليه جل وعلا في حين قال في التعبير عن السيئة (تصبهم) إشارة إلى أنه تعالى مصدر الرحمة ، وأنّ العباد مصدر ما يصيبهم من مكروه .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١١ /٢٨٨ .
(٣) ينظر : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري : ٥٧١/٣ .
(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٨٩/١٦ .

ت: أسلوب الاستثناء :

الاستثناء لغة : استفعال من الثني ، بمعنى العطف ؛ لأنّ المستثنى معطوف عليه بإخراجه عن حكم المستثنى منه أو بمعنى الصرف ؛ لأنه مصروف عن حكم المستثنى منه[٥٦٣] . أما في الاصطلاح فهو : " المُخْرج تحقيقاً أو تقديراً بـ(إلا) أو إحدى أخواتها من مذكور أو متروك بشرط الفائدة "[٥٦٤] وتُعدّ (إلا) أم حروف الاستثناء ، وهي أصل أداوت الاستثناء ، وهي المستولية على هذا الباب[٥٦٥] . وأدوات الاستثناء على ثلاثة أقسام: أسماء في موضع الاستثناء وهما : غير وسوى ، وأفعال في موضع الاستثناء وهي : لا يكون ، وليس ، وعدا ، وخلا وحروف وهي التي تجر ما بعدها وهما : حاشا وخلا[٥٦٦] .

فالاسمان الواقعان بعد (خلا وحاشا) يجوز نصبهما على أنّ (خلا وحاشا) فعلان ، ويجوز جرهما على أنهما حرفا جر ، فهما فعلان إن نصبا ، وحرفان إن جرّا [٥٦٧].

ويتكون هذا الأسلوب من ثلاثة أركان هي : المستثنى منه ، مذكوراً أو مقدراً وأداة الاستثناء ، والمستثنى ، وبناءً على ذلك يكون أسلوب الاستثناء ثلاثة أنواع هي[٥٦٨] :

١ـ استثناء تام متصل : وهو ما كان المستثنى فيه من جنس المستثنى منه ، وكان المستثنى منه مذكوراً في الكلام .

فإن كان مثبتاً وجب نصب الاسم الواقع بعد (إلا) على الاستثناء ، أما إذا كان منفياً جاز النصب على الاستثناء ، وجاز إتباعه لما قبله (المستثنى منه) في الإعراب ، بدل بعض عند البصريين وعطف نسق عند الكوفيين .

٢ـ استثناء منقطع : وهو ما كان فيه المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ،وكان المستثنى منه موجوداً في الكلام ، فالمستثنى هنا واجب النصب ، سواء أكان الكلام مثبتاً أم منفياً .

٣ـ استثناء مُفرّغ : وهو ما حُذِف فيه المستثنى منه ، ولا يقع في كلام موجب ويعرب الاسم الواقع بعد (إلا) بحسب موقعه في ا لجملة .

---

(١) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، محمد بن علي الصبان : ١٤١/٢ ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : ٢٠١/١ .
(٢) شرح الحدود النحوية : ١٧٣ ـ١٧٤ .
(٣) ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش : ٧٧/٢ .
(٤) ينظر : الأصول في النحو ، ابن السراج : ٣٤٦/١ ـ ٣٥٢ .
(٥) ينظر : شرح ابن عقيل : ٢٩٩/١ـ ٣٠٠ .
(٦) ينظر : شرح المقدمة المحسبة : ٣٢٠/٢ ـ٣٢٤ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه : ٣١٥/١ ـ٣٢٢ ، شرح المفصل : ٧٧/٢ ـ ٨١ ، شرح ابن عقيل : ٢٨٧/١ ـ ٢٩١ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٥٣/٢ ـ٢٦١ ، شرح الحدود النحوية : ١٧٤ ـ ١٧٥ .

ومما ورد من الاستثناء قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٣)

فـ ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾ استثناء ، وفيه وجهان[٥٦٩] :

الوجه الأول : أنه استثناء متصل : وفي تقديره وجهان :

أحدهما : أنْ يكون قوله (إلا ما رحم ربي) بمعنى إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة أو إلا النفس التي رحمها ربي فلا تأمر بالسوء ، فيكون استثناء من الضمير المستكن في (أمارة) ، والثاني أولى ؛ لأنه أراد الجنس بقوله (إنّ النفس) ، ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمارة المحذوف ، إذ التقدير : لأمارةٌ بالسوء صاحبَها إلا الذي رحمه ربي فلا تأمرُه بالسوء .

والآخر : (إلا ما رحم ربي) : أي إلا وقت رحمة ربي وعصمته ، يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقتٍ وأوان ، إلا في وقت مخصوص وهو وقت رحمة الله وهو وقت العصمة فتكون (ما) مصدرية ظرفية زمانية .

والوجه الثاني : أنه استثناء منقطع ، بمعنى : ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ (هود : من الآية ٤٣) .

فـ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ استثناء ، وفيه أربعة أوجه :

الأول : أن تكون (من) في موضع رفع على البدل من موضع عاصم ، والمعنى : لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله ، وقيل : إلا الراحم وهو الله تعالى ، ويحسن هذا ؛ لأنك لم تجعل عاصماً بمعنى معصوم فتخرجه من بابه ، وكذلك يحسن هذا ؛ لأنّ تخريج

(١) ينظر : تفسير الكشاف : ٤٦٢/٢ ، تفسير جوامع الجامع : ٢٢٥/٢ ، التفسير الكبير : ٤٧٠/١٨ ـ٤٧١ التبيان في إعراب القرآن : ٧٣٥/٢ ، تفسير البحر المحيط : ٤١٣/٥ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٨٧/١ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ١٢٢/٢ ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٢٢/٥ ، روح المعاني : ٤/٧ـ٥ ، دراسات لأسلوب القرآن ، محمد عبد الخالق عضيمة : ١٤٢/٣ ، من بديع لغة التنزيل : ١٧١ .

معناه يكون في الأفصح الأشهر من كلام العرب وهو ما قلناه من أنّ معنى ذلك : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه وهو الله تعالى ، كما يقال : لا منجي اليوم من عذاب الله إلا الله ، أو يكون معناه : لا مانع اليوم من أمر الله الذي نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمنا فأنقذنا منه ، أي إلا الذي رحمنا فأنقذنا منه ، وهو الله تعالى ، والاستثناء على هذا التأويل متصل [٥٧٠].

وجاء في التفسير الكبير : " إنه تعالى قال قبل هذه الآية : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(هود :٤١) فبين أنه تعالى رحيم وأنه برحمته يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الغرق" [٥٧١].

وإذا عرفت هذا فنقول : إنّ ابن نوح ـ عليه السلام ـ لما قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال نوح ـ عليه السلام ـ : أخطأت ﴿ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ والمعنى : إلا ذلك الذي ذكرت أنه برحمته يخلص هؤلاء من الغرق فصار تقدير الآية : لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم ، وتقديره : لا فرار من الله إلا إلى الله وهذا التأويل في غاية الحسن [٥٧٢].

والثاني : (من) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، و(عاصم) على بابه وتقديره : لا أحد يمنع من أمر الله لكن من رحم الله فإنه معصوم أو من رحم الله يعصم أو على تقدير : لا عاصم اليوم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو معصوم أو فهو يعصمه ، قاله سيبويه والزجاج[٥٧٣] .

والثالث : أن تكون (من) في موضع رفع على البدل من موضع عاصم ، وذلك على تقدير أن يكون عاصم بمعنى معصوم ، فيكون التقدير : لا معصوم من أمر الله اليوم إلا

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٥/١٢ ـ٥٦ ، إعراب القرآن ، النحاس : ٩٣/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٣٦٦/١ ، مجمع البيان : ٢٤٦/٥ ، التبيان في إعراب القرآن : ٧٠٠/٢ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ١٠٦/٢ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٦٣٧/٢ .
(٢) التفسير الكبير : ٣٥٢/١٧ .
(١) ينظر : التفسير الكبير : ٣٥٢/١٧ ، الاستثناء ودلالته في سورة هود ، د. رحيم جبر الحسناوي : ٥٢ .
(٢) ينظر : كتاب سيبويه : ٣٢٥/٢ ، الأصول في النحو : ٣٥٤/١ ، معاني القرآن ، النحاس : ٣٥٣/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٣٦٦/١ ، مجمع البيان : ٢٤٦/٥ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٧٠٠ ، الجامع لإحكام القرآن : ٢٩/٩ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ١٠٦/٢ ، معترك الأقران : ٦٣٧/٢ .

المرحوم ، فقد يأتي فاعل بمعنى مفعول[٥٧٤] . كقوله تعالى:﴿مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾ (الطارق : من الآية ٦) أي مدفوق ، وقال عز وجل أيضاً : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ٢١ ، القارعة : ٧) أي مرضية ، والاستثناء على هذا الوجه متصل .

والرابع : أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة على النسب ، كما قالوا لذي الرمح رامح ولذي اللبن لابن ، والاستثناء على هذا الوجه متصل[٥٧٥] .

قال الزمخشري في تفسيره : " ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ ، إلا الراحم وهو الله تعالى ، أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله ، أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين ، وكان لهم غفوراً رحيماً في قوله : ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (هود : من الآية ٤١) ، وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء ، قال له : لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه ، سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة ، (...) وقيل : ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ استثناء منقطع ، كأنه قيل : ولكن من رحمه الله فهو المعصوم " [٥٧٦].

ويرى أحمد الاسكندري أنّ " الاحتمالات الممكنة أربعة : لا عاصم إلا راحم ، ولا معصوم إلا مرحوم ، ولا عاصم إلا مرحوم ، ولا معصوم إلا راحم ، فالأولان استثناء من الجنس ، والآخران من غير الجنس ، وزاد الزمخشري خامساً ، وهو لا عاصم إلا مرحوم على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره : لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم ، والمُراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل ، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة ، والكل جائز " [٥٧٧].

---

(٣) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٩٣/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٣٦٦/١ ، مجمع البيان : ٢٤٦/٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٩/ ٢٩ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٧/ ٣٥٢ ، التبيان في إعراب القرآن : ٧٠٠/٢ .

(١) تفسير الكشاف : ٣٨١/٢ ـ٣٨٢ ، وينظر : الاستثناء ودلالته في سورة هود : ٥٠ .

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (بحاشية تفسير الكشاف) : ٣٨١/٢ ـ ٣٨٢ ، وينظر : الاستثناء ودلالته في سورة هود : ٥١ .

ثانياً ـ دلالة التنكير والتعريف :

تُعرف النكرة بأنها : التي لا تدل على واحد بعينه ، أو هي التي ليس لها دلالة معينة ، بخلاف المعرفة التي تدلُّ على واحد بعينه أو التي لها دلالة معينة[٥٧٨].

فالمعرفة تدل على ما هو محدد معلوم بخلاف النكرة .

أ ـ النكرة : " ما لم تخصّ واحداً من جنسه نحو : رجل وغلام " [٥٧٩] ، والتنكير له دلالات وأسباب ، فقد يدل التنكير على الإفراد ، وقد يدل على التفخيم والتعظيم وقد يدل على التكثير ، وقد يدل على التقليل والتحقير ، وقد يدل على الإشاعة والإبهام ، وقد يدل على الكمال[٥٨٠] .

١ـ دلالة التنكير على الإشاعة والإبهام :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (فاطر : من الآية ٢) .

يعني : " أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يُحاط بعددها . وتنكيره الرحمة للإشاعة والإبهام ، كأنه قال : من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية " [٥٨١]، دنيوية أو أُخروية [٥٨٢].

ففي اختيار لفظ الفتح إشارة إلى أنّ الرحمة من أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون ، وأعزها مثالاً ، وتنكيرها للإشاعة والإبهام ، أي : أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته ، أية رحمة كانت من نعمة أو صحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك ، مما لا يُحاط به[٥٨٣] .

٢ـ دلالة التنكير على التفخيم والتعظيم :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران : من الآية ٨) .

---

(١) ينظر : تجديد النحو ، د. شوقي ضيف : ٨٨ .
(٢) اللمع في العربية : ١٨٥ .
(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢٩١/٢ـ ٢٩٢ ، معاني النحو ، د. فاضل السامرائي: ٤٢/١ ـ ٤٣ ، دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني ، شعلان عبدعلي (رسالة ماجستير) : ٩٢ ـ ٩٩ .
(٤) تفسير الكشاف : ٥٧٨/٣ ـ ٥٧٩ ، الفتوحات الإلهية : ٤٨٤/٣ .
(٥) ينظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ٢٧٣/٣ .
(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/١٤ ، إرشاد العقل السليم : ١٤٢/٧ ، روح المعاني : ١١/ ٣٣٨ .

" وإنما قال : (رحمة) ليكون ذلك شاملاً لجميع أنواع الرحمة ، (...) ولما كان هذا المطلوب في غاية العظمة بالنسبة إلى العبد ، لا جرم ذكرها على سبيل التنكير ، كأنه يقول : أطلب رحمةً وأية رحمة ، أطلبُ رحمة من لدنك ، وتليق بك ، وذلك يوجب غاية العظمة" [٥٨٤].

فالتنكير هنا للتعظيم : أي رحمة عظيمة واسعة [٥٨٥].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٣)

فقد أشار الرازي إلى أنّ الله تبارك وتعالى قد " ذكر المغفرة على سبيل التنكير ،والمراد منه المغفرة العظيمة المُتناهية في العظم ، وذلك هو المغفرة الحاصلة بسبب الإسلام " [٥٨٦] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (آل عمران : ١٥٧) .

قال السيد عبد الأعلى السبزواري - رحمه الله - : " والتنوين في (لمغفرة ورحمة) للتنكير ، ولبيان عدم حد المغفرة والرحمة ، وليذهب ذهن المخاطب إلى أي مذهب ممكن في تعظيمها وتفخيمها" [٥٨٧].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة : ٢١) .

فـ " نكر الرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم ، أي : رحمة لا يبلغها وصف واصف " [٥٨٨] فالتنكير في الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم والتفخيم ، والمعنى : إنها فوق وصف الواصفين وتصوّر المُتصوّرين[٥٨٩] .

---

(١) التفسير الكبير : ١٥٠/٧ .
(٢) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٢٨٨/١ .
(٣) التفسير الكبير : ٣٦٥/٩ .
(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ٤٣٣/٦ .

٣ـ دلالة التنكير على الكمال :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٧٤) .

جاء في التفسير الكبير : " وتنكير لفظ المغفرة يدل على الكمال ، (...) والمعنى : لهم مغفرة تامة كاملة عن جميع الذنوب والتبعات " [٥٩٠] .

ويرى صاحب تفسير المنار ـ رحمه الله ـ أنّ التنكير هنا للتعظيم إذ قال : "وتنكير مغفرة لتعظيم شأنها ، بدليل ما ذكر من أسبابها قبلها ، ومن وصف الرزق بعدها بكونه كريماً : أي لهم مغفرة من ربهم تامة ماحية لما فرط منهم ، كأخذ الفداء من الأسرى يوم بدر ، ورزق كريم في دار الجزاء ، أي رزق حسن شريف بالغ درجة الكمال في نفسه وفي عاقبته " [٥٩١] وإذا كانت هذه المغفرة تامة ماحية لما فرط منهم كما ذكر ، فإنها تدل على الكمال ، وكذلك تدل على التعظيم ؛ لأنها مغفرة من ربهم .

٤ـ دلالة التنكير على النوع : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾ (الأعراف: من الآية ٧٢) .

فتنكير الرحمة هنا " للدلالة على النوع ، أي بنوع من الرحمة ، وهي الرحمة التي تختص بالمؤمنين من النصرة الموعودة لهم " [٥٩٢] قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٧)

ذهب أبو السعود إلى أنها للتعظيم ، أي برحمة عظيمة لا يُقدّر قدرها [٥٩٣].

---

(١) تفسير البحر المحيط : ٢٨/٥ ، صفوة التفاسير : ٥٢٧/١ .
(٢) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٣٢٩/٢ .
(٣) التفسير الكبير : ٥١٩/١٥ ، وينظر : لُباب التأويل في معاني التنزيل : ٣٣٠/٢ .
(٤) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ٩٩/١٠ ، وفَرَط منهم : بمعنى سبق منهم .
(١) الميزان في تفسير القرآن : ١٨٣/٨ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٤٠/٣ .

ب ـ المعرفة : " المعرفة ما خصّ الواحد من جنسه " [٥٩٤] .

والمعارف عند سيبويه خمسة أشياء : " الأسماء التي هي أعلام خاصة والمضاف إلى المعرفة ، والألف واللام ، والأسماء المبهمة ، والإضمار " [٥٩٥] فالإضافة هي إحدى وسائل التعريف ، قال ابن السراج : " والنكرة إذا أُضيفت إلى معرفة صارت معرفة نحو : غلام زيد " [٥٩٦].

فالإضافة تركيب نحوي يهدف إلى تعريف المضاف بالمضاف إليه إن كان معرفة ، وتخصيصه إن كان نكرة ، وللإضافة أغراض متعددة ، فقد تكون الإضافة لتشريف المضاف ، وقد تأتي لتحقيره ، وقد تأتي لتهويله [٥٩٧].

وما ورد معرفاً بالإضافة في سياق الرحمة والغفران قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ (الفرقان : ٦٣) .

والمراد بـ ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ أفاضل عباده ، وإضافتهم إليه تعالى للتشريف والتقريب وإلا فكل المخلوقات عباد الله [٥٩٨]. ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يُشرف نبينا محمداً ـ ﷺ ـ ويقربه إليه ليلة الإسراء أضافه إليه وذلك في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (الإسراء : من الآية ١)

وفي قوله ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ مدح وثناء على عباده المطيعين المؤمنين وتوبيخ وتحقير لأولئك المتكبرين المتجاهلين ، المنحرفين عن الطريق السليم الذي رسمه واختطه الله لهم .

---

(٣) اللمع في العربية : ١٨٦ ، أسرار العربية ، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري : ١٧٥ .
(٤) كتاب سيبويه : ٥/٢ ، المقرب : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .
(٥) الأصول في النحو : ٣/٢ .
(٦) ينظر : دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني : ١٤٠ـ١٤٢ .
(١) ينظر : مجمع البيان : ٢٧٩/٧ ، الجامع لأحكام القرآن : ٤٧/١٣ ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ٧٦/٣ ، تفسير ابن باديس ، العلامة عبد الحميد بن باديس : ٣١٦ ـ ٣١٧ .

ومن الدلالة النحوية للضمائر في سياق النظم القرآني ما دُرس في معاني النحو بعنوان (الالتفات) ، ولنا وقفة قصيرة مع الالتفات ؛ لتعلقه بدلالة الضمير النحوية .

الالتفات :

الالتفات لغة : يقال : لفتَهُ عن كذا : صرفه عنه ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ (يونس : من الآية ٧٨) أي تصرفنا ، ومنه التفت فلان : إذا عدل عن قبله بوجهه [٥٩٩].

واصطلاحاً : هو أن يعدل من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى التكلم [٦٠٠]. أو هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها ، بعد التعبير بالأول ، بشرط كون المنتقل إليه والمنتقل عنه شيء واحد ، وله فوائد منها : البعث على الإصغاء وتطرية الكلام ، واستدرار السامع وتجديد لنشاطه ، وصيانة السمع عن الضجر والملل بدوام الأسلوب الواحد على سمعه ؛ لما جُبلت عليه النفوس من حبِّ التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد[٦٠١] .

وجاء في جواهر البلاغة : " الالتفات : هو الانتقال من كلٍّ من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه ، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات ، تفنناً في الحديث ، وتلويناً للخطاب ، حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة ، وتنشيطاً وحملاً على زيادة الإصغاء ، فإنّ لكل جديد لذة ، ولبعض مواقعه لطائف ، ملاك إدراكها الذوق السليم " [٦٠٢] .

والعرب يستكثرون من الالتفات ، ويرون أنّ الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان أدخل في القلب عند السامع ، وأملأ باستدرار إصغائه[٦٠٣] .

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٧٤٣ (لفت) .
(٢) ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين الزملكاني : ٣١٣ .
(٣) ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ٣١٤ ، البرهان في علوم القرآن : ٣١٤/٣ ، الإتقان في علوم القرآن : ٢٥٣/٣ ، تيجان البيان في مشكلات القرآن ، محمد أمين العمري : ٤٩ ـ ٥٠ ، دراسات قرآنية في جزء عم ، د. محمود أحمد نحلة : ١٤٦ .
(٤) جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي : ٢٠٧ .
(٥) ينظر : من أساليب التعبير القرآني ، د. طالب محمد الزوبعي .

ومن صور العدول إلى الالتفات الواردة في سياق الرحمة والغفران[٦٠٤] :

١ـ عدول من التكلم إلى الغيبة : ويتم بالانتقال من الإضمار إلى الإظهار ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣) .

كان القياس أن يقول : (لا تقنطوا من رحمتي) لكنه ترك هذا اللفظ وقال :﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ " لأنّ قولنا (الله) أعظم أسماء الله وأجلها ، فالرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل " [٦٠٥].

جاء في تفسير البحر المحيط : " وإضافة الرحمة إلى الله التفات من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ؛ لأنّ في إضافتها إليه سعة للرحمة ، إذا أُضيف إلى الله الذي هو أعظم الأسماء " [٦٠٦].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف : من الآية ٣٢) .

فالالتفات إلى الغيبة في قوله : ﴿ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ولم يقل : (رحمتنا) ؛ للدلالة على اختصاص النبي محمد ـ ﷺ ـ بعناية الربوبية في النبوة والرسالة ، بأنها نعمة ورحمة خاصة لا يملكونها [٦٠٧].

فـ " لفت القول عن إفراد الضمير إلى صفة الرحمة المضافة إلى النبي ـ ﷺ ـ تشريفاً له وإظهاراً لعلي قدره " [٦٠٨] وتفخيماً لشأنه وبياناً لعلو مكانته ومنزلته ، وأنها دائماً مع الرب جلّ جلاله .

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
(٢) التفسير الكبير : ٤٦٥/٢٧ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٤٦١/٦ .
(٣) تفسير البحر المحيط : ٥٧٧/٧ .
(٤) ينظر : تفسير البصائر ، رستكار الجويباري : ١٥٨/٣٧ ، الميزان في تفسير القرآن : ٩٩/١٨ ـ ١٠٠.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٤/٧ .

٢ـ عدول من الخطاب إلى الغيبة : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (النساء : من الآية ٦٤) .

قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ولم يقل : واستغفرتَ لهم ، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات ؛ تفخيماً لشأن رسول الله ـ ﷺ ـ وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبيهاً على أنّ شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان ،وفي حيز القبول[٦٠٩] : " وإنما قرن استغفارهم الذي هو عنوان توبتهم باستغفار الرسول ـ ﷺ ـ ؛ لأنّ ذنبهم هذا لم يكن ظلماً لأنفسهم فقط ، ولم يتعدَ شيء منه إلى الرسول فيكفي فيه توبتهم ، بل تعدّى إلى إيذاء الرسول من حيث إنه رسول ، له وحده الحق في الحكم بين المؤمنين به ، فكان لابدَّ في توبتهم وندمهم على ما صدر منهم أن يُظهروا ذلك للرسول ليصفحَ عنهم فيما اعتدوا به على حقه ، ويدعو الله تعالى أن يغفر لهم إعراضهم عن حكمه " [٦١٠] .

ثالثاً ـ دلالة الحذف والتقدير :

الحذف : " باب دقيقُ المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيهٌ بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ " [٦١١].

وللحذف أنواع ذكرها ابن جني في (باب في شجاعة العربية) منها : حذف المبتدأ ، وحذف الخبر ، وحذف المضاف ، وحذف المضاف إليه ، وحذف الصفة ، وحذف الموصوف ، وحذف المفعول به ، وحذف المستثنى [٦١٢].

وللحذف أسبابٌ توجبه منها : " مجرد الاختصار ، والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، نحو : الهلال والله ، أي هذا ، (...) ومنها التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن

(١) ينظر : تفسير الكشاف : ٥١٧/١ ، تفسير جوامع الجامع : ٤١٣/١ ، البرهان في علوم القرآن : ٣٢٨/٣ ، إرشاد العقل السليم : ١٩٧/٢ ، تفسير محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي : ١٩٩/٣ ، صفوة التفاسير : ٢٨٧/١ ، من بلاغة القرآن : ١١٠ .
(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار) : ١٩٠/٥ ـ ١٩١ .
(١) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .
(٢) ينظر : الخصائص : ٣٦٢/٢ ـ ٣٧٥ .

الإتيان بالمحذوف ، ومنها التفخيم والإعظام ، (...) ، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في كلامهم " [٦١٣].

وللحذف سبعة شروط هي[٦١٤] :

١ـ وجود دليل حالي كقولك لمن رفع سوطاً : زيداً ، بإضمار اضرب .

٢ـ ألا يكون ما يُحذف كالجزء ، فلا يُحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه ، وهو اسم كان وأخواتها .

٣ـ ألا يكون مؤكداً ؛ لأنّ المؤكّد مريدٌ للطول ، والحاذف مريد للاختصار .

٤ـ ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ، فلا يُحذف اسم الفعل دون معموله لأنه اختصار للفعل .

٥ـ ألا يكون عاملاً ضعيفاً ، فلا يُحذف الجار والجازم والناصب للفعل .

٦ـ ألا يكون عوضاً عن شيء ، فلا تُحذف (ما) في أمّا أنت منطلقاً انطلقت .

٧ـ ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان أعمال العامل القوي ، ومما ورد من الحذف في سياق الرحمة والغفران ما يأتي :

أـ حذف المبتدأ : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (الفرقان : ٥٩) .

ففي رفع الرحمن خمسة أوجه [٦١٥]:

الأول : أنْ يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : هو الرحمن .

والثاني : أنْ يكون (الذي خلق) مبتدأ ، و(الرحمن) خبره .

والثالث : أن يكون الرحمن مبتدأ ، وخبره الجملة (فاسأل به خبيراً) .

---

(٣) البرهان في علوم القرآن : ١٠٥/٣ ـ ١٠٦ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٧٨٦/٢ ـ ٧٩٥ ، تهذيب المغني ، لجنة تنظيم الكتب الدراسية : ٣٩٠ ـ ٣٩٢ .

(١) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٤٧٢/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٥٢٣/٢ ، تفسير الكشاف : ٢٨١/٣ البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٠٧/٢ ، التفسير الكبير : ٤٧٨/٢٤ ، التبيان في إعراب القرآن : ٩٨٩/٢ الجامع لأحكام القرآن : ٤٥/١٣ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١٩٤/٢ ، تفسير البحر المحيط : ٦١٥/٦ ، الفتوحات الإلهية : ٢٦٥/٣ .

والرابع : أن يكون بدلاً من الضمير المستتر في الفعل (استوى) .

والخامس : أن يكون مبتدأ وخبره (الذي خلق السمواتِ والأرضَ) .

وقُرِئ (الرحمنِ) بالجر صفة للحي أو بدلاً منه بمعنى : وتوكل على الحي الذي لا يموت الرحمنِ [٦١٦].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (الرحمن : ١، ٢) ففي رفع ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ثلاثة أوجه :

الأول : أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : اللهُ الرحمنُ أو هو الرحمن ، ثم أتى بجملة بعد جملة فقال ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [٦١٧].

والثاني : أنه مبتدأ وخبره مضمر أي : الرحمنُ ربُّنا[٦١٨] . وهذان الوجهان عند من يرى أنّ الرحمن آية مع هذا المضمر وهما عبد الله بن عامر الشامي وعاصم بن أبي النجود الكوفي [٦١٩].

والثالث : يرى باقي القراء أنّ (الرحمن) ليس بآية[٦٢٠] ، وأنه مع ما بعده كلام واحد ، وهو مبتدأ خبره الجملة الفعلية ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [٦٢١].

ب ـ حذف حرف النداء والمنادى :

(٢) ينظر : تفسير الكشاف : ٢٨١/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥/١٣ .
(٣) ينظر : مجمع البيان : ٢٩٩/٩ ، التفسير الكبير : ٢٩/ ٣٣٧ ، التبيان في إعراب القرآن : ١١٩٧/٢ .
(١) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٢٦٧/٨ ،الفتوحات الإلهية : ٢٥٢/٤ .
(٢) ينظر : البيان في عدّ آي القرآن ، أبو عمرو الداني : ٢٣٦ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٣٠١/٣ ، تفسير البحر المحيط : ٢٦٧/٨ ، روح المعاني : ٩٨/١٤ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٦) .

فالأدعية السابقة كانت مقرونة بلفظ (ربّنا) قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة : من الآبية ٢٨٦) .

وأما هذا الدعاء فقد حُذِف منه لفظ (ربّنا) ، فما دلالة ذلك ؟

الجواب : إنما حُذِف النداء وهو قوله (ربَّنا) ههنا ؛ وذلك لأنّ النداء إنما يُحتاج إليه عند البعد ، وأما عند القرب فلا ، وإنما حذف النداء إشعاراً بأنّ العبد إذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله تعالى[٦٢٢] ،ويكون أقرب من غيره من العباد في نيل نيل مراده من العفو والمغفرة والرحمة .

ت ـ حذف الضمير لإفادة العموم في الخبر :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف : ١٥٣) .

فلم يقل : (لغفور رحيم لهم) ، فلم يُخصص المغفرة والرحمة بهم ، بل جعلها عامة مطلقة ، ولم يواجههم بغفران ذنوبهم ، وإنما ذكر صفة المغفرة والرحمة فعسى أن تنالهم فيمن تنالهم[٦٢٣] .

ففي حذف الضمير فائدتان[٦٢٤] :

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٢٤/٧ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٩٤/٢ ـ ٩٥ .
(١) ينظر : معاني النحو : ٢١٧/١ .

الأولى : اتساع صفة المغفرة والرحمة ، فلم يقيدها بهم ، بل هي عامة شاملة .

والثانية : لم يُواجههم صراحة بالمغفرة ، وإنما ذكر صفة المغفرة والرحمة فعسى أن تنالهم ، وذلك ليبقوا في حالة طاعة وخشية من معصية أُخرى .

فقوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ـ في الآية السابقة وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾(الأعراف : ١٥٢) ـ ومن عداهم ، فقد عظّم جنايتهم أولاً ثم أردفها تعظيم مغفرته ورحمته ؛ ليعلم العبد أنّ الذنوب وإن جلت وعظمت فإنّ عفو الله تعالى ورحمته وكرمه أعظم وأجل[٦٢٥] .

(٢) ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ينظر : تفسير الكشاف : ١٥٦/٢ ، تفسير البحر المحيط : ٥٠٢/٤ .

رابعاً : مسائل نحوية أخرى :

أ- دلالة المفعول المطلق :

وهو " المصدر المنتصب توكيداً لعامله ، أو بياناً لنوعه ، أو عدده ، نحو : ضربت ضرباً ، وسرت سير زيدٍ ، وضربت ضربتين " [٦٢٦].

وسمّي مفعولاً مطلقاً ؛ لأنه لا يُقيَّد بحرف من حروف الجر ، بخلاف غيره من المفعولات ، فإنها مقيدة بحرف من حروف الجر نحو أنْ تقول : مفعول به أو مفعول فيه ، أو مفعول له[٦٢٧] . ومما ورد منصوباً على أنه مفعول مطلق في سياق الرحمة والغفران المصدر(غفرانك) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٥) .

فـ﴿غُفْرَانَكَ ﴾ منتصب على المصدر ، وهو من المصادر التي يعمل فيها الفعل مضمراً ، والتقدير عند سيبويه : اغفر لنا غفرانك أو اللهم اغفر لنا غفرانك ويُستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء نحو : سقياً ورعياً ، وعلى هذا التقدير فإنّ الجملة طلبية [٦٢٨] .

وقال الزمخشري : " غفرانك : منصوب بإضمار فعله . يقال : غفرانك لا كفرانك ، أي نستغفرك ولا نكفرك " [٦٢٩] ، فعلى هذا التقدير تكون الجملة خبرية وقيل نصب على المفعولية ، تقديره : نطلب غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو نسأل غفرانك أو نستغفر غفرانك[٦٣٠] .

والأول أولى وأقوى ؛ لأنه على الفعل الذي أُخذ منه ، فهو أولى حيث يدل عليه بالتضمين نحو : حمداً وشكراً ، أي أحمد حمداً وأشكر شكراً [٦٣١].

---

(١) شرح ابن عقيل : ٢٦٧/١ ، وينظر : اللمع في العربية : ١١٥ .
(٢) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : ٥٨٠/١ ، شرح ابن عقيل : ٢٦٧/١ .
(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٠/٣ ، معاني القرآن ، النحاس : ٣٣١/١ ، التبيان في تفسير القرآن : ٣٨٣/٢ ، مجمع البيان : ٦٨٩/٢ ، التفسير الكبير : ١١٤/٧ ، التبيان في إعراب القرآن ، الشيخ الطوسي : ٢٣٤/١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١٦٠/١ ، تفسير البحر المحيط : ٥٨٦/٢ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٦٩٥/١ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٩٨/١ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٦٨٤/٢ ، إرشاد العقل السليم : ٢٧٦/١ ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٦٢٠/٢ ، التفسير الكاشف : ١/ ٤٥٤ ، الموسوعة القرآنية : ١٢٣/٣ .
(٤) تفسير الكشاف : ٣٢٦/١ ـ٣٢٧ ، الدر المصون : ٦٩٥/١ .
(١) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ٧٦٧/٢ ، التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٢٣٤ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٩٨/١ ، معترك الأقران : ٦٨٤/٢ ، إرشاد العقل السليم : ٢٧٦/١ ، حاشية الشهاب :٦٢٠/٢ ، التفسير الكاشف : ٤٥٤/١ .
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣٨٣/٢ .

ب ـ دلالة المفعول لأجله :

" الاسم المنتصب بالفعل الذي قبله ، وإنما تذكره ليُعرف الغرض الذي من أجله فعلت ذلك الفعل ، فهو جواب لِمَ ، كما أنّ الحال جواب كيف " (٦٣٢).

فهو " المصدر المُفهم علة ، المشارك لعامله في الوقت والفاعل " (٦٣٣).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

إذ انتصب (رحمة) على أنه مفعول لأجله ، والمعنى : ما أرسلناك ولا بعثناك إلا لأجل الرحمة للعالمين ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير المخاطب المفعول، مبالغة في أن جعله نفس الرحمة ، وأما على حذف مضاف أي : ذا رحمة ، ويحتمل أنْ يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين رحمة (٦٣٤).

ومن أعظم ما يظهر هذا الشرف من عموم الرحمة ، وقت الشفاعة العظمى ، يوم يُجمع الأولون والآخرون ، وتقوم الملائكة صفوفاً والثقلان وسطهم ويموج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه ، يطلبون من يشفع لهم في أنْ يحاسبوا ، ليستريحوا من ذلك الكرب ، إما إلى جنة أوإلى نار ، فيقصدون أكابر الأنبياء نبياً نبياً ـ عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام ـ فيحيل بعضهم على بعض ، وكل منهم يقول : لستُ لها ، حتى يأتوه ـ ﷺ ـ فيقول : أنا لها ، ويقوم معه لواء الحمد فيُشفعه الله وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون (٦٣٥).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ (القصص : من الآية ٤٦) فـ ﴿ رَّحْمَةً ﴾ منصوب من ثلاثة أوجه :

الأول : مفعول من أجله ، أي فعل ذلك بك لأجل الرحمة ومن أجل الرحمة (٦٣٦) .

---

(٣) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : ٦٦٥/١ ، وينظر : شرح المقدمة المحسبة : ٣٠٨/٢ ، المفصل في علم العربية ، جار محمود بن عمر الزمخشري : ٦٠ ، الإرشاد إلى علم الإعراب ، شمس الدين محمد بن أحمد القرشي الكيشي : ٢٣١ .
(٤) شرح ابن عقيل : ٢٧٧/١ ، شرح الحدود النحوية : ١٦١ ، شرح قطر الندى وبل الصدى : ٢٥٣ .
(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٩٢٩/٢ ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون : ١١٧/٥ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٣/٣ـ ٣٤ .
(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢٥/٥ .
(٢) ينظر : مُشكل إعراب القرآن : ٥٤٦/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري : ٢٣٤/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩٠/١٣ ، الموسوعة القرآنية : ٥١٠/٣ .

الثاني : انتصب (رحمة) على المصدر بمعنى : ولكن رحمك ربك يا محمد رحمة[٦٣٧].

الثالث : خبر (كان) مضمرة بمعنى : ولكن كان ذلك رحمة من ربك [٦٣٨].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ۞ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان : ٥، ٦) .

في نصب (رحمة) خمسة أقوال :

الأول : (رحمة) مفعول له ، أي : إنا أنزلناه لأجل إفاضة الرحمة على الناس ، أو لاقتضاء رحمة ربك ، وحُذف مفعول (مرسلين) وهذا من أحسن ما قيل في نصبها[٦٣٩] .

والثاني : يجوز أنْ يكون منصوباً ؛ لأنه مفعول (مرسلين) ، وجعل الرحمة هو النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ [٦٤٠].

والثالث : أنْ يكون منصوباً على المصدر أي: رحمناكم رحمة[٦٤١] .

والرابع: هو منصوب على الحال ، أي أنزلنا عليكم القرآن راحمين لكم رحمة ، فإنزال القرآن الكريم عليكم رحمة من ربّك[٦٤٢] .

الخامس : أنْ يكون منصوباً على البدل من قوله ﴿ أَمْراً ﴾[٦٤٣] .

ويبدو لي أنّ أقرب الآراء إلى الصواب والصحة هو الرأي الأول أو القول الأول ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى ما أنزل القرآن الكريم على الناس إلا لأجل إفاضة الرحمة ، ولاقتضاء رحمته تعالى . والذي يُرجّح هذا القول هو الآيات السابقة لهاتين الآيتين الكريمتين ، فالآيات السابقة تتحدث عن القرآن الكريم وأنّ الله تعالى أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر، وهي

(٣) ينظر: معاني القرآن ، الأخفس الأوسط سعيد بن مسعدة : ٦٥٣/٢ .
(٤) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٣٤/٢ .
(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٢٢/٤ ، تفسير الكشاف : ٢٦٤/٤ ، مجمع البيان : ٢٩/٩ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٣٥٧/٢ ، التبيان في إعراب القرآن : ١١٤٤/٢ ، الميزان : ١٨/ ١٣٥ .
(٢) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٩/٣ ، إعراب القرآن ، النحاس : ١٠٨/٣ .
(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٦٥٥/٢ ، التبيان في إعراب القرآن : ١١٤٤/٢ .
(٤) ينظر : معاني القرآن ، الأخفش : ٦٩١/٢ ، زاد المسير في علم التفسير : ٣٣٨/٧ .
(٥) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ١٠٨/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٥٥/٢ ، الموسوعة القرآنية : ٥٨١/٣ .

خير من ألف شهر ،قال تعالى : ﴿حم۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ۞فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان : ١-٤) .

ت ـ دلالة النعت والنعت المقطوع عن الإضافة :

النعت : هو التابع المكمّل متبوعه ببيان صفة من صفاته أو صفات ما تعلق به [٦٤٤] .

وقد أطلق عليه سيبويه اسم (الصفة) و(الوصف) [٦٤٥]. وقد عرّفه ابن عصفور تعريفاً شافياً كافياً يكشف به وظائفه ودلالاته إذ قال : النعت " عبارة عن اسم أو ما هو في تقديره من ظرف أو مجرور أو جملة تتبع ما قبله لتخصيص نكرة ، أو إزالة اشتراك عارض في معرفة ، أو مدح ، أو ذم ، أو ترحم ، أو تأكيد بما يدل على حليته كـ (طويل) ، أو نسبه كـ (قرشي) ، أو فعله كـ(قائم) ، أو خاصة من خواصه ؛ وذلك أن تصفه بصفة سببية ، نحو قولك : مررت برجل قائم أبوه"[٦٤٦] .

وقد يكون النعت للتخصيص ، نحو مررت بزيد الخياط ، أو يكون للمدح كقوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) ، أو يكون للذم ، نحو : مررت بزيد الفاسق ، أو يكون للترحم ، نحو مررت بزيد المسكين ، أو يكون للتأكيد[٦٤٧] ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة : ١٣) .

والنعت يجب أن يتبع ما قبله في إعرابه وتعريفه أو تنكيره ، وأما مطابقته للمنعوت في الإفراد والتثنية والجمع فحكمه في ذلك حكم الفعل أي يطابق المنعوت فيها ، كما يطابقه في التذكير والتأنيث [٦٤٨].

" ويقطع النعت للرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ، أو يُقطع للنصب على أنه مفعول به لفعل مضمر" [٦٤٩].

---

(١) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤٠٩/١ ـ ٤١٠ .
(٢) ينظر : كتاب سيبويه : ١٣/٢ ، ٢٣٧/٣ .
(٣) المقرب : ٢٤٠ .
(٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤١٠/١ .
(٥) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٦) شرح ابن عقيل : ٤١٦/١ .

ومما ورد نعتاً في سياق الرحمة (الرحمن الرحيم) في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) .

قال الرازي: " أجمعوا على أنّ إعراب (الرحمن الرحيم) هو الجر لكونهما صفتين للمجرور الأول ، إلا أنّ الرفع والنصب جائزان فيهما بحسب النحو ، أما الرفع فعلى تقدير : بسم الله هو الرحمن الرحيم ، وأما النصب فعلى تقدير : بسم الله أعني الرحمن الرحيم " [٦٥٠] .

وأشار النحاس إلى ذلك قائلاً : " ويجوز النصب في (الرحمن الرحيم) على المدح ، والرفع على إضمار مبتدأ " [٦٥١] فالنصب يكون على تقدير : أمدح الرحمن الرحيم .

وذكر أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) ذلك إذ قال : " ويجوز نصبهما على إضمار أعني ورفعهما على تقدير هو " [٦٥٢].

فنصبهما يكون على التعظيم والتخصيص ، والتقدير : بسم الله أعني الرحمن الرحيم أو أخص الرحمن الرحيم أو أُعظِّم الرحمن الرحيم .

والتعظيم يحتاج إلى اجتماع معنيين في المُعظَّم[٦٥٣] :

أحدهما : أنْ يكون المعنى الذي عُظّم به صفة مدح وثناء ورفعة .

والآخر : أنْ يكون المُعظَّم قد عرفه المخاطب ، واشتهر عنده بما عُظّم به ، أو يتكلم المتكلم بصفة ينفرد بها المُخبر عنه عند المخاطب ويعرفه بها ثم يأتي بعد ذلك بصفات يُعظِّمه بها .

جاء في الخصائص في إعراب هاتين الصفتين : " فالسُنَّة المأخوذ بها في ذلك اتباع الصفتين إعراب اسم الله سبحانه ، والقياس يُبيح أشياء فيها ، وإن لم يكن سبيل إلى استعمال شيء منها . نعم وهناك من قوة غير هذا المقروء به ما لا يشك أحد من أهل هذه الصناعة في حسنه ، كأن يقرأ (بسم الله الرحمنُ الرحيمُ) برفع الصفتين جميعاً على المدح . ويجوز (الرحمنَ الرحيمَ) بنصبهما جميعاً عليه ويجوز (الرحمنُ الرحيمَ) برفع الأول ونصب الثاني . ويجوز (الرحمنَ الرحيمُ) بنصب الأول ورفع الثاني . وكلُّ ذلك على وجه المدح ، وما أحسنه ههنا ! وذلك أنّ الله تعالى إذا وُصِف فليس الغرض في ذلك تعريفه بما يتبعه من

(١) التفسير الكبير : ١٠٣/١ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٥٠/١ .
(٢) إعراب القرآن ، النحاس : ١١٨/١ .
(٣) التبيان في إعراب القرآن : ٤/١ .
(٤) ينظر : النكت في تفسير كتاب سيبويه : ٢٣٦/١ .

صفته ؛ لأنّ هذا الاسم لا يعترض شك فيه فيحتاج إلى وصفه لتخليصه ؛ لأنه الاسم الذي لا يُشارك فيه على وجه ، وبقية أسمائه ـ عز وعلا ـ كالأوصاف التابعة لهذا الاسم. وإذا لم يعترض شك فيه ، لم تجئ صفته لتخليصه ، بل للثناء على الله تعالى . وإذا كان ثناء فالعدول عن إعراب الأول أولى به . وذلك أنّ إتباعه إعرابه جارٍ في اللفظ مجرى ما يتبع للتخليص والتخصيص . فإذا هو عُدِل به عن إعرابه عُلِم أنه للمدح أو الذم في غير هذا ، عز الله تعالى ، فلم يبق فيه هنا إلا المدح " [٦٥٤].

ويجوز أيضاً إعراب الرحمن بدلاً من لفظ الجلالة (الله) ، وذلك لأنّ (الرحمن) قد شاع استعماله في الذات المقدسة ، حتى صار من أسماء الله الحسنى[٦٥٥] قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ (الإسراء : من الآية ١١٠) .

ومما جاء نعتاً في سياق الرحمة أيضاً قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴾ (النبأ : ٣٧) .

(ربِّ السمواتِ ... الرحمنِ) فيه ثلاثة أوجه من القراءة :

القراءة الأولى: (ربِّ السمواتِ ... الرحمنِ) بجرهما : وهي قراءة عبد الله بن أبي إسحاق والأعمش ، وابن محيصن ، وابن عامر ، وعاصم ، ويعقوب[٦٥٦] .

فمن خفض الاثنين جعلهما نعتاً أو بدلاً من الاسم المخفوض في قوله تعالى :﴿ جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً ﴾ (النبأ : ٣٦) أي جزاء من ربك ربِّ السموات الرحمن[٦٥٧] . أو يكون (الرحمن) نعتاً لـ (ربِّ السموات) و(ربِّ السموات) بدل من (ربِّك) [٦٥٨] .

---

(١) الخصائص : ٣٩٩/١ ـ ٤٠٠ .
(٢) ينظر : التفسير الكاشف : ٢٥/١ .
(٣) ينظر : كتاب السبعة في القراءات ، أحمد بن مجاهد : ٦٦٩ ، معاني القراءات : ٥٢٥ ، الحجة للقراء السبعة : ٩٣/٤ ، الإقناع في القراءات السبع ، أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري : ٤٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٢٤/١٩ ، الموسوعة القرآنية : ١٠١٢/٤ .
(١) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٦١٣/٣ ، تفسير الكشاف : ٦٧٧/٤ ، التفسير الكبير : ٣١/ ٢٤ ، التبيان في إعراب القرآن : ١٢٦٨/٢ .
(٢) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٧٩٧/٢ ، الموسوعة القرآنية : ٦٧٤/٣ .

والقراءة الثانية : (ربُّ السموات ... الرحمنُ) برفعهما : وهي قراءة ابن كثير ، ونافع وأبي عمرو ، وأبي جعفر ، وشيبة ، والأعرج ، وابن مسعود ، وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم ، واليزيدي ، والحسن [٦٥٩].

وفي رفعهما أربعة أوجه[٦٦٠] :

الأول : أنْ يكون (ربُّ السمواتِ) مبتدأ والرحمن خبره ، ثم استؤنف (لا يملكون منه خطاباً).

والثاني : (ربُّ السموات) مبتدأ ، والرحمن صفة له ، و(لا يملكون) الخبر .

والثالث : أن يُضمر المبتدأ ، والتقدير : هو ربُّ السموات هو الرحمن ، أو أن يُضمر المبتدأ في الأول ويكون (الرحمن) مبتدأ ثانياً .

والرابع : أنْ يكون (ربُّ السموات) مبتدأ ، و(الرحمن) و(لا يملكون) خبرين له .

والقراءة الثالثة : (ربِّ السمواتِ ... الرحمنُ) بجر الأول ورفع الثاني :

وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عباس وعاصم ، وابن محيصن ، والحسن ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وخلف [٦٦١].

فأما وجه جر الأول ، ورفع الثاني ، فَجُرّ الأول بالبدل من ربِّك ، والثاني مرفوع بكونه مبتدأ وخبره (لا يملكون) ، أو يكون رفعه على إضمار مبتدأ ، أي : هو الرحمن [٦٦٢] .

ث ـ دلالة ضمير الفصل :

يقع ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر أو ما هو داخل على المبتدأ وخبره واشترط النحاة أن يكون بين معرفتين أو بين معرفة أو ما قاربها من النكرات [٦٦٣]. ولوجوده في الكلام

---

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٩/٣٠ ، كتاب السبعة في القراءات : ٦٦٩ ، معاني القراءات : ٥٢٥ ، التفسير الكبير : ٢٤/٣١ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٢٤/١٩ ، تفسير البحر المحيط : ٥٧٩/٨ ، زاد المسير : ١١/٩ ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : ٥٦٩ .

(٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٦١٣/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٧٩٧/٢ ، تفسير الكشاف : ٦٧٧/٤ التبيان في إعراب القرآن : ١٢٦٨/٢ .

(٥) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٩٣/٤ ، التفسير الكبير : ٣١ / ٢٤ الجامع لأحكام القرآن : ١٢٤/١٩ ، معجم القراءات القرآنية ، د. أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم : ٥٠/٨ .

(١) ينظر : كتاب معاني القراءات : ٥٢٥ ، مشكل إعراب القرآن : ٧٩٧/٢ ، تفسير الكشاف : ٦٧٧/٤ ، التفسير الكبير : ٢٤/٣١ ، الموسوعة القرآنية : ٦٧٤/٣ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ١١٠/٣ ، معاني النحو : ٥١/١ .

أغراض وفوائد منها[٦٦٤] : الإعلام بإنّ ما بعده خبر لا تابع والاختصاص والقصر ، والتوكيد ومنه : توكيد القصر الحقيقي ، وتوكيد القصر الذي على جهة المبالغة ، وتوكيد التخصيص ، ومن أغراض ضمير الفصل في سياق الرحمة والغفران :

١. **الاختصاص والقصر** : قد يأتي ضمير الفصل للدلالة على الاختصاص والقصر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٤) .

جاء في تفسير الكشاف : " و(هو) للتخصيص والتأكيد ، وأنّ الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين . وقيل : معنى التخصيص في (هو) أنّ ذلك ليس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردّها فاقصدوه بها ، ووجهوها إليه " [٦٦٥].

فقوله تعالى (هو) تأكيد لانفراد الله سبحانه وتعالى بهذه الأمور ، وتحقيق ذلك أنه لو قال : إنّ الله يقبل التوبة ، لاحتمل ذلك أنْ يكون قبول رسوله قبولاً منه فبينت الآية أنّ ذلك مما لا يصل إليه نبي ولا ملك[٦٦٦] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣) .

فقوله ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ " يفيد الحصر ، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم ، إلا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة " [٦٦٧] فهو وحده الغفور أي البليغ المغفرة ، بحيث يمحو الذنوب عيناً وأثراً ، فلا يُعاقب ولا يُعاتب ، فهو المختص بهاتين الصفتين ، لا يشاركه فيهما أحد [٦٦٨].

---

(٣) ينظر : معاني النحو : ٥١/١ ـ ٥٩ ، جواهر البلاغة : ١٣٧ .
(٤) تفسير الكشاف : ٢٩٧/٢ ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد عيسى العامري : ٤٢ .
(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٧٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩١/٨ .
(٢) التفسير الكبير : ٤٦٥/٢٧ .
(٣) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٤٦٢/٦ .

٢. توكيد القصر الحقيقي : قد يكون الكلام دالاً على القصر ، من دون ضمير الفصل ، فيأتي ضمير الفصل مؤكداً هذا المعنى [٦٦٩]. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : ٣٧) .

فلو حُذِف ضمير الفصل (هو) لبقي معنى القصر ، لكنه جاء به توكيداً لهذا المعنى ، قال النحاس : " ويجوز أنْ يكون (هو) توكيداً للهاء ، ويجوز أن يكون فاصلة " [٦٧٠] ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : من الآية ٥٤) .

ففي " إظهار (هو) مفصولة من ضمير وصلها إثبات معنى الرحمة لله ثبتاً لا يتبدل ولا يتغير " [٦٧١].

ج - دلالة (ما) :

تأتي (ما) في العربية على أنواع منها : موصولة بمعنى الذي ، وموصوفة وتقدّر بـ(شيء) ، وتعجبية ، واستفهامية ، ومصدرية ، وشرطية ، ونافية غير عاملة عمل ليس ، ونافية غير عاملة ، وزائدة[٦٧٢] .

ومن ورود (ما) في سياق الغفران قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس : من الآية ٢٦ ، ٢٧) .

﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾: في (ما) ثلاثة أوجه :

الأول : مصدرية : تكون (ما) والفعل (غفر) مصدراً ، أي بغفران ربي لي أو بمغفرة ربي لي ، وهذا جيد حسن ؛ لأنه يؤول إلى تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين[٦٧٣] .

---

(٤) ينظر : معاني النحو : ٥٨/١ .
(٥) إعراب القرآن ، النحاس : ١٦٤/١ .
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٣٥/١ .
(١) ينظر : مغني اللبيب : ٣٩٠/١ - ٤٠٣ .

والثاني : موصولة بمعنى الذي : والعائد فيه محذوف تقديره : بالذي غفره لي ربي من الذنوب ، أو بالذنب الذي غفره لي ربي ، وهذا ليس بجيد ؛لأنه يؤول إلى تمني علمهم بذنوبه المغفورة [٦٧٤] .

والثالث : استفهامية : إذ يجوز أنْ تكون (ما) استفهاماً ، وفيه معنى التعجب من مغفرة الله له ، وتقديره : بأي شيء غفر لي ربي ، على التقليل لعمله ، والتعظيم لمغفرة الله له[٦٧٥] . ولو كان كذلك لجاز فيه وجهان : إثبات الألف وطرحها ، أي بما غفر لي ربي أو بمَ غفر لي ربي ، كما تقول : سَلْ عم شئت وعما شئت فإثبات الألف وطرحها في الاستفهام جائزان ، وإنْ كان الأجود والأكثر في الاستفهام حذف الألف إذا دخل عليها حرف جر ، يُقال : قد علمت بما صغت هذا؟ أي بأي شيءٍ صغت هذا ، وبم صغت هذا [٦٧٦] . وقال تعالى : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : من الآية ٣٥) ، وقد أثبتها الشاعر كعب بن مالك الأنصاري وهي استفهام فقال[٦٧٧] :

إنّا قتلنا بقتلانا سَرَاتكمُ أهلَ اللواءِ ففيما يُكثَر القيل ؟

وضعّفه الكثير من العلماء ، وقالوا هذا ضعيف ؛ لأنّ الأكثر في الاستفهام حذف الألف إذا دخل عليها حرف الجر ، جاء في مشكل إعراب القرآن : " وفي كونه استفهاماً بُعدٌ ، لثبات الألف في (ما) وحقها أنْ تُحذف في الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر (...) ولا يُحسن إثبات ألف (ما) في الاستفهام إلا في شعر فبعُد لذلك " [٦٧٨] .

لكن الفراء أجاز حذف الألف وإثباتها في الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر إذ قال : " ولو جعلت (ما) في معنى (أي) كان صواباً . يكون المعنى : ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربّي . ولو كان كذلك لجاز فيه : (بِمَ غفر لي ربي) بنقصان الألف " [٦٧٩].

---

(٢) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٤/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ ، التفسير الكبير : ٢٦٨/٢٦ الجامع لأحكام القرآن : ١٦/١٥ ، تفسير البحر المحيط : ٤٣٧/٧ ، زاد المسير في علم التفسير : ١٤/٧ الموسوعة القرآنية : ٥٤٥/٣ .

(٣) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٤/٢ ، إعراب القرآن ، النحاس : ٧١٦/٢ ، تفسير الكشاف : ١١/٤ التبيان في إعراب القرآن : ١٠٨٠/٢ ، تفسير البحر المحيط : ٤٣٧/٧ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ١٣٦/٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٤/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ ، تفسير الكشاف : ١١/٤ ، الموسوعة القرآنية : ٥٤٥/٣ ، دراسات لأسلوب القرآن : ١٣٦/٣ .

(١) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٤/٢ ـ ٣٧٥ ، تفسير الكشاف : ١١/٤ .

(٢) ينظر : ديوان كعب بن مالك : ٢٥٥ ، معاني القرآن، الفراء : ٣٧٥/٢ ، ويروى برواية أخرى ، وهي المثبتة في الديوان وفيها تُحذف الألف وهي :

أنْ قد قتلنا بقتلانا سَرَاتكم أهل اللواء ففيم يكثر القيل ؟

(٣) مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ .

(٤) معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٤/٢ .

ويبدو أنّ الأفصح والأجود هو حذف الألف في الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر ، ولم يرد في القرآن الكريم استفهام إلا بحذف الألف ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (الحجر : ٥٤) وقال في سورة النمل : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : من الآية ٣٥) وقال في سورة النبأ : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾ (النبأ : ١) .

وأحسب أنّ الأقوى في (ما) أن تكون مصدرية فتكون هي والفعل الذي بعدها في موضع المصدر أي بغفران ربي لي أو بمغفرة ربي لي .

ح ـ دلالة الفعل المضارع :

ورد الفعل المضارع في القرآن الكريم بآيات كثيرة ، وقد قُرئ بقراءاتٍ متعددة منها ما قُرئ بالرفع والنصب ، ومنها ما قُرِئ بالرفع والجزم ، ومنها ما قُرِئ بالنصب والجزم ، ومنها ما قُرئ بالرفع والجزم والنصب[٦٨٠] .

الفعل المضارع بين الرفع والنصب والجزم :

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٤)

فإنْ تقدّم الفاء فعلُ الجواب جاز فيه ثلاثة أوجه : الرفع على القطع ، والجزم على العطف ، والنصب بإضمار (أنْ) على السببية[٦٨١] . ففي الآية السابقة أربعة أوجه من القراءة :

الوجه الأول : قرأ عاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب والحسن وابن محيصن وسهل ، ويزيد بن القعقاع (فيغفرُ .. ويعذبُ) بالرفع فيهما[٦٨٢] .

(١) ينظر : دلالة الفعل المضارع في المضارع في القرآن الكريم ، علي خضر فنون (رسالة ماجستير) : ١١٠ .
(٢) ينظر : المقرب : ٢٩٣ .

والرفع على وجهين[٦٨٣] :

الأول : إما أن يكون أضمر مبتدأ على تقدير : فاللهُ يغفرُ ويعذبُ أو فهو يغفرُ ويعذبُ ، فيكون جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على جملة من فعل وفاعل .

والآخر : أنْ يكون الفعل مقدراً ، فتكون جملة معطوفة من فعل وفاعل على مثلها ، والتقدير على هذا : فيغفر الله لمن يشاء ويعذب من يشاء .

والوجه الثاني : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف واليزيدي والأعمش (فيغفرْ ... ويعذبْ) بالجزم عطفاً على (يحاسبْكم) الذي هو جواب الشرط ، وهو الجيد ؛ لأنه أقرب للمشاكلة بينه وبين ما قبله من الكلام وهو (يحاسبكم) ؛ ولأنّ عليه أكثر القُراء[٦٨٤] .

قال أبو علي الفارسي : " وُجِّه قول من جزم أنه أتبعه ما قبله ، ولم يقطعه منه ، وهذا أشبه بما عليه كلامهم ، ألا ترى أنهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها " [٦٨٥] فالجزم أحسن ، ليكون مُشاكلاً لما قبله في اللفظ ، ولا يُخِلَّ من المعنى بشيء[٦٨٦] .

واختار أبو العباس المبرد أجودها وهو الجزم[٦٨٧] ، إذ قال : " إنما اخترت الجزم ؛ لأنه يدخل في تكفير الذنوب ، إذا كان جواباً لقوله ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوه﴾ " [٦٨٨] .

والوجه الثالث : قرأ ابن عباس والأعرج ، وأبو العالية ، وعاصم الجحدري ، وأبو حيوة (فيغفرَ ... ويُعذبَ) على إضمار (إنْ) ، وحقيقته أنه عطف على المعنى دون اللفظ ، والعطف على اللفظ أجود ، فينسبك من (إنْ) مع بعدها مصدر مرفوع معطوف على مصدر

---

(٣) ينظر : كتاب السبعة في القراءات : ١٩٥ ، إعراب القرآن (النحاس) : ٣٠٤/١ ، معاني القراءات : ٩٣ ، مشكل إعراب القرآن : ١٤٧/١ ، الكشف عن وجوه القراءات : ٣٢٣/١ ، جامع البيان في القراءات السبع ، أبو عمرو الداني : ٤٤١ ، الإقناع في القراءات السبع : ٣٨٥ ، تفسير البحر المحيط : ٥٨٠/٢ ، غيث النفع في القراءات السبع : ١٢٦ ، الموسوعة القرآنية : ٢٣٦/٣ .

(١) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات : ٣٢٣/١ ، مجمع البيان : ٦٨٧/٢ ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون : ٦٩٠/١ ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : ٢١٤ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ٩٣٠/٣ ، كتاب السبعة في القراءات : ١٩٥ ، إعراب القرآن النحاس : ٣٠٤/١ ، مشكل إعراب القرآن : ١٤٦/١ ، التبيان في تفسير القرآن : ٣٨١/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١٨٦/١ ، زاد المسير : ٣٤٤/١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١٥٩/١ ، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٩٨/١ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٢٧٦/١ .

(٣) الحجة للقراء السبعة : ٥١٤/١ ، وينظر : مجمع البيان : ٦٨٧/٢ .

(٤) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٥١٤/١ .

(٥) ينظر : المقتضب : ٢٢/٢ ، ٦٧ .

(٦) معاني القراءات : ٩٣ .

متوهم من الحساب ، تقديره : إنْ يكن محاسبة فمغفرةٌ وتعذيب أو تقديره : إنْ يكن إبداء أو إخفاء منكم فمحاسبةٌ فغفران منّا وتعذيب[٦٨٩].

وهذه القراءة ليست قوية في القياس ؛ لأنّ الشرط إذا استوفى الجزاء ضعف النصب[٦٩٠] .

والوجه الرابع : رُوي عن طلحة بن مُصرّف والأعمش وعبد الله بن مسعود وخلاد ، والجعفي أنهم قرؤوا (يحاسبْكم به اللهُ يغفرْ لمن يشاء ويعذبْ من يشاء) مجزوماً بغير فاء ، على البدل من (يحاسبْكم) [٦٩١] .

قال أبو الفتح عثمان بن جني : " جزم هذا على البدل من (يحاسبْكم) ، على وجه التفصيل لجملة الحساب ، ولا محالة أنّ التفصيل أوضح من المفُصَّل ، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال . والبعض : كضربتُ زيداً رأسَه ، والاشتمال كأُحبُّ زيداً عقلَه . وهذا البدل ونحوه واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء ، لحاجة القبيلين إلى البيان ، فمن ذلك قول الله سبحانه : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ (الفرقان : ٦٨، ٦٩) لأنّ مضاعفة العذاب هو لُقِيّ الآثام " [٦٩٢] .

فالجزم هنا على البدل من (يحاسبكم) ، وهو تفسير للمحاسبة[٦٩٣] .

خ ـ دلالة حرف الجر (من) على التبعيض :

يفيد حرف الجر (من) معاني عدّة، فقد تأتي (من) لابتداء الغاية الزمانية أو المكانية ، وقد تكون للتبعيض ، وقد تكون زائدة للتوكيد ، أو لبيان الجنس ، أو للتعليل ، أو البدل ، أو

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه : ٩٠/٣ ، معاني القرآن ، الأخفش : ٢٢٣/١ ، إعراب القرآن ، النحاس : ٣٠٤/١ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨/٣ ، تفسير البحر المحيط : ٥٨٠/٢ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٢٧٦/١ ، معجم القراءات القرآنية : ٢٣٠/١ .

(٢) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ١٨٦/١ .

(٣) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٣٠٤/١ ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ٢٤٤/١ ، تفسير الكشاف : ٣٢٦/١ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢٣٣/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨/٣ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : ٢٧٦/١ ، معجم القراءات القرآنية : ٢٣٠/١ .

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ٢٤٤/١ .

(٥) ينظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ٢٤٤/١، الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨/٣ .

الفصل ، وغير ذلك من المعاني ، فضلاً عن تضمنها معاني بعض حروف الجر ، كأنْ تكون مرادفة لـ (عن) أو مرادفة للباء أو مرادفة لـ(على) [٦٩٤].

وقد وردت (من) للدلالة على التبعيض في قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (نوح : من الآية ٤) .

ذكر الطبرسي أنّ " من ها هنا للتبعيض ، والمعنى : يغفر لكم ذنوبكم السالفة ، وهي بعض الذنوب التي تُضاف إليكم ، ولما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الإطلاق ، لما يكون في ذلك من الإغراء بالقبيح ،قيَّد سبحانه هذا التقييد " [٦٩٥].

وذكر أيضاً أن (مَنْ) يمكن أن تكون زائدة[٦٩٦] إذ لا صحة لزيادتها هنا لما يكون في ذلك من الإغراء بالقبيح ، وحاشا له أن يفعل ذلك .

وتابع أبو حيان النحوي الشيخ الطبرسي في ذلك ، إذ قال : " (من) للتبعيض لأنّ الإيمان إنما يجبُّ ما قبله من الذنوب ، لا ما بعده " [٦٩٧].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (إبراهيم : من الآية ١٠) .

جاء في تفسير الكشاف : " فإن قلت : ما معنى التبعيض في قوله : من ذنوبكم ؟ قلت : ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين ، كقوله : ﴿ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (نوح : من الآيتين٣، ٤) ، ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (الأحقاف : ٣١) ، وقال في خطاب المؤمنين ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

(١) ينظر : الأصول في النحو : ٤٩٨/١ ـ ٥٠٠ ، شرح المفصل : ١٠/٨ـ١٤ ، مغني اللبيب : ٤١٩/١ ـ ٤٢٥ ، حروف الجر ومعانيها ، أحمد فليح : ١٠٣ ـ ١٠٦ .
(٢) مجمع البيان : ٥٤٢/١٠ .
(٣) ينظر : مجمع البيان : ٥٤٢/١٠ .
(٤) تفسير البحر المحيط : ٤٧٤/٨ .

﴾ (الصف : من الآية١٠) إلى أن قال ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (الصف : ١٢) ، وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء ، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ، ولئلا يسوّي بين الفريقين في الميعاد" [٦٩٨] .

وقيل : إنها للتبعيض ، ويجوز أن يذكر البعض والمراد منه الجميع[٦٩٩]. "وهو معنى صحيح ، وذلك أنّ الوعد وقع بغفران الشرك وما معه من المعاصي ، وبقي ما يستأنفه أحدهم بعد إيمانه من المعاصي مسكوتاً عنه ليبقى معه في مشيئة الله تعالى ، فالغفران إنما نفذ به الوعد في البعض " [٧٠٠].

ويرى السيد الطباطبائي : " أنّ المغفور من الذنوب في الفريقين واحد ، وهو جميع الذنوب ، إلا أنّ تشريف مقام الإيمان أوجب أن يُصرّح في المؤمنين بمغفرة الجميع ، ويقتصر في وعد الكفار على مغفرة البعض ، والسكوت عن الباقي ومغفرة بعضها لا تُنافي مغفرة البعض الآخر " [٧٠١].

وقيل : إنّ (من) هنا بمعنى البدل أي : لتكون المغفرة بدلاً من عقوبة ذنوبكم[٧٠٢].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (الأحقاف : من الآية ٣١) .

قال الزمخشري : " فإنْ قلت : لمَ بعّض في قوله : (من ذنوبكم) ؟ قلت : لأنّ من الذنوب ما لا يُغفر بالإيمان كذنوب المظالم فإنها لا تُغفر إلا برضا أصحابها " [٧٠٣] ورد عليه صاحب الانتصاف إذ قال : " ليس ما أطلقه من أنّ الإيمان لا يغفر المظالم بصحيح ؛ لأنّ الحربي لو نهب الأموال المصونة وسفك لدماء المحقونة ثم حسُن إسلامه جبَّ الإسلام عنه إثم ما تقدم بلا إشكال . ويُقال : إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى إلا مُبعَّضة وهذا منه ، فإن لم يكن لاطراده بذلك سر ، فما هو إلا أنّ مقام الكافر قبضٌ لا بسط ، فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب " [٧٠٤].

---

(١) تفسير الكشاف : ٥٢٢/٢ .
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٢/٩ .
(٣) المحرر الوجيز : ٣٢٧/٣ .
(٤) الميزان في تفسير القرآن : ٢٨/١٢ .
(٥) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥٤/٤ .
(١) تفسير الكشاف : ٣٠٤/٤ ، وينظر : تفسير الجلالين ، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي : ٢٦٣/٢ .
(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (في حاشية تفسير الكشاف) : ٣٠٤/٤ .

ـ **القرآن الكريم .**

أولاً : الكتب المطبوعة :

ـ أ ـ

- **آلاء الرحمن في تفسير القرآن** ، محمد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٥٥هـ .
- **أبحاث في أصوات العربية** ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٩٨م .
- **أبنية الصرف في كتاب سيبويه** ، د. خديجة عبد الرزاق الحديثي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٦٥ ـ ١٣٨٥هـ .
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ) ، تح : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٣ ، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ .
- **الإتقان في علوم القرآن** ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ .
- **أحكام القرآن** ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ) تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٣ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .
- **أدب الكاتب** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري (ت٢٧٦هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط/٣ ، ١٩٥٨م ـ ١٣٧٧هـ .
- **إدغام القُراء** ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد علي عبد الكريم الرديني ، مطبعة الرازي ، دمشق ، ط/ ٢ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تح : د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/ ١ ، ١٩٩٨م .
- **الإرشاد إلى علم الإعراب** ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد اللطيف القرشي الكيشي (ت٦٩٥هـ) ، تح : د. عبد الله علي الحسيني البركاتي ود. محسن سالم العميري ، مطابع الندوة ، مكة المكرمة ، ط/ ١، ١٩٨٩م ـ ١٤١٠هـ .

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، (د.ت) .
- **أساليب البيان في القرآن** ، سيد جعفر الحسيني ، مؤسسة الطباعة والنشر طهران ، ط/١ ، ١٤١٣هـ.
- **الاستثناء ودلالته في سورة هود ـ عليه السلام ـ** ، د. رحيم جبر الحسناوي مكتب بحار الأنوار للطباعة الليزرية ، الحلة ، ٢٠٠٢م .
- **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تح : هـ . ريتر مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ، ١٩٥٤م .
- **أسرار التكرار في القرآن** ، تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار بو سلامة للطباعة والنشر ، تونس ط/١ ، ١٩٨٣م .
- **أسرار العربية** ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـ .
- **أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته** ، شاكر عبد الجبار ، مطبعة أوفسيت منير بغداد ، ١٩٨٧م .
- **إصلاح الوجوه والنظائر** ، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ) ، حققه ورتبه وأكمله : عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين بيروت ، ط/١ ، ١٩٧٠م .
- **أصوات اللغة العربية** ، د. عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/٣ ١٩٩٦م .
- **الأصوات اللغوية** ، د. إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ط/٣ ، ١٩٦١ .
- **أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم** ، د. محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .
- **الأصول في النحو** ، أبو بكر بن السراج (ت٣١٦هـ) ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٣م .

- **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم** ، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ط/ ١، ٢٠٠١م ـ ١٤٢٢هـ .
- **إعجاز القرآن (في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها)** ، د. عبد الكريم الخطيب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٦٤م ـ ١٣٨٣هـ .
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وصححه وضبطه : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط/٦ ، ١٩٥٦م ـ ١٣٧٥هـ .
- **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ١٩٤١م ـ ١٣٦٠هـ .
- **إعراب القرآن** ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) تح : د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧م ـ ١٣٩٧هـ .
- **إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج**[٧٠٥] ، أبو إسحاق إبراهيم بن سري بن سهل النحوي (ت٣١١هـ) ، تحقيق ودراسة : إبراهيم الإبياري ، مطبعة : إسماعيليان ، قم ـ إيران ، ط/٣ ، ١٤١٦هـ .
- **الأعلام** ، خير الدين الزركلي ، مطبعة كوستا تسوماس ، مصر ، ط/٢ ١٩٧٨م .
- **الإقناع في القراءات السبع** ، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت٥٤٠هـ) ، حققه وعلّق عليه : الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م ـ ١٤١٩هـ.
- **الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل** ، الشيخ جعفر السبحاني ، مطبعة: اعتماد ، قم ـ طهران ، ط/٥ ، ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٣هـ.
- **الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزّل** ، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ .
- **الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء** ، محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٨٧م .

(١) النسبة الصحيحة لهذا الكتاب هي لجامع العلوم الباقولي (ت٥٤٣هـ) واسمه في الحقيقة (الجواهر) ، ينظر : كتاب شرح اللمع ، جامع العلوم الباقولي : ١٣ (مقدمة المحقق) .

- **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (بهامش تفسير الكشاف)** ، أحمد بن محمد بن منير الاسكندري (ت٦٨٣هـ) ، تح: محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٣ ، ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .

- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط/ ٥ ، ١٩٦٧م ـ ١٣٨٦هـ .

- **الإيضاح في علوم البلاغة** ، محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٣٩٧هـ) ، تح : لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة (د.ت)، أعادت طبعه بالأوفسيت مطبعة المثنى ، بغداد (د.ت) .

- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تح : محيي الدين عبد الرحمن رمضان المطبعة التعاونية ، دمشق ، ١٩٧١م ـ ١٣٩٠هـ .

ـ ب ـ

- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار** ، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .

- **البرهان في علوم القرآن** ، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٧٢م ـ ١٣٩١هـ .

- **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن** ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت٦٥١هـ) ، تح : د.خديجة الحديثي ، ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ .

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تح : محمد علي النجار ، الإعلانات الشرقية القاهرة ، ١٣٨٣هـ.

- **البناء الصوتي في البيان القرآني** ، د. محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ .

- **البيان في تفسير القرآن** ، سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ) ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي ، قم ـ إيران ، ط/٣٠ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .

- **البيان في شرح غريب القرآن** ، القاسم بن الحسن محيي الدين ، تصحيح وتحقيق : السيد مرتضى الحكمي ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٥م ـ ١٣٧٤هـ .

- **البيان في عد آي القرآن** ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ، تح : غانم قدوري الحمد ، مطبعة الكويت ، ط/١ ، ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ .

- **البيان في غريب إعراب القرآن** ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تح : د. طه عبد الحميد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٦٩م ـ ١٣٨٩هـ .

- **البيان والتبيين** ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ـ مصر ، ط/٢ ١٩٦٠م ـ ١٣٨٠هـ .

ـ ت ـ

- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، السيد محمد مرتضى الزَبيدي (ت١٢٠٥هـ) دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ .

- **تاريخ الأنبياء** ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، إعداد الشيخ قاسم الهاشمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٢م .

- **تأويلات أهل السنة** ، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ) ، تح : د. مجدي باسلّوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦هـ .

- **تأويل مشكل القرآن** ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٥٤م ـ ١٣٧٣هـ .

- **التبيان في إعراب القرآن** ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) تح : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٧٦م .

- **التبيان في تفسير القرآن** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تح : أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، (د.ت) .
- **تجديد النحو** ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٨٢م .
- **تجليات في أسماء الله الحسنى** ، د. عبد المنعم الحفني ، مطبعة مكتبة مد بولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تح : د. حفني محمد شرف ، شركة الإعلانات الشرقية مصر ، ١٣٨٣هـ .
- **التحرير والتنوير (المقدمات وتفسير سورة الحمد وجزء عم)** ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٥٦ ـ ١٣٧٦هـ .
- **تحصيل نظائر القرآن** ، محمد بن علي الترمذي (ت بعد ٣١٨هـ) ، تح : حسني نصر زيدان ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط/١ ، ١٩٦٩م ـ ١٣٨٩هـ .
- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب** ، أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، ضبط وتصحيح : طاهر النعساني ، مطبعة الإخلاص ، حماة ١٩٢٦م ـ ١٣٤٥هـ .
- **التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)** ، د. سلمان حسن العاني ترجمة د. ياسر الملاح ، مراجعة : د. محمد محمود غالي ، النادي الأدبي الثقافي ، السعودية ، ط/١ ، ١٩٨٣م .
- **التصاريف في تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه** ، يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) ، تح : هند شلبي ، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس ، ١٩٧٩م .
- **التطبيق الصرفي** ، د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ، ١٩٧٣م .
- **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن** ، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، الزرقاء ـ الأردن ، ط/١ ،١٩٨٥م ـ ١٤٠٥هـ .
- **التعبير الفني في القرآن الكريم** ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٤م .
- **التعبير القرآني** ، د.فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ١٩٨٦م ـ ١٩٨٧م .

- **التعريفات** ، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨١٦هـ) مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٨م ـ ١٣٥٧هـ .
- **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** ، العلامة عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩م) ، جمع وترتيب وإعداد وتعليق : محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين ، دار الفكر للطباعة ، مصر ، ط/٢ ، ١٩٧١م ـ ١٣٩١هـ .
- **تفسير البحر المحيط** ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ) ، تح : د. عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ .
- **تفسير البصائر** ، أبو محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري ، مطبعة أمين ، قم المقدسة ـ إيران، ١٤١٩هـ .
- **تفسير التحرير والتنوير** ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د.ت) .
- **تفسير الجلالين** ، جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تصحيح ومراجعة : أحمد محمد شاكر ، وعلي محمد شاكر دار التراث ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٥٤م .
- **تفسير جوامع الجامع** ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) تح : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط/٢ ١٤٢٣هـ .
- **تفسير سورة الحمد** ، السيد الشهيد محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٤هـ) ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ـ إيران ، ط/١ ، ١٤٢٠ هـ .
- **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٧٢٨هـ) ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٦م ـ ١٤١٦هـ.
- **تفسير غريب القرآن** ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تح : السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه مصر ، ١٩٥٨م ـ ١٣٧٨هـ .
- **تفسير غريب القرآن** ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ) تح : محمد صبحي بن حسن حلاق ، دار ابن كثير ، دمشق ـ سوريا ، ط/١ ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

- **تفسير الفاتحة** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تح : محمود شلبي ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٦٨م ـ ١٣٨٨هـ .
- **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار** ، محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) مراجعة : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .
- **تفسير القرآن العظيم** ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الخير ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٣م ـ ١٤١٤هـ .
- **تفسير القرآن الكريم** ، الشيخ محمود شلتوت ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، طهران ، ١٤٢١هـ.
- **التفسير القيّم** ، ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تح : محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٤٩ م ـ ١٣٦٨هـ .
- **التفسير الكاشف** ، الشيخ محمد جواد مغنية ، مطبعة أسوة ، إيران ، ط/١ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.
- **التفسير الكبير** ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تح : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/٤ ٢٠٠١م ـ ١٤٢٢هـ .
- **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٣ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .
- **تفسير المراغي** ، أحمد مصطفى المراغي ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ط/٢ ، ١٩٥٣م ـ ١٣٧٣هـ .
- **التقديم والتأخير في القرآن الكريم** ، حميد أحمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٩٦م .
- **تلخيص البيان في مجازات القرآن** ، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ، تح : محمد عبد الغني حسن ، دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .
- **التمهيد في علم التجويد** ، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تح : د. غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط/١ ٢٠٠١م .

- **تنزيه الأنبياء** ، أبو القاسم علي بن الحسين المسوي المعروف بالشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) ، منشورات الشريف الرضي ، إيران ، ط/١ ، ١٣٧٦ هـ . ش .
- **تهذيب اللغة** ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، إشراف: محمد عوض مرعب ، تعليق : عمر سلامي وعبد الكريم حامد ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ .
- **تهذيب المغني** ، لجنة تنظيم الكتب المدرسية ، مطبعة الأمير ، قم ـ إيران ط/٤ ، ١٤٢٢هـ .
- **تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي** ، د. أسعد أحمد علي ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ، ط/٣ ، ١٩٨٥م .
- **تيجان البيان في مشكلات القرآن** ، محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (ت١٢٠٣هـ) ، دراسة وتحقيق : حسن مظفر الرزو ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٥م .
- **التيسير العجيب في تفسير الغريب** ، ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد المالكي الاسكندري المعروف بابن المنير (ت٦٨٣هـ) ، تح : سليمان ملا إبراهيم أوغلو ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٤م .

— ج —

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ .
- **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة** ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ، تح : محمد صدوق الجزائري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ .
- **الجامع لأحكام القرآن** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، اعتنى به وصححه : الشيخ هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٢هـ .
- **جمهرة اللغة** ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المعروف بابن دريد (ت٣٢١هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ط/١ ، ١٣٤٥هـ .

📖 **جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية** ، د. عبد المنعم سيد عبد العال مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٧٧م .

📖 **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، السيد أحمد الهاشمي ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ط/٢ ، ١٣٨٣هـ .

— ح —

📖 **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل** ، الشيخ محمد الخضري (ت١٣٨٨هـ) ، المطبعة الأزهرية ، مصر ، ط/٦ ، ١٩٢٦م ـ ١٣٤٥هـ .

📖 **حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي،** شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه ، الشيخ عبد الرزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٧م ـ ١٤١٧هـ .

📖 **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين** ، أحمد بن محمد الصاوي (ت١٢٤١هـ) ضبط وتصحيح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٤ ، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ .

📖 **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، مصر (د.ت) .

📖 الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، تح : د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ـ لبنان ١٩٧١م .

📖 **الحجة للقراء السبعة** ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، وضع حواشيه وعلّق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ .

📖 **حروف الجر ومعانيها** ، د. أحمد فليح ، المركز القومي للنشر ، أربد ـ الأردن ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ .

— خ —

الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) ، تح : محمد علي النجار دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط/ ٤ ،١٩٩٠م .

ـ د ـ

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود بغداد ، ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .

دراسات في علم الصرف ، د. عبد الله درويش ، مكتبة الشباب ، مصر ١٩٥٩م .

دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٩م .

دراسات قرآنية ، د. عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٥٩م ـ ١٣٧٨هـ .

دراسات قرآنية في جزء عم ، د. محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية مصر ، ١٩٨٨م .

دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة السعادة مصر ، ط/١ ، ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ .

دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٧م.

دُرّة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) ، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ .

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تح : علي محمد عوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، وجاد مخلوق جاد ، وزكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٤هـ .

دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تح : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/٥ ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٤هـ .

ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٨هـ .

ديوان جرير ، شرح وضبط وتقديم : د. عمر فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط/١، ١٩٩٧م ـ ١٤١٧هـ .

ديوان عَبيد بن الأبرص ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح : د. سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف بغداد ، ط/١ ، ١٩٦٦م ـ ١٣٨٦هـ .

ـ ر ـ

الرحمن الرحيم ، عبد الرزاق نوفل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ط/٢ ، ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، ضبط وتصحيح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ .

ـ ز ـ

زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط/١ ، ١٩٦٤م ـ ١٣٨٤هـ .

الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) تح : د. حاتم صالح الضامن ، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان ، بغداد ، ١٩٧٩م ـ ١٣٩٩هـ .

ـ س ـ

سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط/٢ ، ١٩٩٣م .

ـ ش ـ

شذا العرف في فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملاوي (ت١٣٥١هـ) ، علّق عليه ووضع فهارسه : د. أحمد أحمد شتيوي ، دار الغد الجديد ، مصر ، ط/١ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، بهاء الدين بن عقيل (ت٧٦٩هـ) ، تح : د. محمود مصطفى حلاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ١٩٩٦م ـ ١٤١٦هـ .
- **شرح أسماء الله الحسنى** ، الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، مطبعة المكتبة الحديثة ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٩٠م .
- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)** علي نور الدين الأشموني (ت٩٢٩هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) .
- **شرح جمل** الزجاجي ، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، تح : د. صاحب أبو جناح ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٢م .
- **شرح الحدود النحوية** ، جمال الدين عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت٩٧٢هـ) ، تح : د. محمد الطيب الإبراهيم ، دار النفائس ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ١٩٩٦م ـ ١٤١٧هـ .
- **شرح الرضي على الكافية** ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ١٩٧٨م .
- **شرح شافية ابن الحاجب** ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، تح : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ.
- **شرح قطر الندى وبل الصدى** ، جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، (د.ت) .
- **شرح المعلقات السبع** ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، مكتبة دار البيان للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٠م .
- **شرح المفصل** ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) المطبعة المنيرية ، مصر ، (د.ت) .
- **شرح المقدمة المحسبة** ، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت٤٦٩هـ) ، تح : خالد عبد الكريم ، المطبعة العصرية ، الكويت ، ط/١ ، ١٩٧٦م .

— ص —

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٥هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط/٣ ، ١٩٨٤م ـ ١٤٠٤هـ .

الصحيفة السجادية ، الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ (ت ٩٥هـ)، وتحقيق : مفتي جعفر حسين ، المطبعة : إدارة علمية ، باكستان ـ لاهور ، (د.ت) .

الصرف الوافي (دراسة تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية) ، د. هادي نهر ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، (د.ت) .

صفوة الأقوال في تفسير سورة الفاتحة ، عبد الرحمن خضر ، مطبعة النجاح بغداد ، (د.ت) .

صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القلم العربي ، سوريا ـ حلب ط/١ ، ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ .

الصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٠م ـ ١٤٢٠هـ .

الصيغ الإفرادية العربية نشأتها وتطورها ، د. محمد سعود المعيني ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٢م .

صيغ الجموع في اللغة العربية مع بعض المقارنات السامية ، د. باكيزة رفيق حلمي ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد ، (د.ت) .

— ط —

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت٧٤٩هـ) ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م ـ ١٣٣٢هـ .

— ع —

علم الأصوات ، برتيل مالمبرج ، تعريب ودراسة : د. عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- **علم الأصوات اللغوية** ، د. مناف مهدي الموسوي ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨م .
- **علم الدلالة** ، د. أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر ، الكويت ، ط/١ ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ .
- **علم اللغة العام ، الأصوات** ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٥م .

ـ غ ـ

- **غريب القرآن في شعر العرب (سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس)** تح : محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٣م ـ ١٤١٣هـ .
- **غيث النفع في القراءات السبع** ، الشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي (ت١١١٨هـ) ، تح : أحمد محمود عبد السميع الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ .

ـ ف ـ

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط/١ ١٣٥٠هـ .
- **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** ، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (ت١٢٠٤هـ) ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ١٣٧٧هـ.
- **الفروق في اللغة** ، أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٠هـ) ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ .
- **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم** ، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط/١ ، ١٩٩٣م ـ ١٤١٤هـ .
- **فقه اللغة وسر العربية** ، أبو منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ) ، تح : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ط/١ ، ١٩٣٨م ـ ١٣٥٧هـ .

- **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هت) ، تح : محمد إبراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة (د.ت) .
- **فوات الوفيات** ، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت٧٦٤هـ) ، مطبعة بولاق مصر ، ط/٢ ، ١٢٩٩هـ .
- **في البحث الصوتي عند العرب** ، د. خليل إبراهيم العطية ، (الموسوعة الصغيرة) ، دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٨٣م .
- **في رحاب القرآن الكريم** ، د. ياسين محمد يحيى ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٩٦م .
- **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي مصر ، ط/١ ، ١٩٥٣م ـ ١٣٧٢هـ .
- **في النحو العربي نقد وتوجيه** ، د. مهدي المخزومي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ط/٢ ، ٢٠٠٥م .

ـ ق ـ

- **القاموس المحيط** ، مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هت) ، مطبعة السعادة مصر ، (د.ت) .
- **القطع والائتناف أو الوقف والابتداء** ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تح : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ .

ـ ك ـ

- **الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف** ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تح : د. زكي مبارك ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط/١ ١٩٣٧م ـ ١٣٥٦هـ .
- **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل** ، الشيخ محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي (ت٧٩٢هـ) ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ط/١ ، ١٣٥٥هـ .
- **كتاب التكملة** ، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، تح : د. كاظم بحر المرجان دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ .

- **كتاب السبعة في القراءات** ، أبو بكر أحمد بن مجاهد التميمي (ت٣٢٤هـ) ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط/٣ ، ١٩٨٨م .
- **كتاب سيبويه** ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٦٨م .
- **كتاب شرح اللمع** ، أبو الحسن علي بن الحسين الملقب بجامع العلوم الباقولي (ت٥٤٣هـ) ، تح : د. محمد خليل مراد الحربي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط/١ ، ٢٠٠٢م .
- **كتاب العين** ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح : د. مهدي المخزمي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران ، ط/٢ ، ١٤٠٩هـ.
- **كتاب معاني القراءات** ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تح : الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .
- **كتاب المقتصد في شرح الإيضاح** ، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ) تح : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م .
- **كتاب الواضح في النحو** ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٧٩هـ) تح : عبد الكريم خليفة ، الأردن ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٥م .
- **كشّاف اصطلاحات الفنون** ، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ) ، وضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨م ـ ١٤١٨هـ .
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تح : د. محيي الدين رمضان ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ .
- **الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الثعلبي)** ، الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ) ، تح : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ .
- **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق الغوية)** ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، تح : د. عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢م .

الكنز في القراءات العشر ، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي (ت٧٤٠هـ)، تح : هناء الحمصي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ١٩٩٨م .

ـ ل ـ

لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ) ، ضبطه وصححه : د. عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ .

اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت : بعد ٨٨٠هـ) تح : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ومحمد سعد رمضان ومحمد المتولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ .

لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨م ـ ١٣٨٨هـ .

اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب مصر ، ١٩٧٣م .

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٩٩م .

اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : حامد المؤمن مطبعة العاني ، بغداد ، ط/١، ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ .

اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٩م .

ـ م ـ

ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت٢٨٥هـ) ، اعتنى به : الأستاذ عبد العزيز الميمني المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ) قدّمه وحققه وعلق عليه : د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ط/ ١ ، ١٩٦٠م ـ ١٣٨٠هـ.

- **مجاز القرآن** ، أبو عبيدة معمر بن المثني التيمي (ت٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سزكين ، مطبعة محمد سامي أمين الخانجي الكتبي ، مصر ، ط/١ ، ١٩٥٤م ـ ١٣٧٤هـ .
- **مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية)**، د. محمد حسين علي الصغير دار المؤرخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .
- **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، صححه : السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله الطباطبائي اليزدي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .
- **مجمل اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥هـ) ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .
- **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** ، العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) ، ضبطه وصححه وخرّج آياته وأحاديثه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢ ، ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ .
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢٢هـ .
- **المحكم والمحيط الأعظم** ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) ، ج /٢ ، تح عبد الستار أحمد فرَّاج ، ج/٣ تح : د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط/١ ، ١٩٥٨م ـ ١٣٧٧هـ .
- **مخارج الحروف وصفاتها** ، أبو الأصبغ السماتي الأشبيلي المعروف بابن الطحان (ت٥٦٠هـ) ، تح : د. محمد يعقوب تركستاني ، (د.ط) ، ط/١ ، ١٩٨٤ـ ١٤٠٤هـ .
- **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (ت٤٥٨هـ) المطبعة الأميرية، بولاق ـ مصر ، ١٣١٧هـ ـ ١٣١٨هـ .

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ .
- **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ٢٠٠٢م .
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر ، (د. ت) .
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ) المكتب الإسلامي للطباعة ودار صادر للطباعة ، بيروت ـ لبنان ،(د.ت) .
- **مشكل إعراب القرآن** ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) دراسة وتحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، دار صادر للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ .
- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** ، د. عبد العزيز سعيد الصيغ ، دار الفكر ، دمشق ، ط/١ ، ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ.
- **مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة** ، د. نعمة رحيم العزاوي (الموسوعة الصغيرة) ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط/١ ، ١٩٩٠م .
- **معاني الأبنية في العربية** ، د.فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، الكويت ط/١ ، ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ .
- **معاني القرآن** ، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تح : الشيخ محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية ، ط/١ ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ .
- **معاني القرآن** ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ، تح : د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، ط/١ ، ١٩٨٥م ـ ١٤٠٥هـ .
- **معاني القرآن** ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق ج١و ج٢:أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، ج٣ : تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة : الأستاذ علي النجدي ، الهيأة المصرية العامة ، مصر ، ج ١ ، ج٢ ، ١٩٨٠م ـ ج ٣ ، ٢٠٠١م .

📖 **معاني القرآن وإعرابه** ، أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، خرّج أحاديثه : علي جمال الدين محمد ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

📖 **معاني النحو** ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان - الأردن ، ط/١ ، ٢٠٠٣م .

📖 **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح :علي محمد البجاوي ، دار الثقافة العربية ، مصر ١٩٦٩م .

📖 **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، مجمع اللغة العربية ، الهيأة المصرية العامة ، مصر ط/٢ ، ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ .

📖 **معجم القراءات** ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، دمشق ، ط/١ ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ .

📖 **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء** ، د. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ،ط/٢ ، ١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ .

📖 **المعجم الكبير** ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ، ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ .

📖 **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، بحاشية المصحف الشريف ، مطبعة أميران ، منشورات ذوي القربي ، إيران ، ط/٢ ١٤٢٣هـ .

📖 **معجم مقاييس اللغة** ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، الدار الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ .

📖 **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تح : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق للطباعة ، طهران ، ط/١ ، ١٣٧٨هـ .

📖 **مفتاح العلوم** ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر (د.ت) .

- **مفردات ألفاظ القرآن** ، العلامة الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم بدمشق ، والدار الشامية ببيروت ، ط/٤ ، ١٤٢٥هـ.
- **المفصل في علم العربية** ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، مطبعة التقدم ، مصر ، ط/١ ، ١٣٢٣هـ .
- **المقتضب** ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ،١٣٨٦هـ .
- **المقرب** ، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ،تح: د. أحمد عبد الستار الجواري ود.عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٨٦م .
- **من أساليب التعبير القرآني** ، د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٦م .
- **من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة)** ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .
- **من أسرار العربية في البيان القرآني** ، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ دار الأحد (البحيري أخوان) ، بيروت ، (د.ت) .
- **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/٤ ، ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ .
- **من بديع لغة التنزيل** ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان ، عمان ـ الأردن ط/١ ، ١٩٨٤م ـ ١٤٠٤هـ .
- **من بلاغة القرآن** ، د. أحمد أحمد بدوي ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠م ـ ١٣٧٠هـ .
- **منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، تح : محمد السيد الصفطاوي ، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد ، مطبعة الجيزة ، الإسكندرية ـ مصر ، (د.ت) .
- **منة المنان في الدفاع عن القرآن** ، السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر(ت١٤١٨هـ) مطبعة الكوثر ، قم ـ إيران ، ط/١ ، ١٤٢٦هـ .

📖 **من وحي القرآن** ، د. إبراهيم السامرائي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٨١م - ١٤٠١هـ.

📖 **مواهب الرحمن في تفسير القرآن** ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري(ت ١٤١٤هـ) مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٨٤م .

📖 **الموسوعة القرآنية** ، تقاسم تصنيفها إبراهيم الإبياري ، ود. عبد الصبور شاهين مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

📖 **موسوعة النحو والصرف والإعراب** ، د. أميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، (د.ت) .

📖 **الميزان في تفسير القرآن** ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ، صححه وأشرف على طباعته : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة دار المجتبى ، إيران - قم ، ط/١ ، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ .

— ن —

📖 **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، تح : محمد عبد الكريم كاظم الراضي مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ .

📖 **النشر في القراءات العشر** ، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيحه ومراجعته : محمد علي الضباع ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، (د.ت) .

📖 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، خرّج آياته وأحاديثه وضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ،دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ .

📖 **نفحات القرآن** ، الشيخ عبد اللطيف السبكي ، د.ط ، مصر ، ١٩٦٤م - ١٣٨٤هـ .

📖 **النكت في إعجاز القرآن** ، أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ) ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تح : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ، (د.ت) .

- **النكت في تفسير كتاب سيبويه** ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ) ، قرأه وضبط نصه : د. يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٥هـ .

- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم : د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن ، ١٩٨٥م .

- **نهج البلاغة** ، الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ (ت٤١هـ) ، شرح : الشيخ محمد عبده ، اعتنى به وراجعه : علي أحمد حَمّود ، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

- **الواضح في علم الصرف** ، د. محمد خير حلواني ، دار الثقافة العربية ، دمشق ط/٤ ، ١٩٨٧م ـ ١٤٠٧هـ .

- **وجوه القرآن** ، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت٤٣١هـ) تح : د. نجف عرشي ، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة مشهد ـ إيران ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ .

- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** ، هارون بن موسى القارئ (ت١٧٠هـ) تح : د. حاتم صالح الضامن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨م ـ ١٤٠٩هـ.

- اليسير في تفسير اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، السيد فاضل يوسف الحجار ، (د.ط) ، العراق ـ النجف الأشرف ، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ .

ثانياً : الكتب المخطوطة :

- **المعرفة اللغوية في ظلال القرآن الكريم (رؤية ومنهج)** ، د. رحيم جبر الحسناوي .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح الجامعية

- **ألفاظ السلوك الخلقي في القرآن الكريم / دراسة لغوية** ، عبد الكريم مصلح أحمد البحلة ، أطروحة دكتوراه،كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤م .
- **الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم /دراسة لغوية** ، أحمد جواد محيسن العتابي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١م .
- **الدراسات اللغوية والنحوية في كتب الوقف والابتداء** ، عبد الرزاق أحمد محمود الحربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ١٩٨٧م.
- **دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني** ، شعلان عبد علي سلطان رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٥م .
- **الدلالة الصوتية في القرآن الكريم** ، كريم مزعل محمد اللامي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧م .
- **دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم** ، الشهيد المرحوم علي خضر فنون رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٥م .
- **الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم** ، عباس حميد السامرائي أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١م .
- **الظواهر اللغوية في كتب إعجاز القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري** عادل عباس هويدي النصراوي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ٢٠٠٦م .
- **محمد بن عزيز العزيزي السجستاني (ت٣٢٨هـ) وكتابه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن** ، ذكاء عبد الستار حمزة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٧م .

رابعاً : البحوث :

- **جملة الغفران في القرآن الكريم (دراسة تركيبية دلالية)** ، د. نهاد حسوني صالح ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، العدد ٧١ ، السنة ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ .
- **الوقف والابتداء ، إسماعيل علي سليمان** ، بحث منشور في الموسوعة القرآنية المختصة ، إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة الممتعة المباركة في رحاب كتاب الله ، يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث بما يأتي :

١. بيّن البحث أنّ الإيحاء الصوتي لا يعني أنّ أصوات كلمة ما بمخارجها وصفاتها تدل على المعنى الذي تحمله هذه الكلمة وإنما المراد منه ما يتوافر لأصوات هذه الكلمة من إيحاءات لها أثرها في نفس السامع ، لاسيما إذا كانت الكلمة تعبّر عن معنى نفسي كالرحمة والغفران .
٢. نستشعر من كثرة الأصوات المجهورة وانعدام الأصوات الشديدة في مادتي (غفر) و(رحم) أنّ أصوات هاتين المادتين تتميز بإيقاع جميل وانسيابية لطيفة تُشعر من يقرأ آيات الرحمة والغفران أو يسمع بها بارتياح كبير وتُحدث في نفسه شعوراً يُصور له سعة رحمة الله وغفرانه .
٣. يتبين لنا من كثرة الأصوات القوية وقلة الأصوات الضعيفة في مادتي (غفر) أنّ دلالة (غفر) الصوتية تتلاءم مع دلالتها المعجمية ، فأصوات مادة (غفر) توحي أنّ المغفرة تدل على الستر والتغطية بقوة ، ويكون ذلك بإسقاط العقاب على الذنب كلياً وإيجاب الثواب .
٤. اتضح أنّ صوتي (الألف والنون) في صيغة(الرحمن) وصيغة (غفران) يزيدان هاتين الكلمتين وضوحاً في السمع ؛ لأنهما مجهوران ، مما يجعلهما أكثر إيقاعاً وجمالاً ، زيادة على ما تضفيه غنة النون من إحساس بالهدوء والارتياح في نفس طالب الرحمة والغفران من الله تعالى .
٥. خلص البحث إلى أنّ للوقف والابتداء أهمية كبيرة في تحديد الدلالة القرآنية، إذ لابد لقارئ القرآن من الالتزام بقواعد الوقف والابتداء ، فيه تتبين معاني الآيات ويؤمن بمراعاته من الوقوع في المشكلات .
٦. بيّن البحث ما قيل في اختصاص (الرحمن) و(الرحيم)، فقد قيل إنّ (رحمن) بجميع الخلق و(رحيم) بالمؤمنين، و(رحمن) يختص بالدنيا والآخرة ، أما (رحيم) فإنه مختص بالآخرة ، وهذا الاختصاص غير دقيق ، فقد استعمل لفظ (الرحيم) في القرآن الكريم من غير اختصاص بالمؤمنين أو بالآخرة .
٧. بين البحث أنّ التعبير باسم الفاعل (غافر) في قوله تعالى :﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ (غافر : من الآية ٣) للدلالة على الاستمرار التجددي ، فإنّ المغفرة وقبول التوبة من صفاته الفعلية ، فلا يزال تعالى يغفر الذنب ثم يغفر ، ويقبل التوبة ثم يقبل .

فاسم الفاعل هنا لا يدل على الحدوث والتجدد،لأنّ صفاته تعالى منزهة عن ذلك.

٨. إنّ لكل صيغة صرفية دلالة خاصة ، فصيغة المبالغة (غفور) تختلف عن صيغة المبالغة (غفّار) ، فالأولى تُنبئ عن كثرة المغفرة لكن من دون الكثرة التي تنبئ عنها (غفّار) بحسب ما يقتضيه السياق، فضلاً عن ذلك فإنّ (غفور) تدل على كمال المغفرة وتمامها وشمولها ، على حين أنّ (غفاراً) لا تدل على ذلك ، وإنما تُنبئ عن كثرة صدور المغفرة وتكرارها فقط ، وهذا ما يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه كل صيغة .

٩. بيّن البحث دلالات التنكير والتعريف في سياق الرحمة والغفران ، فقد يدل التنكير على الإشاعة والإبهام وقد يدل على التفخيم والتعظيم ، وقد يدل على الكمال ، وقد يكون دالاً على النوع ، وقد يدل على التقليل والتحقير.

١٠. بيّن البحث أنّ حذف الضمير قد يفيد العموم في الخبر ، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف : ١٥٣) ، فلم يقل (لغفور رحيم لهم) ، فيخصص المغفرة والرحمة بهم بل جعلها عامة مطلقة ولم يواجههم صراحة بالمغفرة ، وإنما ذكر صفة المغفرة والرحمة فعسى أن تنالهم ؛ وذلك ليبقوا في حالة طاعة وخشية من معصية أخرى.

١١. بيّن البحث أنّ الآية القرآنية لا تنتهي إلا بفاصلة ملائمة كلّ الملائمة لمعناها فتأتي الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ، غير نافرة ولا قلقة ولكن الأفهام قد تتضاءل عن إدراك سرّها ، وهذا من بديع إعجاز لغة القرآن الكريم .

١٢. بيّن البحث أنّ ظاهرة الترادف غير واردة في القرآن الكريم ، وأنّ لكل مفردة معنى خاصاً بها ، فالغفران مثلاً أبلغ من العفو ؛ لأنّ الغفران يختص بالله تعالى ، إذ يقال : غفر الله لزيد ، ولا يطلق الغفران على العبد ، فلا يقال : غفر محمد لخالد ، وأما العفو فإنه يطلق على العبد والرب ، قال تعالى : :﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة : ٤٣) وقال تعالى :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

والصفح أيضاً أبلغ من العفو ؛ لأنّ العفو : هو ترك العقاب على الذنب ، بينما الصفح يشمل ترك العقاب ، وترك اللوم والتثريب ، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح .

١٣.توصل البحث إلى أنّ الاستغفار ينبغي أن يكون نابعاً من صميم قلب المستغفر، مع العزم والتصميم على ترك الذنوب والإقلاع عنها ، أما إذا كان الاستغفار كلمة تقال ثم يعاود الإنسان ارتكاب الذنوب نفسها أو أكثر منها ولم يكن هناك عزم وتصميم على ترك الذنوب ، فإنّ الاستغفار يصبح الاستغفار في هذه الحالة ككلمة تقال عادة ، ولم تكن نابعة من القلب ، فهنا تنتفي الاستفادة من حقيقة كلمة الاستغفار الذي يرمز إلى معان عظيمة

حددها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ لما قال قائل بحضرته أستغفر الله .

١٤.خلص البحث إلى أنّ التقرب إلى الله تعالى يكون بمراتب يمكن أن تسمى (مقامات العبودية) ، فأبعدها مرتبة قبول التوبة من العبد إذا كانت صادرة عن خلوص نية ، ثم الأدنى منها مرتبة عفوه تعالى عن سيئاته وتجاوزه عنها قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾(الشورى : من الآية ٢٥) ثم الأدنى من ذلك مرتبة هي أن ينال الصفح منه سبحانه ، قال تعالى :﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: من الآية ١٣) . ثم الأدنى من ذلك والأقرب مرتبة وتكون بغفران ذنب العبد ، وإثابته بالثواب الجزيل ، قال تعالى :﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور : من الآية٢٢) وبذلك يكون مؤهلاً لنيل رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، قال تعالى:﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : من الآية ٢٨٦هـ) .

١٥.بيّن البحث أنّ رحمة الله تعالى واسعة لكلّ شيء فتارة تكون الرحمة مختصة بالأنبياء ، قال تعالى :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٣، ٨٤) وتارة تكون الرحمة للمؤمنين المتقين ، قال تعالى :﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف : من الآية ١٥٦) ، وتارة تكون للمؤمنين التائبين ، قال تعالى : :﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ

عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ۞ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة : ١١٧، ١١٨) ، وتارة تكون الرحمة للمشركين التائبين ، قال تعالى :﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة : ٥) .

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

وأزكى الصلاة وأتم السلام على

نبينا محمد وآله الطاهرين .